الشّيخ علي محسن شقير

آفات اللّسان



دار الهادي

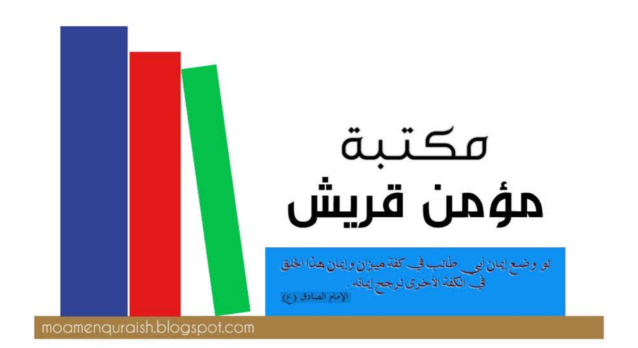
آفات اللِّسان

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ISBN

978-9953-510-71-2





هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

آفات اللِّسان

الشّيخ علي محسن شقير




بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من مصيبتها هزت المسامع
وأجرت المدامع
وكظّت المضاجع
إلى من كَلِمتُها
كشفت الحجاب عن العيون
وأماطت اللثام عن السكون
وأظهرت زيف المعتد الخؤون
إلى من جمعت
خُلق الأنبياء
وصدق الأولياء
وعلم الأوصياء
وسحر البلغاء فأضحت في مصابها في كلامها
في علمها
في حلمها
في خلقها والولاء
شمعة تضيئ وسط كربلاء رغم الحزن
رغم الهم

رغم الأسى

رغم البلاء

ستبقين يا عقيلة بني هاشم

منبع القداسة ...

منبع العطاء ..

وأم الوفاء

إليك أيتها الحوراء الأنسية

يا من ورثت الأخلاق المحمدية

والشجاعة العلوية

والمآسي الفاطمية

والحكمة الحسنية

والشهامة الحسينية إليكِ يا مولاتي زينب أهدي هذا القليل راجياً من اللّه ومنك الرضا والقبول.

خادمكم «علي»

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والحمد لك يا سبحان ، يا ديان ، يا برهان يا رحمٰن يا من علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان حمداً دائماً سرمداً لا ينقطع أبداً ولا يحصي له الخلائق عدداً.

والصلاة والسلام على سيد الأنام وحامل القرآن والناطق بالبرهان وأديب الرحمٰن ومحطم الأوثان وناشر الإسلام حبيب الملك العلام ، أبي القاسم المصطفى محمد ، وعلى آله الغر الكرام وأمراء الكلام وسادة الخلق بعد النبي الهمام ورحمة الله وبركاته.

أما بعد ...

فإن من أعظم النعم والمواهب الإلهية التي منحها الله للإنسان هي نعمة البيان ، قال تعالى :

﴿الرحمٰن ● علم القرآن ● خلق الإنسان ● علمه البيان﴾ [١].

فإن الله سبحانه وتعالى بيَّن في هذه الآية أن نعمة البيان من أعظم النعم الإلهية بعد نعمة تعليم القرآن وخلق الإنسان ، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى اللسان هو الأداة والوسيلة للبيان ، تلك القطعة الصغيرة من البدن التي حملت أثقل الوظائف وكانت أداة لأعظم النعم. يقول الله سبحانه وتعالى في مقام تعداد النعم التي أنعمها على بني آدم :

﴿ألم نجعل له عينين ● ولساناً وشفتين ● وهديناه النجدين﴾ [٢].

---

(١) سورة الرحمٰن الآيات: ١ – ٤.

(٢) سورة البلد الآيات: ٨ – ١٠.

ففي هذه الآيات القرآنية سلط الله الضوء على جملة من النعم التي وهبها للإنسان في الحياة الدنيا وهي نعمة العين واللسان والشفتين ، كأدوات وجوارح يستخدمها الإنسان في حياته لمعرفة وتمييز الخير من الشر .

ونشير فيما يلي إلى جملة من الروايات التي تبيّن لنا أهمية اللسان.

ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال : «**لا يستقيم إيمان عبد مؤمن حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**» .

وعنه ﷺ : «**الجمال في اللسان**».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «**ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة**».

وفي حديث آخر عنه يقول : «**الجمال في اللسان والكمال في العقل**».

وعنه عليه السلام : «**الإنسان لبه لسانه**».

دور اللسان

يلخص أمير المؤمنين عليه السلام دور اللسان بعشر خصال : حيث قال عليه السلام : «**إن في الإنسان عشر خصال يظهرها لسانه :**

١ - شاهد يخبر عن الضمير

٢ - وحاكم يفصل في الخطاب

٣ - وناطق يَرُدُّ به الجواب

٤ - وشافع يدرك به الحاجة

٥ - وواصف يعرف به الأشياء

٦ - وأمير يأمر بالحسن

٧ - وواعظ ينهى عن القبيح

٨ - ومعزٍّ تسكن به الأحزان

٩ - وحاضر (حامد) تجلى به الضغائن

١٠ - ومونق تلذ به الأسماع».

اللسان أمارة على العقل

لأن الإنسان العاقل لا يتحدث عن عبث وبلا معنى واللسان يكشف عن مدى ما يتمتع به الإنسان من حكمة وعقل، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه**».

اللسان بين الإيجاب والسلب

من خلال ما تقدم عرفنا أهمية وعظمة اللّسان، ولكن ينبغي أن لا نتجاهل الجانب السلبي فيه بحيث إننا نستغل هذه النعمة للتحدث بما يحلو لنا، بل لا من استخدامه بما يرضي الله عز وجل، إذ إن إطلاق العنان له آثار وخيمة ويؤدي إلى مفاسد جسيمة على المستوى الفردي والجماعي في الدنيا والآخرة.

الكلام أفضل عبادة وأقبح معصية

إلى كلا الجانبين السلبي والإيجابي يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: « ....**فليس على الجوارح عبادة أخف مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده. ألا ترى أن الله عز وجل لم يجعل بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والأمم، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل وألطف العبادة، وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدها علامة وأعجلها سأمة عند الخلق منه**».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثه المروي عنه : «**إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**».

وعن علي عليه السلام أنه قال : «**اللسان سبع إن خلي عنه عقر**».

نستنتج من خلال ما تقدم خطورة هذه الجارحة، فإن اللسان سلاح ذو حدين ينبغي على الإنسان أن يعرف كيف يوظف هذه النعمة وكيف يستخدمها حتى لا يجره إلى عذاب الله سبحانه وتعالى ، وأن يتعرّف الإنسان على ما ينبغي قوله وما لا ينبغي قوله حتى يكون بذلك قد أدى شيئاً من شكر هذه النعمة.

فإذاً اللسان من أخطر الأعضاء التي سنحاسب عليها يوم القيامة لما له من الأثر القوي في حياة الإنسان، فهو إما أن يكون عامل هدم أو عامل بناء لأن الكلمة التي تخرج منه إما أن تؤدي إلى إصلاح ومحبة وتقارب...

وإما أن تؤدي إلى فساد وإفساد وفتنة وقتال.

لأجل هذا كله كان لابدّ على الإنسان من أن يتعرف على آفات اللسان وجرائمه كي يتوخاها ويتجنبها ، فكان هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ فهو يعرفك على جل آفات اللسان وأخطاره ، وقد بيّنا ذلك معتمدين على النصوص القرآنية والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بالإضافة إلى أننا طرحنا في بعض الأحيان حلولاً لبعض الآفات نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الحافظين لألسنتنا إلا من خير وأن ينفع الله بهذا العمل جميع المؤمنين وأن يكون لنا ذخرا يوم نلقاه إنه سميع مجيب إنه على كل شئ قدير .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

علي محسن شقير العاملي

الكذب

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

«إن الله جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب والكذب شر من الشراب».

الكافي: ٢ / ٣٣٩ ح ٣.

تعريف الكذب: الكذب هو الإخبار بما لا يطابق الواقع[١].

الكذب من الكبائر

يعتبر الكذب - وهو من الآفات اللسانية - من الكبائر التي أوعد الله مرتكبها بالنار وهو مفتاح للذنوب والمعاصي ومصدر للقبائح والمساوئ والشرور.

قال الشيخ الأنصاري في المكاسب المحرمة: «الكذب حرام قطعي بحكم العقول البشرية والأديان السماوية وحرمته ثابتة في الشرع الإسلامي المقدس بالأدلة الأربعة:

١ - الكتاب

٢ - الإجماع

٣ - السنة

٤ - والعقل».

وكبره مستفاد من القرآن والأحاديث.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ألا أخبركم بأكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين وقول الزور»** [٢].

وعن الإمام العسكري عليه السلام: **«جعلت الخبائث كلها في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب»** [٣].

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث بشكل كبير على كتاب الذنوب الكبيرة للشهيد دستغيب وكتاب البداية في الأخلاق العملية لآية الله محمد رضا مهدوي كني.

(٢) الوسائل: ٦ / ٢٥٨.

(٣) الوسائل ٥ / ٧٢.

دوافع الكذب

إن للكذب دوافع وأسباب عديدة نذكر منها :

١ - العادة :

تعتبر العادة من الأمور التي تدعو الإنسان إلى الكذب، وهذه العادة لها مناشئ عديدة نذكر منها :

أ - اعتياد المرء على الكذب بسبب الجهل به وبمساوئه ومخاطره .

ب - أو بداعي التأثر بالبيئة المحيطة به أو المجتمع المتخلف من حوله، وتجدر الإشارة إلى أن للأهل دوراً كبيراً في تعويد أبنائهم على هذه العادة السيئة من خلال بعض الممارسات اليومية، فنرى الأهل يزجون بأبنائهم للكذب على الناس كأمثال قل لمن على الباب أني لست هنا، أو قل لمن على الهاتف كذا وكذا ، مما هو خلاف الواقع فيكبر الطفل وتكبر معه هذه العادة دون أن يلفت أحد ممن حوله نظره إلى خطورة هذا العمل.

ج - ضعف الوازع الديني ، فإن غير المتدين لا يهمه ما يقول أو ما يفعل لأنه يرى نفسه حراً وليس لأحد عليه شيء . وبسبب هذه الأمور يشب المرء على الكذب وتتعمق جذورها في نفسه ووجدانه ويصبح من الصعب عليه الإقلاع عنه شأنه شأن الطفل الذي اعتاد على الرضاعة، من هنا يقول أحد الحكماء : «من استحلى رضاع الكذب ، عسر فطامه» .

٢ - الطمع :

وهو من الدوافع القوية التي تدفع الإنسان نحو الكذب والتزوير كي يحقق أطماعه ويشبع نهمه فيسلك كل المسالك مهما تكن مقدماتها ونتائجها للحصول على أهدافه.

٣ - العداء والحسد :

فإنهما يدفعان بصاحبهما للكذب والافتراء على أعدائهم، أو على من يحسدونهم ولعل أكثر من يعاني من هؤلاء هم الأنبياء والصلحاء .

٤ - الشعور بالنقص :

وهو من العوامل النفسية التي تقف وراء الكذب، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: **«لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه»** [١].

الكذب ذكاء وفطنة

بما أن الكذب يعتبر من الأمور السهلة والبسيطة - كما هو في نظر من يمتهنه - وليس بحاجة إلى رصيد أو رأس مال نجد الكثير من الناس تتهافت عليه متصورين أنهم بذلك يصلون بسرعة إلى أهدافهم أكثر من غيرهم ، فنراهم يتفننون ويبتكرون فنوناً وأنواعاً من الكذب دون أدنى تفكير في عواقبه على المستوى الفردي والجماعي، بل والأسوأ من ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب حنكة ودهاء وفطنة وذكاء بحيث إنهم ينظرون إلى من يتعامل بصدق نظرة ازدراء على أنهم أشخاص ليس لهم حظ من الأهلية والكفاءة ولا الحنكة والسياسة والذكاء ، والأدهى من ذلك والأمر أنهم يتعذرعون لتبرير فعلتهم بأن الحياة تستدعي ذلك فنرى التاجر لا يتحرج عن الكذب وكذلك المزارع وصاحب الصنعة والطبيب إلى كل طبقة من طبقات المجتمع وأفرادهم ترى في بعضهم هذا السلوك تحت عنوان أن الحياة وبلوغ الهدف لا يحصل إلا بذلك، أو أن كل الناس تفعل ذلك وليت شعري هل أن من يرى شخصاً

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ / ١٠٠ .

يرمي بنفسه من أعلى شاهق يتبعه على هذه الفعلة ؟!
إنه لعذر أقبح من ذنب .

الكذب من منظار القرآن الكريم

هناك جملة من الأمور التي رتبها القرآن الكريم على الكذب محذراً من عواقب هذا الفعل نذكرها فيما يلي :

١ - الكاذب في مستوى المشرك :

لقد وضع القرآن الكريم الكذاب في مستوى واحد من الشرك حينما قال : ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾ [(١)].

٢ - الكاذب عديم الإيمان :

إن القرآن لا ينظر إلى الكاذب أنه شخص مؤمن بل يضعه إلى جانب الكافرين والمنكرين لآيات الله ، قال تعالى : ﴿**إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**﴾ [(٢)].

٣ - الكذب فسق :

كما يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة : ﴿**...فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج...**﴾[(٣)]، فقد عبر عن الكذب في هذه الآية بالفسوق .

---

(١) سورة الحج الآية: ٣٠.
(٢) سورة النمل الآية : ١٠٥ .
(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٧ .

٤ - الكذب يسوِّد الوجه :

كما قال تعالى : ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**﴾ (١) .

٥ - الحرمان من الهداية :

قال تعالى : ﴿ **...إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**﴾ (٢).

وقال أيضاً : ﴿ **...إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب**﴾ (٣).

٦ - الكاذب بعيد عن رحمة الله تعالى :

يستفاد من عدة آيات أن الكاذب مستحق للعنة الله كما في آية المباهلة وآية اللعان، فقال في آية اللعان : ﴿.. **أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين**﴾ (٤).

وقال في آية المباهلة : ﴿**فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (٥).

وهاتان الآيتان وإن كانتا قد نزلتا في نوع خاص من الكذب إلا أنهما تشيران في مضمونهما إلى أن مصير الكاذب ينتهي إلى اللعن الإلهي، ومعنى اللعن كما ذكره الراغب الأصفهاني هو: «الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره».

(١) سورة الزمر الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٣) سورة غافر الآية : ٢٨ .

(٤) سورة النور الآية : ٧ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ٦١ .

الكذب من منظار الأحاديث

الكذب بمستوى الشرك بالله:

قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله : **«ألا أخبركم بأكبر الكبائر : الإشـراك بـالله وعـقوق الوالدين وقول الزور أي الكذب»** (١).

الكذب مفتاح الذنوب:

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام : **«جعلت الخبائث كـلها فـي بـيت وجـعل مفتاحها الكذب»** (٢).

الكذب شر من الشراب:

قال الإمام البـاقر عليه السلام : **«إن الله عز وجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب والكذب شر من الشراب»** (٣).

الكذب خراب الإيمان:

قال الإمام الباقر عليه السلام : **«إن الكذب هو خراب الإيمان»**(٤).

---

(١) جامع السعادات: ٢ / ٣٢٢.

(٢) نفس المصدر: ٣٢٣ وبحار الأنوار: ٦٩ / ٢٣٦ مع اختلاف يسير.

(٣) وسائل الشيعة: ٨ /٥٧٢، وأصول الكافي: ٢ / ٣٣٩ح ٣.

(٤) نفس المصدر ح ٤، وبحار الأنوار: ٦٩ / ٢٤٧.

الكذب والوجه الأسود:

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : «**الكذب يسود الوجه**»[١].

الكذب لا ينسجم مع الإيمان :

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : «**سئل رسول الله** صلى الله عليه وآله**: يكون المؤمن جباناً؟**

قال : نعم، قيل : ويكون بخيلاً ؟

قال : نعم، قيل : يكون كذاباً ؟

قال : لا »[٢].

الكاذب مرفوض من الله:

قال الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام مناجياً الله تعالى : «**أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني**»[٣].

الكاذب تلعنه الملائكة:

ورد في الحديث أنّ «**المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش**»[٤].

---

(١) مستدرك الوسائل : ٢ / ١٠٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٨ / ٥٧٣ ، وجامع السعادات: ٢ / ٣٢٢ .

(٣) مفاتيح الجنان ، دعاء أبي حمزة الثمالي .

(٤) مستدرك الوسائل:٢ / ١٠٠ وسفينة البحار: ٢ / ٤٧٤ ، جامع السعادات: ٢ .

الكذب علامة النفاق:

قال رسول الله محمد ﷺ : **«ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان»** [١] .

الكذب أسوأ الربا:

قال الرسول الأكرم ﷺ : **«أربى الربا الكذب»** [٢] .

الكذب أقبح العلل :

قال الإمام علي عليه السلام : **«...وعلة الكذب أقبح علة»** [٣].

الحرمان من صلاة الليل:

يعد الكذب من المعاصي التي تنتزع من المرء التوفيق لأداء صلاة الليل ، وهذا ما أشار إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام حين قال : **«إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل»** [٤].

تأثير الكذب على الرزق:

قال الرسول الأكرم محمد ﷺ : **«الكذب ينقص الرزق»** [٥].

---

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٣٨ ، وسائل الشيعة : ١١ / ٢٦٩ .

(٢) مستدرك الوسائل: ٢ / ١٠٠ وسفينة البحار : ٢ / ٤٧٣ .

(٣) مستدرك الوسائل: ٢ / ١٠٠ .

(٤) سفينة البحار: ٢ / ٤٧٣ .

(٥) جامع السعادات: ٢ / ٣٢٢ .

الكذب يورث النسيان:

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إن مما أعان الله على الكذابين النسيان»** [١].

فرار الملك بسبب نتن ريح الكاذب:

الكاذب نتيجة لكذبه يخرج من فمه رائحة نتنة تؤدي إلى تباعد الملك عنه. ورد في الحديث الشريف: **«إن العبد إذا كذب تباعد عنه الملك من نتن ما جاء به»**[٢].

الكذب يسلب الإحساس بطعم الإيمان:

كما ورد في حديث لأمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: **«لا يجد العبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده»** [٣].

الكاذب أقل الناس مروءة:

كما في الحديث النبوي الشريف: **«أقل الناس مروءة من كان كاذباً»** [٤].

الكاذب لا يقبل له رأي:

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا رأي لكذوب»** [٥].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٦ / ٢٥١.
(٢) المستدرك: ٩ / ٨٩.
(٣) نفس المصدر: ٣٤٠.
(٤) المستدرك: ٩ / ٨٧.
(٥) المستدرك: ٩ / ٨٧.

الكذب أسوأ الأمراض النفسية:

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«وعلة الكذب أقبح علة» [(١)].

الكذب لعوق الشيطان:

كما في الحديث النبوي الشريف: قال صلى الله عليه وآله :

«إنّ لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً فكُحله النعاس ولعوقه الكذب وسعوطه الكبر» [(٢)].

الكذب يورث الكفر:

ورد أنّه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: **«ما عمل أهل النار؟**

فقال صلى الله عليه وآله : الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار»[(٣)].

عذاب خاص للكاذبين:

جاء في كتاب دعوات الراوندي رواية عن النبي محمد صلى الله عليه وآله يبيّن فيها كيف أنّ الله يعذب الكاذب بعذاب خاص، والحديث طويل يبيّن فيه مشاهداته في المعراج ومحل الشاهد أنّه قال صلى الله عليه وآله : «رأيت كأن رجلاً جاءني فقال: قم، فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس. بيد القائم كلّوب من حديد يلقمه في شدق

---

(١) المستدرك: ٩ / ٨٧.

(٢) المستدرك: ٩ / ٨٣.

(٣) المستدرك: ٩ / ٨٩.

الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر، فيمده فإذا مدَّه رجع الآخر كما كان.

فقلت للذي أقامني: ما هذا؟

فقال: هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة»[١].

الكذب يذهب البهاء:

قال عيسى بن مريم عليه السلام: **«من كثر كذبه ذهب بهاؤه»**[٢].

الكذب من أكبر الذنوب:

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من أعظم الخطايا اللسان الكذوب»**[٣].

الكذب يورث الهلكة:

فعن النبي صلى الله عليه وآله: **«واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإنه فيه الهلكة»**[٤].

لا يمكن مرافقة الكاذب:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكاذب إنه يكذب حتى يجئ بالصدق فلا يصدق»**[٥].

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٤١.
(٢) الوسائل: ٨ / ٥٧٣.
(٣) المستدرك: ٩ / ٨٥.
(٤) المستدرك: ٩ / ٨٨.
(٥) الوسائل: ٨ / ٥٧٣.

الكذب يسلب الصورة الإنسانية لصاحبه:

من المعروف أن أعمال الإنسان تتجسم في العالم الآخر بأشكال مختلفة حسب قبح العمل أو حسنه كما هو مقرر في محله، وإليك صورة الكاذب في ذلك العالم.

جاء في حديث المعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله مع الزهراء عليها السلام: **«ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب «وسبب ذلك» أنها كانت نمامة كذابة»** [1].

مراتب الكذب

صحيح أن جمعاً من الفقهاء العظام أمثال الشهيد الثاني عليه الرحمة عدوا الكذب من الذنوب الكبيرة على نحو الإطلاق والكلية، لكن من مراجعة الأخبار والروايات الواردة في المقام يتضح أن للكذب مراتب، فبعضها كبير قطعاً وبعضها الآخر من أكبر الكبائر ولكن هناك قسم منها مشكوك في كونه كبيرة، وللاطلاع أكثر نذكر مراتب الكذب:

١ ـ الكذب على الله والرسول والإمام:

أسوأ مراتب الكذب الكذب على الله والرسول والإمام، يقول سبحانه في سورة النحل:

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ [2].

---

(١) الذنوب الكبيرة: ١ / ٢٤٣.

(٢) سورة النحل الآيتان: ١١٦ - ١١٧.

عن الإمام الصادق عليه السلام : «**الكذب على الله وعلى رسوله من الكبائر**»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال لأبي النعمان : «**لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية**»[2].

يعني بواسطة هذا الكذب الذي افتريته علينا يسلب نور الإيمان من قلبك، وإذا كان هذا القسم من الكذب حال الصيام وكان عن عمد بطل الصيام أيضاً .

الكذب بأي شيئ كان

لا فرق في حرمة الكذب بين أن يكون باللسان أو أن يكتب بالقلم أو أن يفهم بالإشارة ، ولا فرق بين أن يكون الكذب الذي يقوله قد قرأه في كتاب ويدعيه لنفسه وبين أن يكون من اختراع نفسه .

الترجمة مع المخالفة أيضاً كذب

معنى الكذب على الله ورسوله أن ينسب إليهما مطلباً كذباً سواء كان في أمر ديني أو دنيوي ، كأن يقول مثلاً : أرسل الله إلى النبي الفلاني الوحي الكذائي، أو كأن ينسب جملة ليست في القرآن إلى القرآن، أو أن يترجم آية قرآنية بخلاف ما هي في الواقع .

ليس عمل الجميع

لهذا من أراد أن يترجم القرآن على المنبر أو في مكان الخطابة أو في أي مكان آخر عليه أن يعرف أنه في معرض خطر كبير لأنه في ترجمة الآيات لابدَّ له من أن يكون قد درس قواعد اللغة العربية بشكل كامل وقد فهمها ، وثانياً أن يكون لديه قوة فهم لظاهر

---

(١) الكافي: ٢ / ٢٣٩ ، باب الكذب ح ٥ .

(٢) الكافي: ٢ / ٣٣٨ ، باب الكذب ح ١ .

الآيات . وثالثاً أن يترجم الآيات التي لها دلالة واضحة فقط «أي أن يجتنب تفسير المتشابهات».

من موارد الكذب على اللّه

من جملة موارد الكذب على الله أن يكذب الإنسان كذبة ، ولإثباتها يقول الله شاهد على ذلك أو أن الله يعرف صدقي .

عن الإمام الصادق عليه السلام : «**من قال علم الله ما لا يعلم اهتز العرش إعظاماً لله عز وجل**»(١).

وفي حديث ثانٍ: «**إذا قال العبد علم الله وكان كاذباً قال الله تعالى : أما وجدت أحداً تكذب عليه غيري** »(٢).

وقد ورد في بعض الروايات إذا أشهد أحدهم الله ما مضمونه : ألم تجد من هو أضعف مني تشهده على كذبك .

الكذب على النبي والإمام

أما الكذب على النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام فهو أن يخترع حديثاً من عند نفسه وينسبه إليهم، أو أن يسمع حديثاً من أحد أو يقرأه في كتاب ،فينسبه إليهم مع علمه بكذب ذلك .

نعم إذا تيقن من صحة حديث بالقرائن الموجودة أنه صادر عن الإمام عليه السلام جاز له نقله ونسبته إلى الإمام .

---

(١) الكافي : ٢ / ٤٣٧ ، باب اليمين الكاذبة ح ٣.

(٢) المصدر السابق.

نقل الأخبار بشرط أن تكون مسندة

أما الأحاديث الموجودة في الكتب ولا يعلم صدقها وكذبها أي أنه لا يعلم هل هي واقعاً قول للإمام أو لا ، فإذا كان ذلك الحديث لا يخالف ضرورة دينية ومذهبية ولا يسبب هتك مقام الإمام عليه السلام وليس فيه غرابة تسبب هتك الأخبار لخفته مثلاً أو لعدم تقبله من العقل السليم، يجوز نقل هكذا أخبار بالاستناد إلى الكتاب الموجودة فيه يعني أن يقول نقل عن الإمام عليه السلام في الكتاب الفلاني أو روي عن الإمام عليه السلام وإضافة إلى ما ذكر وللاحتياط عليه أن لا يقبل عن أي كتاب يراه ، بل ينقل عن الكتب التي يعتمد على مؤلفها وكاتبها ويعرف بالتقوى والورع والوثوق ...

قال الإمام الباقر عليه السلام : **«ولا تحدث إلا عن ثقة فتكون كذّاباً والكذب ذل»**.

وورد ضمن الرسالة التي أرسلها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحارث الهمداني : **«ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذباً»** [١] .

وإضافة إلى ما ذكر يجب أن ينقل الحديث تماماً كما نقل بدون أن يزيد كلمة أو ينقص واحدة مما يوجب تغيير المعنى، وإلا شمله ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال : **«من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده في النار»** [٢].

يجوز النقل بالمضمون بشرط

وأما النقل بمضمون الحديث لا بألفاظه، فهو جائز بشرط أن يكون الناقل عارفاً بقواعد اللغة العربية، وأن يفهم مزايا الكلام، وأن ينقل مضمون المراد من الحديث الذي تكون دلالته واضحة، أو أن يصرح أن النقل بالمضمون .

---

(١) نهج البلاغة: ٣ / ١٢٩ ح ٦٩ .

(٢) وسائل الشيعة : ٨ / ٥٧٦ ، باب ١٣٩ ح ٦ .

وكذلك بالنسبة إلى لسان الحال في الشعر أو النثر ، فإذا لم يكن منافياً لمقام الإمام عليه السلام وكان واقعاً مطابقاً لِلِسان حال الإمام عليه السلام فإذا بيِّن ذلك من خلال الكلمات أو الأشعار ، فلا مانع من ذلك ولكن يجب أن يعلم أنه لسان حال الإمام عليه السلام لا قوله .

الكذب في القسم والشهادة والكتمان

من مراتب الكذب الذي لا شبهة في كونه ذنباً كبيراً ، القسم الكاذب والشهادة الكاذبة وكتمان الشهادة .

الكذب المفسد

من أقسام الذنوب التي يعتبر كبرها مسلم به ، كل كذب كان فيه مفسدة وضرر ، طبعاً كل ما كانت مفسدته أكبر وضرره أشد كان كبر ذنبه وعقوبته أشد، وأحياناً يكون الكذب سبباً لتلف الأموال وهتك الكرامات والدماء .

الكذب عن مزاح

ومن أقسام الكذب ، الكذب الذي يكون عن هزل ومزاح لأجل التسلية والإضحاك وغير ذلك ، كأن يقول لإنسان بسيط يصدق كل شيء: فلانة امرأة تريد الزواج منك ، أو دعاك فلان للغداء اليوم، أو أرسل لك فلان حوالة مالية وأمثال ذلك .

ومقتضى الأخبار العامة أنها تدل على حرمة الكذب عامة ، وقد أفتى جمع من الفقهاء بحرمة ذلك صريحاً، وقسم آخر منهم فصّل في المسألة وميّز بين المكان الذي يوجد فيه قرينة على عدم الجدية في الكلام، وبين المكان الذي لا توجد فيه قرينة ، فمع وجود القرينة على المزاح أفتوا بجوازه، ومع عدمه أفتوا بالحرمة .

وإن كان هذا القول قوياً جداً لكن طريق الاحتياط هو في اعتبار هذا الأمر حتى مع

وجود القرينة حراماً أيضاً وتجنب ذلك ، وخصوصاً أن الأخبار المستفيضة تفيد الحرمة مطلقاً.

يجب اجتناب أي نوع من الكذب

يقول الإمام السجاد عليه السلام: **«اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل»**(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب جده وهزله»**(٢).

وعنه عليه السلام: **«لا يصلح الكذب جد وهزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له إن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار»** (٣).

عن أبي ذر في وصية النبي صلى الله عليه وآله له قال صلى الله عليه وآله: **«يا أبا ذر من ملك ما بين فخذيه وما بين لحييه دخل الجنة ، إن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنم ما بين السماء والأرض ، يا أبا ذر ويل للذي يحدث ويكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ، يا أبا ذر من صمت نجا فعليك بالصمت ولا تخرجن من فيك كذبة أبداً، قلت : يا رسول الله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمداً ؟ قال صلى الله عليه وآله : الاستغفار والصلوات الخمس تغسل ذلك»** (٤).

وقال صلى الله عليه وآله في بيان أشراط الساعة : ويكون الكذب عندهم ظرافة فلعنة الله على الكاذب ولو كان مازحاً.

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: **«أنا زعيم بيت في أعلى الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت**

---

(١) الكافي : ٢ / ٣٣٨، باب الكذب ح ٢ .

(٢) الكافي : ٢ / ٣٤٠ باب الكذب ح ١١ ..

(٣) الوسائل : ٢ / ٧٧ ٥ باب ١٤٠ ح ٣.

(٤) المصدر السابق: ٥٧٨ .

في رياض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً ولمن حسن خلقه» [١].

وما ذكر عن حرمة الكذب حتى لو كان عن هزل ومزاح هو إذا لم يكن سبباً لأذية المؤمن أو هتك حرمته، وإلا فلا شك في كونه عند ذلك كبيرة .

تكملة حول المزاح

تعرضنا في الفكرة السابقة للمزاح بنص ما ذكره الشهيد دستغيب ﷺ ولكنه لا يخلو من إجمال لذلك سنتناول هذه الفكرة بشئ من التفصيل .

المزاح بين السلب والإيجاب

المزاح وإن كان من مفردات حسن السلوك إلا أنه يعتبر من آفات اللسان من هنا نلاحظ أن الشريعة الإسلامية وضعت حدوداً للمزاح بحيث لو تعدى الإنسان هذه الحدود لأدى ذلك إلى نتائج سلبية وغير محمودة .

من هنا يجب على الإنسان المؤمن أن يسيطر على لسانه خلال المزاح، وأن يلتفت دوماً للجانب الإيجابي والجانب السلبي له ، ويعلم بأن لكل مقام مقال . وأن يتجنب المزاح قدر الإمكان لأنه إن لم يفعل فسيتحول هذا السلوك إلى عادة لديه بحيث يصبح من الصعب عليه أن يتعاطى مع القضايا التي تستدعي الجد والحزم بما يتلاءم معها .

أضف إلى أن الإنسان الذي تستولي عليه هذه الحالة ، يفقد شعوره الواقعي فلا يدرك الحقائق كما هي ، حتى أن من يستمع إليه لا يأخذ كلامه على محمل الجد والحقيقة .

---

(١) الخصال: ١٢٦ باب ٣.

وعلى ضوء هذه المقدمة لابدَّ من إثارة التساؤلات التالية :

١ - هل المزاح غير مستحسن مطلقاً ؟

٢ - كيف كان أسلوب الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام ؟

٣ - هل هناك بعد إيجابي للمزاح في التعاليم الدينية ؟

وللإجابة ، لابدّ من القول إنَّ بالامكان الاستشفاف من مجموع الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام أن المزاح مطلوب إلى حدٍّ ما ، ولم ينه الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عنه بشكل مطلق ، وإنما أثنوا عليه بشكل نسبي وضمن شروط خاصة بل كانوا يمزحون في بعض الأحيان أيضاً .

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : **«إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»** [1] .

قال شخص يدعى معمر بن خلاد : «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام فقلت : جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون فقال : لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش ، ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتيه الأعرابي فيأتي إليه الهدية ثم يقول مكانه : أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله .

وكان إذا اغتم يقول : ما فعل الأعرابي ليته أتانا» [2] .

عن أحدهم عن الإمام الصادق قال : «**ما من مؤمن إلا وفيه دعابة . قلت وما الدعابة ؟ قال: المزاح**» [3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام : «**إن الله عز وجل يحب المداعبة في الجماع سبلا رفث**»[4].

---

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٣٢ ، والذريعة إلى مكارم الشريعة: ١٥٧ .

(٢) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٤٧ ، وشرح أصول الكافي: ٦٦٣ ح ١ مع آختلاف «فيهدي له الهدية» بدلاً من «فيأتي إليه بالهدية».

(٣) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٧٧ ، وشرح أصول الكافي: ٢ / ٦٦٣ ح ٢ .

(٤) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٧٨ ، وشرح أصول الكافي: ٢ / ٦٦٣ ح ٤ .

أسلوب الرسول والأئمة المعصومين عليهم السلام

كان الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام يمزحون ويدعون الناس إلى المزاح وقد أوردنا قول الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك. كما قال الإمام الصادق عليه السلام لأحدهم: «**كيف مداعبة بعضكم بعضاً ؟ قلت : قليل . قال : فلا تفعلوا فإن المداعبة من حسن الخلق ، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أن يسره**»[١].

ومن الواضح أن قول الإمام الصادق «فلا تفعلوا» معناه لا تكن مداعبة بعضكم بعضاً قليلة .

وقال الإمام علي عليه السلام : «**وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ليسُرُّ الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة**»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «**وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب ولا يقول إلا حقاً**»[٣].

وسأل أحدهم ابن عباس: «أكان النبي صلى الله عليه وآله يمزح ؟ فقال : كان النبي صلى الله عليه وآله يمزح»[٤].

إذاً كان أئمة الدين يمزحون ولكن ضمن إطار الاعتدال لا التطرف . وكانت الأحاديث التي أوردناها أعلاه تشير إلى الجانب الإيجابي للمزاح .

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٦٦٣ ح ٣ ووسائل الشيعة: ٨ / ٤٧٨ .

(٢) مستدرك الوسائل: ٢ / ٧٦ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) مستدرك الوسائل: ٢ / ٧٧ للاطلاع على بعض النماذج من مزاح الرسول صلى الله عليه وآله راجع: مستدرك الوسائل: ٢ / ٧٦ - ٧٧، والمحجة البيضاء ٥ / ٢٣٣ .

الجانب السلبي للمزاح

هناك أحاديث أخرى تكشف عن الوجه الآخر للمزاح ، أي الجانب السلبي منه . ومن هذه الأحاديث:

المزاح يحطم الشخصية

أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام : **«يا علي لا تمزح فيذهب بهاؤك»** [١].

وأوصى الإمام الصادق عليه السلام حمران بن أعين بالتقوى ثم قال:«....**وإياك والمزاح فإنه يذهب هيبة الرجل وماء وجهه»** [٢].

وأوصى الإمام الصادق عليه السلام شخصاً آخر قائلاً : **«أوصيك بتقوى الله وإياك والمزاح فإنه يذهب بالبهاء»** [٣].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله : **«كثرة المزاح تذهب بماء الوجه»** [٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : **«إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه»** [٥].

المزاح يجرّئ الآخرين :

من سلبيات المزاح الأخرى أنه يحرض الآخرين على الاجتراء على المزاح ، فيفقد الاحترام والتقدير .

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤ / ٤٨ .

(٢) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٧٨ .

(٣) مستدرك الوسائل: ٢ / ٧٧ .

(٤) أمالي الصدوق : ٢٢٣ ح ٤ .

(٥) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٨٠ - ٤٨٢ ح ١ و٧ و١٠ و١٢ .

قال الإمام الصادق عليه السلام : **«لا تمازح فيجترأ عليك»**[١] .

المزاح يفجُر العداء :

قال الإمام علي عليه السلام : **«إياكم والمزاح فإنه يجرُّ السخيمة ويورث الضغينة وهو السب الأصغر»** [٢] .

المزاح يبدِّد نور الإيمان:

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : **«إياكم والمزاح فإنه يذهب بنور إيمانك ويستخف بمروءتك»** [٣].

المزاح يقلل العقل:

قال علي عليه السلام : «ما مزح امرؤ مزحة إلا مج من عقله مجة» [٤].

عن الإمام الهادي عليه السلام : **«الهزل فكاهة السفهاء وضاعة الجهال»** [٥].

خلاصة القول

نستنتج من مجمل الأحاديث السابقة أن حسن المزاح وقبحه أمر نسبي، ولا يمكننا

---

(١) وسائل الشيعة : ٢ / ٤٨١ ح ٦ و١١، وأصول الكافي: ٢ / ٦٦٥ . روي هذا الحديث عن الإمام الحسن العسكري في بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٧٠ .

(٢) أصول الكافي: ٢ / ٦٦٤ ح١٢، ووسائل الشيعة: ٨ / ٤٨٢ . روي هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تحف العقول: ٢٨٣ .

(٣) أصول الكافي: ٢ / ٦٦٥ ح ١٩ .

(٤) نهج البلاغة لصبحي الصالح ح ٤٥٠ .

(٥) بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٦٩ .

الحكم عليه بالقبح المطلق أو الحسن المطلق . وذلك لأن الإنسان المؤمن وبمقتضى ما تقدم يجب أن يتحلى بالدعابة وبشاشة الوجه من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب أن يتصف بالجدية والأدب والحزم من ناحية أخرى، ولعل هذا الأمر صعب على أولئك الذين لا يلتزمون مراقبة أنفسهم ، حيث نراهم يخرجون عن حد الاعتدال والأدب إما إفراطاً أو تفريطاً . أي أنك ترى البعض عابس الوجه مكفهراً الى درجة أنه لا يجرؤ أحد على التحدث معه، أو أنك ترى البعض الآخر يتصرفون بلا حدود ولا قيود أو ضوابط فيبالغون في المزاح والهزل بحيث إنهم ينظرون الى كل ما يجري من حولهم بعين الدعابة والمزاح فيسيئون الى غيرهم أحياناً، أو يخرجون في كلامهم عن حدود الحشمة والعفة الأمر الذي يوقعهم في الحرام ومخالفة الأحكام الشرعية هذه إذاً حالة من لا يراقب نفسه.

أما بالنسبة إلى من يراقب نفسه على الدوام فإنه بالإمكان أن يتحلى بكلا الصفتين التي ذكرناهما سابقاً وأن يوازن بينهما بكل سهولة فإن المؤدب بالآداب الدينية والعارف بحدود الكلام لا يكون جامداً على الدوام في علاقاته بحيث يبعث على سأم الآخرين واستيائهم من جهة ولا يكون مازحاً على الدوام بحيث يسحق بمزاحه المفرط شخصيته من جهة ويسيئ إلى الآخرين من جهة أخرى .

فإذاً يجب على المؤمن أن يكون طلق الوجه بشوشاً من جهة كما لا بدَّ له أن لا يخرج عن حدود الأدب والاتزان فيضع نفسه تحت مجهر المراقبة والإشراف حتى لا يخرج عن حد الاعتدال وأن يبقي كلام رسول الله ﷺ نصب عينيه: **«إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»**.

المبالغة ليست كذباً

ما جرت العادة عليه من المبالغة في القول كأن يقول : لقد قلت لك ذلك مئة مرة أو فعلت هذا معي ألف مرة مع أنه لم يتكرر مثل هذا العدد ، هذه المبالغة ليست كذباً لأن

العدد المخصوص ليس هو المقصود، بل مقصوده بيان كثرة الوقوع وهو من باب المبالغة والتأكيد بذكر هذا العدد .

ولا مانع أيضاً من المجازات والاستعارات والكنايات التي تستعمل خصوصاً في الشعر .

الكذب ليس فيه صغيراً أو كبيراً

ما هو متعارف عليه بين الناس ، من أن يقول لا أرغب بالطعام إذا ما دعي إلى تناوله مع أنه يرغب كذب واضح ، وإن كان استساغه أكثر الناس جهلاً، ولا شك في كونه كذباً بصورة إجمالية والأخبار الذامة والمحرمة للكذب تشمله أيضاً .

تقول أسماء بنت عميس : كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي نسوة، قالت : والله ما وجدنا عنده صلى الله عليه وآله قوتاً إلّا قدحاً من لبن ، فشرب ثم ناوله عائشة فاستحت الجارية .

فقلت : لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وآله خذي منه ، قالت : فأخذته على حياء فشربت منه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ناولي صواحبك ، فقلن : لا نشتهيه ، فقال صلى الله عليه وآله : لا تجمعن جوعاً وكذباً ، قالت : فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله : إن قالت إحدانا لشئ لا نشتهيه أيعد ذلك كذباً ؟

قال صلى الله عليه وآله : **«إن الكذب ليكتب حتى الكذيبة كذيبة»** (١).

وأما الأكاذيب التي تقال في مقام المجاملة بين الناس كأن يكون لديه طعامه ويقول لمن معه : تفضل دون أن يكون جاداً في ذلك بل يمكن أن يكون غير راغب بذلك أو أن يقول تفضل إلى المنزل مع أنه لا يرغب في ذلك وأمثال هذه الأمور ولكونها ليست خبراً حتى يقال عنه كذب وحرام بل هي من قبيل الإنشاء ، لكن لا بدَّ من الاحتياط في

---

(١) سفينة البحار: ٢ / ٤٧٣.

ترك هذه المجاملات لأنها تخالف في هذه الحالات باطن وظاهر الشخص وهذه نفسها مرتبة من النفاق .

وروي في البحار ما مضمونه: أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان ذات يوم مع ولده إسماعيل في أحد المجالس فدخل أحد أصحاب الإمام عليه السلام وألقى السلام ثم جلس ، بعد برهة قام الإمام خارجاً فرافقه ذلك الصاحب حتى وصلوا إلى بيت الإمام فتركهما ودخل الإمام وولده إسماعيل إلى البيت فسأله إسماعيل : لماذا لم تدعه للدخول ؟ فقال عليه السلام : لأن دخوله لا مورد له فقال إسماعيل لو دعوته لما دخل أصلاً فقال عليه السلام : لا أحب أن أكتب من العراضين به»[١] .

الأحلام المفتعلة حرام أيضاً

ومن أقسام الكذب أيضاً الأحلام المفتعلة ، كأن يقول رأيت في نومي كذا وكذا مع أنه لم ير ذلك أو أن ينسب رؤيا لآخر مع أن ذلك غير صحيح .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«إن من أعظم الذنوب أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه في المنام ما لم تر أو يقول علي ما لم أقل»**[٢] .

ومن أقسام الكذب أيضاً اختراع القصص الخيالية والجعلية التي لا أساس واقعي لها .

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«شر الرواية رواية الكذب»**[٣] .

---

(١) بحار الأنوار: ١٦ / ٢٤١ ـ باب العرض على أخيك ـ.

(٢) بحار الأنوار: ١٥ / ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه.

هل الأمثال أيضاً كذب ؟

الأمثلة التي تقال حول الأمور المحسوسة لإفهام المطالب العقلية والحكايات عن لسان الحيوانات أو النبات والجمادات حتى تفهم قدرة وحكمة الله أو من أجل تعليم الأخلاق الفاضلة وإيضاح الآثار الجيدة للصفات الحميدة والسلوك الحسن أو الآثار والنتائج السيئة للأخلاق الرذيلة والسلوك اليسيء مثل مقالة الحيوانات في كتاب إخوان الصفا ومثل كتاب كليلة ودمنة اللذين ألفا من أجل تهذيب الأخلاق ، فلا شك في صحة جواز ذلك، بل هي أفضل كلمات الحكمة وأكثر الكلام تأثيراً ووعظاً ونصيحة في قالب الحكاية وهذا واضح إذ إنه أمر وجداني فالموعظة والنصيحة ضمن قصة أنضل وأقوى وأكثر تأثيراً .

وقد نقل أهل البيت عليهم السلام أنهم كثيراً ما كانوا ومن أجل إثبات أمر يبينونه ضمن حكاية .

شتم الإمام الحسن عليه السلام وضرب المثل :

كان الإمام المجتبى عليه السلام في مجلس معاوية عليه الهاوية الذي عقده للنيل من الإمام عليه السلام ووالده وليتفاخر بنفسه ، فتجاسر كل واحد من الموجودين وكان الإمام عليه السلام يجيب كل فرد بفرده إلى أن جاء في جوابه لكلمات ابن عثمان القبيحة : «**أما أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن حقيقاً لحمقك أن تتبع هذه الأمور فإنما مثلك مثل البعوضة إذا قالت للنخلة : استمسكي فإني أريد أن أنزل عنك فقالت لها النخلة : ما شعرت بوقوعك فكيف يشق عليَّ نزولك**» .

الاستماع للكذب حرام أيضاً

كما يجب أن يعلم أنه كما أن الكذب حرام على الكاذب ، فنقل الآخر له حرام أيضاً وهكذا تأييده وكتابته أو قراءته والاستماع إليه فهو أيضاً حرام ويقول سبحانه ذاماً اليهود والمنافقين في عدة أماكن من القرآن الكريم :

﴿سَماعُون لِلكَذب﴾ فقد روى الصدوق : سئل الإمام الصادق عليه السلام : أيحل الاستماع لهم ؟ فقال عليه السلام : لا ، من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

وقد روي حديث يشابهه في المضمون عن الإمام الباقر عليه السلام.

ومن شواهد حرمة الاستماع إلى الكذب الآية الشريفة **﴿ واجتنبوا قول الزور﴾** وآية **﴿والذين لا يشهدون الزور﴾** وقد مرَّ معنا سابقاً أن قول الزور هو الكذب وتشمله أيضاً أدلة حرمة الجلوس في مجلس المعصية وأدلة وجوب الإعراض عن المنكر والنهي عنه ، وواضح أن الكذب معصية، ومنكر فإذا المستمع إلى الكذب لم يجتنب قول الزور وحضر في مجلس المعصية ولم ينته عن المنكر أيضاً .

الأماكن التي يجوز فيها الكذب

١ - كل ما كان يمكن أن يصيب ضرر في ماله أو روحه أو عرضه أو يصيب الآخرين من المسلمين ويمكن دفع هذا الضرر بالكذب ، جاز ذلك اضطراراً فلا مانع أيضاً من القسم . بل يجب في بعض الأحيان مثل موارد الضرر الفاحش كالضرر الروحي .

مثلاً: يريد أحد الظلمة أن يأخذ مسلماً لقتله أو ضربه أو هتكه ، أو أن يأخذ ماله أو يسجنه فيسألك عن مكانه ، فإذا أرشدته ارتكبت حراماً فيجب أن تنكر وإذا لزم الأمر فاقسم أنك لا تعرف مكانه .

أو كأن يكون مال مسلم لديك أمانة وطالبك به أحد الظلمة فيجب عليك أن تنكر وإذا أمكن دفع شره بالقسم وجب عليك أن تقسم .

اليمين الكاذبة لإنقاذ المسلمين

الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة ومن جملتها ، ما نقله الشيخ الأنصاري عليه الرحمة في المكاسب عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «احلف بالله كاذباً ونجِّ أخاك من القتل» [(١)].

وفي صحيحة اسماعيل بن سعد عن الإمام الرضا عليه السلام قال سألته عن رجل يخاف على ماله من السلطان فيحلف له لينجو به منه ؟ قال عليه السلام : لا بأس . وسألته هل يحلف الرجل على مال أخيه كما يحلف على مال نفسه ؟ قال عليه السلام : نعم [(٢)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«فأما اليمين الذي يؤجر عليها الرجل إذا حلف كاذباً لم تلزمه الكفارة فهو أن يحلف الرجل في خلاص امرئ مسلم أو خلاص ماله من متعدٍّ عليه من لص أو غيره»** [(٣)].

ليس ذلك للمال القليل

وهنا لا بدَّ من ذكر ملاحظتين :

الأولى: صحيح أنه يجوز ذلك مطلقاً لرفع الضرر ، لكن إذا كان ضرراً مالياً ويمكن تحمله فيستحب له أن يتحمل ذلك الضرر ولا يكذب كما هو وارد عن أمير المؤمنين:

---

(١) الوسائل: ١٦ / ١٣٤ باب ١٢ ح ٤ .
(٢) الوسائل: ١٦ / ١٣٤ باب ١٢ ح ١ .
(٣) الوسائل: ١٦ / ١٣٥ باب ١٢ ح ٩ .

«علامة الإيمان أن يؤثر الصدق حيث يضرك عن الكذب حيث ينفعك» [١].

الثانية : أن يواري قدر المكان : لأن المشهور بين الفقهاء أنّه يجب أن يواري ما أمكنه في هذا المقام، فالاحتياط أن يفعل ذلك إذا لم يكن هناك ضرر وحرج فيدفع الضرر بالتورية لا بالكذب .

إصلاح ذات البين

٢ ـ من الموارد التي يجوز فيها الكذب مورد الإصلاح، يعني إذا وقع خلاف وجدال ونزاع بين مسلمين وكان طريق الإصلاح بينهما منحصراً بالكذب جاز له ذلك، أو إذا كان بالإمكان أن يمنع العداوة بين مسلمين بالكذب ، مثلاً وقع خلاف بين امرأة وزوجها وخيف أن ينجر الأمر إلى الطلاق جاز له أن يكذب مثلاً كأن يقول للزوج زوجتك متضايقة جداً من فراقك ، وهي متعلقة بك إلى درجة أنها قد تمرض وأن يقول للزوجة ما يشبه هذا الكلام وبهذه الطريقة يعيد الألفة بينهما ويمنع افتراقهما .

التخفيف من حدة الرسالة

عن الصادق عليه السلام : **«الكلام ثلاثة : صدق وكذب وإصلاح بين الناس ، قيل له: جعلت فداك وما الإصلاح بين الناس ؟ قال عليه السلام : تسمع من الرجل كلاماً تبلغه فتخبث نفسه فتقول : سمعت فلاناً قال فيك من الخير كذا وكذا....»** [٢].

وحاصل الكلام إذا حمَّلك أحد رسالة قاسية لتوصلها إلى شخص آخر تؤذيه بها ولكي تصلح بينهما تقول خلاف ما سمعت مثلاً : لقد مدحك فلان وقال عنك الكلام

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١١٧ باب اليمين ح ٤ .

(٢) الوسائل : ٨ / ٥٧٩ باب ١٤١ ح ٦ .

الحسن الكذائي.

في صحيحة معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام : **«المصلح ليس بالكذاب»** [١].

ولفظ كذاب صيغة المبالغة وحسب الظاهر فهي إشارة إلى أنه حتى لو بالغ في الكذب من أجل الإصلاح فليس ذلك كذباً.

في وصية النبي صلى الله عليه وآله: **«يا علي ! إن الله تعالى أحب الكذب في الصلاح وأبغض الصدق في الفساد»** [٢].

الإصلاح عبادة كبيرة

عن النبي صلى الله عليه وآله: **«ما عمل امرؤ عملاً بعد إقامة الفرائض خيراً من إصلاح بين الناس يقول خيراً وينمي خيراً»** [٣].

وفي ضمن وصية أمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام: **«إني سمعت جدكما يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»** [٤].

يتضح لنا مما ذكر حول جواز الكذب في الإصلاح أهمية هذه العبادة الكبيرة فقد عرفنا حرمة الكذب وشدة عقوبته، ولكن ذلك جائز في هذا المورد بل يستحب، وقد يجب في بعض الموارد وسر هذا الأمر أن السعادة الدنيوية والأخروية ونيل الحياة المادية والروحية موقوف على الاجتماع وعلى اتحاد القلوب ، فإذا اجتمع البشر وتحابوا واعتبر الواحد منهم ما ينفع الآخرين ينفعه وما يضر الآخرين يضره وتمنى للآخرين ما تمناه لنفسه، وهكذا فلا شك أن حياتهم الدنيوية ستؤمن على أفضل وجه

---

(١) الوسائل: ٨ / ٥٧٨ باب ١٤١ ح ٣.

(٢) الوسائل: ٨ / ٥٧٨ باب ١٤١ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ١٥.

(٤) نهج البلاغة يبدو أن المراد من الحديث الصلاة والصيام المستحب بقرينة الحديث النبوي الذي ذكر.

وسيصلون إلى السعادة الأخروية الباقية والكمالات المعنوية والروحية، لأن اتحاد القلوب واتصالها في الله سبب لتقويتهم أمام الحملات والوسوسات الشيطانية ، وقد يصل الأمر بهم أحياناً إلى أن يقفلوا طرق الشياطين على قلوبهم تماماً.

الماء القليل والكر - التأثير والتأثر :

مثل اجتماع واتحاد القلوب في عالم المعنى مثل اجتماع الماء القليل في مكان واحد أقل من كر، فإذا ما لاقى النجاسة تأثر وأصبح متنجساً، أما إذا وضع الماء القليل في المكان وأضيف إليه مثله حتى أصبح كثيراً وكراً فلا يتأثر بملاقاة النجاسة فلا يتنجس بل يصبح من المطهرات .

وإذا صار أحد هذه القلوب المتحدة مورد العناية والرحمة الإلهية أيضاً فستشمل هذه العناية والرحمة الجميع قطعاً بحكم الاتحاد هذا إضافة إلى الآثار الوضعية من قوة شوكة الإسلام والمسلمين [١].

الكذب في الحرب

وقد ورد في بعض الروايات جواز الكذب في الحرب مع الكفار إذا كانت الغلبة على الأعداء تحصل بسببه .

الوعد للزوجة:

ومن الكذب وعد الزوجة مثل أن تطلب الزوجة من زوجها شيئاً فيعدها به مع أنه

(١) يتضح من هذا المطلب سبب الفضيلة لصلاة الجماعة والثواب العظيم لمواساة الإخوة والإيثار لهم والزيارة واللقاء والمصافحة والتقبيل والثواب للإصلاح بين شخصين والمحبة في الله لأن هذه الأمور وأمثالها سبب لتقوية واتحاد القلوب .

لا يقصد الوفاء بهذا الوعد .

تجويزه مشكل :

لكن ولكون سند هذا القسم من الروايات ضعيف فتجويزه مشكل إلا أن يكون مكرهاً أو مضطراً .

كمثل أن تسبب له إزعاجاً إذا لم يعدها أو إيذاءً أو إذا سبب عدم الوعد الوصول إلى الطلاق لا سمح الله .

الكذب في مقام الخوف والرجاء

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إياكم والكذب فإن كل راج طالب وكل خائف هارب**»[1].

إذاً من لوازم الرجاء للثواب الإلهي السعي في الأعمال الصالحة وإذا لم يكن هذا الأمر فيكم كنتم كاذبين ، فإذا كان المرء خائفاً من شئ عليه أن يفر منه ، فإذا كنتم صادقين في خوفكم من العذاب الإلهي فيجب أن تفروا من المعصية التي هي سبب الابتلاء في العذاب وإلا كنتم كاذبين .

وفي خطبته عليه السلام في نهج البلاغة يقول: «**يدعي بزعمه أنه يرجو الله ، كذب والعظيم وما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء الله فإنه مدخول وكل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول...**»[2].

ونظير الادعاء بالخوف والرجاء سائر المقامات الدينية والروحية مثل مقام الصبر والشكر ، الرضا والتسليم التواضع والحلم ، وأمثال هذه الأمور .

---

(١) الكافي: ٢ / ٣٤٣ باب الكذب ح ٢١.

(٢) نهج البلاغة: ٢ / ٥٦ ح ١٦٠ .

إذاً من اعتبر نفسه من أهل هذه المقامات ولم يُر أثراً لهذه الصفات فيه كان كاذباً.

يجب أن يكون القول والحال واحداً:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة التكبير قال تعالى: يا كاذب أتخدعني؟ وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري....**».

وأحياناً يكون الإنسان يقول بلسانه: الله أكبر أما لسان حاله وعمله وقلبه يقول: الله أصغر «والعياذ بالله» فإذا قلت له انجز هذا العمل الخيِّر لله، أو اترك ذلك الشر في سبيل الله، لم يهتم ولكن إذا أعطيته مئة تومان أطاعك فوراً، أو إذا كان يخاف من أن يلحق به ضرر إذا ترك الخير أو إذا فعل الشر أو ابتلي بأذية فلان فعل ذلك مباشرة أو تركه، أو إذا كان الفعل لله فقط وفقط لم يفعله.

الكذب في مقام إظهار العبودية:

ومن جملة ذلك الكذب في جملة ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ فالظاهر أن الذي يقضي ليله ونهاره في مقام عبادة الدرهم والدينار والبطن والفرج وسائر الشهوات، وإذا اعتقد أيضاً استقلالية التأثير لأحد الأسباب الظاهرية وطلب منه العون واعتمد عليه كان كاذباً في قوله لهذه الجملة.

الكذب في الدعاء والمناجاة:

والكذب في الدعاء والمناجاة كثير ومن باب المثال نشير إلى مورد أو موردين، يقال في الدعاء «رضيت بالله رباً» في كفالتي وتربيتي مع سائر المخلوقات ...

والذي يسلم حقيقة بقضاء الله وقدره فلماذا يمتلئ قلبه غيظاً في الموارد التي تقع ولا يكون راغباً بها فيعلو صياحه وترتفع شكواه ؟ فيكون كذبه ظاهراً في هذه الكلمة .

هل هو صادق ؟

أو الذي يقول : «**إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت وإذا رأيت كرمك طمعت**» مع أنه أصلاً لا يفكر بذنوبه، وإذا خطرت على باله أحياناً لا يكترث ولا يتأثر ولا يطلب شيئاً من الكرم الإلهي وكذبه في ذلك واضح أيضاً .

أو عندما يقول : «**أبكي لخروج نفسي ....**» مع أنه لا يبكي وهذا كذب واضح وظاهر ويمكن أن يكون ما قاله الإمام السجاد عليه السلام: «**أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني**» إشارة إلى الكذب في الصلاة والدعاء والمناجاة [١].

الكذب مع الإمام

أو مثل ما يقول في محضر الإمام عليه السلام ما نقرؤه ضمن الزيارة: «**آخذ بقولكم عامل بأمركم مطيع لكم**» مع أنه لا يأخذ بقولهم ولا يعمل بأمرهم ولا يطيعهم ، إذا كذب هكذا شخص واضح ظاهر .

أو في جملة «**سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم**» مع أنه صديق لأعداء الدين يخالطهم ومعادٍ للمؤمنين وأصحاب الأئمة ومعرض عنهم أو كما في جملة «**التارك للخلاف عليكم**» مع أنه ليس كذلك في مقام العمل .

إذاً ما يجب أن نفعل بالأدعية ؟

إذا سئل ما يفعل الإنسان إذا ابتلي بالكذب مع الله في الذكر والدعاء أو الكذب مع

---

(١) دعاء أبي حمزة .

النبي أو الإمام عليه السلام ؟

تحتاج الإجابة عن هذا السؤال لشرح مفصل يخرجنا عن إطار هذه الرسالة لكن يجب أن نعلم بالإجمال أن الهدف من هذه التذكيرات هو أن نبتعد عن مرض العجب والغرور ، وعن الرضا عن النفس فيجب أن لا يفرح الإنسان بعمله، بل يجب أن يسعى لإصلاح عمله ولتزكية النفس حتى يصل إلى درجات ومقامات الصادقين ، لا أن ييأس والعياذ بالله فيترك العمل بحجة أنّه ليس من أهل الصدق ، فلا شك أن هذه الحال من الشيطان الذي يريد أن يحرمه من الثواب والدرجات والقرب الإلهي لأنه لا يوجد أحد في البداية كامل في الصدق بل نتيجة للسعي وللطلب في تحصيل الصدق يفيض عليه الفياض المطلق ويوصله إلى مقصوده .

ومن أجل المنع من اليأس في الدعاء نذكر بأمور :

إن الذين لا يعرفون هذه الكلمات مرتاحون لأن الألفاظ التي يتلونها سواء كانت من القرآن الكريم أو الذكر والدعاء الوارد عن الإمام يفعلون ذلك لأنها من الإمام ، ولا شك في أن نورانية هذه الكلمات المباركة ستترك أثرها فيهم وسيصلون إلى بعض مراتب الثواب ، وفي الإجمال لن تكون شبهة الكذب للذين لا يعرفون معاني هذا القسم من الكلمات .

المراتب نسبة لكل فرد

أما الذين يعرفون معنى هذه الكلمات فيجب أن يعلموا أن لهذه المعاني مراتب كثيرة ودرجات متفاوتة ومرتبتها الكاملة والعليا في المعصومين وأكثر المؤمنين غير محرومين من بعض مراتبها ، ولهذا فالأمل أن لا يكون في الوسط كذب . مثلاً كل المؤمنين لديهم مرتبة من مراتب الخوف والرجاء لأنها من لوازم الإيمان ﴿**وخافون إن**

كنتم مؤمنين﴾ [١].

لكن ونتيجة لعدم تزكية النفس وقوة الهوى والشهوات يبتلى الواحد منهم بالمعصية والتساهل في إطاعة الأوامر الإلهية كما هو في دعاء أبي حمزة الثمالي : **إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون ولكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي...»** [٢].

اليقين الصادق والكاذب :

وإجمالاً لا ينافي الإيمان بالله والخوف من العذاب الوقوع في المعصية نتيجة لغلبة هوى النفس كما في قضية أن كل الناس على يقين من أن جسد الميت لا يختلف عن الجماد، ولا يستطيع الحراك أو القيام بأي عمل، ولكن ونتيجة لغلبة القوة الواهمة على القوة العاقلة ، لا يستطيعون البقاء في الليلة المظلمة مع الميت في غرفة لا مصباح فيها، ويخافون من ذلك ، لهذا نقرأ في الدعاء اللهم امنحني يقيناً وإيماناً ألتزم بآثاره ونتائجه [٣].

ولا شك في أن الذي لديه مرتبة من مراتب الخوف ويطلب من ربه أن يمنحه خوفاً صادقاً أي خوفاً يمنعه من المعصية وعن كل ذنب وطلب ذلك بجدٍّ «أخافك مخافة الموقنين» فسيفيض الله عليه ذلك حتماً، وهكذا أيضاً بالنسبة لسائر الدرجات الدينية ولمقامات العبودية والطاعة .

كما هو وارد : «من طلب شيئاً وجدّ وجد».

نعم الصدق المطلق في جميع المقامات منحصر بمقام المعصوم عليه السلام ولهذا

---

(١) سورة آل عمران الآية :١٧٥ .

(٢) دعاء أبي حمزة .

(٣) الدعاء بالمضمون .

فالمراد من الصادقين في الآية الشريفة ﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾[١] هم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

اليمين الكاذبة

وهي القسم كذباً على شئ مضى أو الإخبار بشيء في الحال كأن يقول والله لقد فعلت كذا وهو لم يفعل، أو يقول:

أقسم بالله أن المال الفلاني هو لي مع أنه يعلم أنه ليس له.

وقد سمي هذا القسم في الروايات بـ«اليمين الغموس» وذلك لأنها تغمس بصاحبها في الإثم أو في النار.

وتسمى أيضاً باليمين الحالقة، فكما أن الشفرة تقتلع الشعر عن البدن فهذا القسم يقتلع الدين عن صاحبه، وتعتبر اليمين الكاذبة من الكبائر.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تعداد الكبائر: «**واليمين الغموس الفاجرة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾**»[٢].

---

(١) سورة التوبة الآية: ١١٩.

(٢) الوسائل: ٢٥٢ ح ١١.

آثار اليمين الكاذبة

١ - تورث العذاب الأليم:

اختصم امرؤ القيس ورجل من حضرموت إلى رسول الله ﷺ في أرض فقال ﷺ: ألك بينة ؟

قال: لا .

قال ﷺ : فبيمينه .

قال: إذاً والله يذهب بأرضي .

فقال ﷺ : إن ذهب بأرضك بيمينه كان ممن لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم .

قال: ففزع الرجل وردها إليه [١].

٢ - مبارزة الله تعالى :

عن الإمام الصادق عليه السلام : **«من حلف على يمين وهو يعلم أنه كاذب فقد بارز الله تعالى»** [٢].

٣ ـ تدع الديار من أهلها بلاقع:

وعن أبي جعفر عليه السلام قال رسول الله ﷺ : **«إياكم واليمين الفاجرة فإنها تدع**

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٥٨ح ٧٤٤.

(٢) الذنوب الكبيرة: ١ / ٢٦١ .

الديار من أهلها بلاقع» [١]

وفي رواية أخرى : «**إن في كتاب علي عليه السلام أن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها وتنغل في الرحم ، يعني انقطاع النسل»** [٢].

٤ - تورث الفقر :

عن الإمام الصادق عليه السلام : «**اليمين الصُّبر الكاذبة تورث العقب الفقر»** [٣].

من الآثار الأخرى :

فعن الإمام الصادق عليه السلام : «**اليمين الغموس ينتظر بها أربعين ليلة»** [٤].

وعنه عليه السلام : «**اليمين الغموس التي توجب النار الرجل يحلف على حق امرىء مسلم على حبس ماله»** [٥].

وعنه عليه السلام : «**إذا قال العبد علم الله وكان كاذباً قال الله عز وجل أما وجدت أحداً تكذب عليه غيري»** [٦].

وعنه عليه السلام قال: «**من قال الله يعلم ما لا يعلم اهتز لذلك عرشه إعظاماً له»** [٧].

---

(١) الكافي: ٧ / ٤٣٦ .

(٢) المصدر السابق: ٣٤٦ .

(٣) أخلاق أهل البيت : ٢٧ .

(٤) الكافي: ٧ / ٤٣٦ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق: ٤٣٧ .

(٧) الكافي: ٧ / ٤٣٧ .

تَرَفُّع الإمام السجاد عليه السلام عن القسم :

جاء في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أنَّ أباه – الإمام السجاد عليه السلام – كانت عنده امرأة من الخوارج ، فقال له مولى له : يا ابن رسول الله إن عندك امرأة تبرأ مـن جدك فقضى لأبي أنه طلقها فادعت عليه صداقها فجاءت به إلى أمـير المـدينة تستعديه فقال له أمير المدينة: يا علي، إمّا أن تحلف وإما أن تعطيها (حقها).**

فقال لي : قم يا بني فاعطها أربعمائة دينار .

فقلت له : يا أبه جعلت فداك ألست محقّاً ؟!

قال : بلى يا بني ولكني أجللت الله أن أحلف به يمين صُبر» [(١)].

إرشادات السيد المسيح عليه السلام

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «**اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا : يا معلم الخير أرشدنا .**

فقال عليه السلام : إن موسى عليه السلام نبي الله أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين» [(٢)].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال : «**لقد ساوى الله في القرآن الكريم بين شهادة الزور والشرك**» [(٣)] .

---

(١) الكافي: ٧ / ٤٣٥ .

(٢) المصدر السابق: ٤٣٤ .

(٣) المستدرك: ١٧ / ٤١٩ .

شهادة الزور:

من الأمور التي حرمتها الشريعة الإسلامية والتي تعتبر من مصاديق الكذب هي شهادة الزور التي هي من الكبائر فهي جريمة خطيرة تؤدي إلى سلب الحقوق من أهلها، وتبعث على الفساد والفوضى في المجتمع لأنها تساند المجرمين وتساعدهم على السلب والنهب وجرائم الابتزاز والتدليس .

شهادة الزور في القرآن الكريم :

في الصفات التي اتصف بها عباد الرحمن هو عدم شهادتهم بالزور كما قال تعالى في سورة الفرقان : ﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ (١).

وفي مورد آخر نهى الله سبحانه وتعالى عباده عن شهادة الزور بالإضافة إلى أنه ساوى بينها وبين الشرك بقوله تعالى :

﴿**واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ● حنفاء لله غير مشركين به**﴾(٢).

شهادة الزور من الكبائر :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «**أَلا أخبركم بأكبر الكبائر : الشرك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور**» (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل قال عليه السلام : «**والكبائر محرمة وهي الشرك بالله - إلى أن قال - وشهادة الزور**» (٤).

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٧٢ .

(٢) سورة الحج الآيتان : ٣٠ ـ ٣١ .

(٣) الوسائل: ٦ / ٢٥٨ .

(٤) وسائل الشيعة: ١٥ / ٣٣١ .

شهادة الزور تعادل الشرك بالله :

عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبته على المنبر : «**إن شهادة الزور تعادل الشرك بالله تعالى ثم تلا قوله تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾** »[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**لقد ساوى الله في القرآن الكريم بين شهادة الزور الشرك**» [٢].

شهادة الزور من الذنوب التي تحبس غيث السماء :

في حديث طويل عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام جاء فيه : «**والذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام في القضاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة..**»[٣].

الوعيد بالنار على شهادة الزور :

١ - عن الإمام الباقر : «**ما من رجل يشهد بشهادة زور على مال رجل مسلم ليقطعه إلا كتب الله له مكانه صكاً إلى النار**» [٤].

٢ - عن الإمام الصادق عليه السلام : «**شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار**»[٥].

٣ - عن رسول الله ﷺ: «**لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم**

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٧ / ٤١٦ .

(٢) المستدرك: ١٧ / ٤١٩ .

(٣) بحار الأنوار: ٧٠ / ٣٧٥ .

(٤) الكافي: ٧ / ٣٨٣ ح ١، ـ باب من شهد بالزور ـ .

(٥) الكافي: ٧ / ٣٧٣ ح ٢، ـ باب من شهد بالزور ـ، والمستدرك: ٧ / ٤١٥ باب شهادة الزور .

حتى يتبوأ مقعده من النار ...» [١].

٤ - وعنه أيضاً ﷺ: في حديث المناهي قال ﷺ: **«من شهد شهادة زور على أحد من الناس عُلِّق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار ومن حبس من أخيه المسلم شيئاً من حقه حرم الله عليه بركة الرزق إلا أن يتوب»**.

يجب أن تكون الشهادة عن علم :

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : **«لا تشهد بشهادة حتى تعرفها كما تعرف كفك»**[٢].

قال النبي ﷺ لمن سأله عن الشهادة ، قال ﷺ: «أترى الشمس ؟

قال : نعم .

فقال ﷺ: على مثلها فاشهد أو دع» [٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام : **«ليؤد الشاهد ما يشهد عليه وليتق الله ربه فمن الزور أن يشهد الرجل بما لا يعلم أو ينكر ما يعلم وقد قال الله عز وجل: ﴿واجتنبوا قول الزور ● حنفاء لله غير مشركين به﴾ فعدل - تبارك اسمه - شهادة الزور بالشرك»** [٤].

---

(١) المستدرك: ١٧ / ٤١٦ باب ٦ ح ١٢ .

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ٢٢٥ باب ٨ ح٣ .

(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ٢٥١ باب ٢٠ ح ٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ١٧ / ٤١٥ باب ٦ ح ٤ .

الآثار الوضعية للكذب

يمكننا أن نستنتج - إضافة لما تقدَّم - من خلال النصوص السابقة ومن خلال الوجدان آثاراً خطيرة للكذب على مستوى الحياة العملية نذكرها ضمن النقاط التالية :

النقطة الأولى :

أن الكذب يبعث على سوء السمعة وانعدام الوثاقة وسقوط الكرامة فترى الكاذب لا يوثق بكلامه ولا يصدق في عهوده ومواثيقه ولا تقبل شهادته .

النقطة الثانية :

أن الكاذب قد يضطر لأجل الدفاع عن فكرة كاذبة أن يكذب مرة ثانية وثالثة دعماً لفكرته وكذبته الأولى فتغدو أحاديثه هذراً مقيتاً ولغواً فاضحاً .

النقطة الثالثة :

التناقض في كلام الكاذب لأن من خصائص الذي يكذب أنه ينسى أكاذيبه ويختلق ما يخالفها فيقع في كلامه التناقض . فعن علي عليه السلام : **«شر القول ما نقض بعضه بعضاً»** (١).

النقطة الرابعة :

أنه باعث على انعدام الوثاقة بين أفراد المجتمع مما يؤدي إلى إشاعة أحاسيس التوجس والتناكر . من هنا ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله :

---

(١) غرر الحكم : ٤١٢٩ .

«الكذاب والميت سواء فإن فضيلة الحي على الميت الثقة به فإذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته» [١].

النقطة الخامسة :

أنه يبعث على إضاعة الجهود والوقت من أجل تمييز الحق من الباطل والكذب من الصدق.

النقطة السادسة :

الآثار الروحية السيئة التي تنعكس على شخصية الكاذب بسبب عدم الوثاقة به بل قد يؤدي هذا الأمر إلى انزوائه عن مجتمعه ومحيطه إذا ما استمر على هذه الحالة . «هذا طبعاً إذا كان المجتمع ينبذ مثل هذه الشخصيات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» .

الآثار الوضعية لليمين الكاذبة وشهادة الزور

نضيف إلى ما تقدم جملة من الآثار المترتبة على هاتين الكبيرتين ضمن النقاط التالية :

النقطة الأولى :

أن مقترف اليمين الكاذبة وشهادة الزور يعرض نفسه للغضب الإلهي كما مرَّ في الأحاديث السابقة .

(١) غرر الحكم : ٤٣٨٦ .

النقطة الثانية :

فيه تشجيع لمن شهد له أو حلف له كذباً وزوراً على بخس حقوق الآخرين وسلب أموالهم وممتلكاتهم .

النقطة الثالثة :

الإساءة إلى من شهد أو حلف ضده زوراً وبهتاناً حيث أدى ذلك إلى خذلانه وهدر كرامته وإضاعة حقه .

النقطة الرابعة :

الإساءة إلى المجتمع من خلال إشاعة الفوضى والفساد فيه وإضاعة وتحطيم قيمه الأخلاقية والدينية .

النقطة الخامسة :

الإساءة إلى الشريعة الإسلامية لأن في ذلك تحدٍّ لقيمها ومبادئها ومخالفة لدستورها المقدس الذي يجب تطبيقه والمحافظة عليه .

علاج الكذب

بعد أن استعرضنا الكذب بأقسامه ومراتبه وأنواعه وما يترتب عليه من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة على المستوى الفردي والجماعي نذكر جملة من النصائح التي يمكن العمل بها من أجل التخلص من هذا المرض الخطير والمدمر .

النصيحة الأولى :

أن يقرأ الأحاديث التي مرَّ ذكرها حول مساوئ الكذب ومخاطره على نفسه ومجتمعه بتدبر وتأمل وأن يعمل بها .

النصيحة الثانية :

أن يستعرض فضائل الصدق ومحاسنه وأن يقرأ الروايات التي تتحدث عن الصدق وعظمته فالصدق صفة من صفات الله، وصفة من صفات أنبيائه عليهم السلام وأوليائه بل إن نظام الخليقة بأكمله قائم على الصدق فحري بالإنسان أن يتصف بهذه الصفة الإلهية لأنها المنجاة له يوم لا ظل إلا ظله عز وجل . وهاتان النصيحتان قائمتان على قاعدة الترغيب والترهيب .

النصيحة الثالثة :

أن يروض نفسه على مجانبة الكذب والابتعاد عنه وعلى الالتزام بالصدق والعمل به وأن يدأب على ممارسة هذه الرياضة النفسية حتى يتبرأ من هذا الخلق الذميم ويتحلى بالصدق تلك الصفة الإلهية العظيمة .

ذو الوجهين واللسانين

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«من لقي المسلمين بوجهين ولسانين
جاء يوم القيامة وله لسانان من نار».

ثواب الأعمال: ٢٤٠.

مقدمة

لقد حثّت الشريعة الاسلامية أتباعها على أن يكون التعاطي بينهم تسوده المحبة والرحمة فكان الأخير منها صفة للمؤمنين كما قال تعالى : ﴿**رحماء بينهم**﴾.

وهذا النوع من العلاقة القائمة يقتضي الشفافية بين المؤمنين ليؤمن لأفراد المجتمع الإسلامي الحماية من التشتّت والتعثر وغياب روح المحبة والرحمة فيما بينهم فكان لا بدّ من وضع سياج ودرع يصونهم من الفرقة ويبعدهم عن النفاق، فيما بينهم فإذا بحفظة الشريعة محمد ﷺ وآله الطاهرين يحثون أتباعهم على العيش بسلام بعيداً عن التلون والتعدد في القول والفعل أو التعدد في الوجه واللسان لِتُذَمَّ هذه الخصلة الدنيئة ويتبيَّن للمجتمع الإسلامي خطرها وعواقبها في الدنيا والآخرة . لتضمن لهذا المجتمع ولأفراده نظام المرآتية بعضهم لبعض «المؤمن مرآة أخيه المؤمن».

فإذا تعدد وجهه أو لسانه فإن صفاء هذه المرآة سيذهب فبدلاً من أن يكون هذا المؤمن مرآة لأخيه تعكس له - وحده- عيوبه تصبح مرآة له وعليه . مرآة له فيطري عليه بالعبارات المنمقة ويظهر له الحب والود والاحترام .

ومرآة عليه حيث يقول في غيبته ما لا يرضى من القول فيستهينه ويقلّل من قيمته لا يدع عيباً إلّا وضعه فيه . ليكون هذا العامل من العوامل التي تشيع النفاق بين المسلمين وما أفظعها من حالة حينما ينقلب المسلمون المؤمنون إلى مسلمين - بلسانهم - منافقين في حقيقتهم وواقعهم.

بيان حول ذي الوجهين واللسانين لبعض المحققين :

قال بعض المحققين : ذو اللّسانين هو الذي يأتي هؤلاء بوجه ويتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ، وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق .

وقال بعضهم : اتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق ، وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها :

فإن قلت : فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حدُّ ذلك ؟ فأقول : إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقاً فيه لم يكن منافقاً ولا ذا اللسانين ، فإن الواحد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوة .

إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء ، نعم لو حمل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة، إذ يصير نماماً بأن ينقل من أحد الجانبين فإن نقل من الجانبين فهو شر من النميمة وإن لم ينقل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين ، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما أنه ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته ، وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين ، بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه .

قيل لبعض الصحابة : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال : كنا نعد ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ ، وهذا نفاق مهما كان مستغنياً عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه ، فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إليه وإن كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه، فلو دخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق ، وهذا معنى قوله ﷺ : «**حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء**

البقل» لأنه يحوج إلى الأمراء ومراعاتهم ومراءاتهم ، فأما إذا ابتلي به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور ، فإن اتقاء الشر جائز .

وقال أبو الدرداء : إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتبغضهم ، وقالت عائشة : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : **«آئذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ، فلما دخل أقبل عليه وألان له القول فلما خرج قالت عائشة : قد قلت بئس رجل العشيرة ، ثم ألنت له القول ، فقال : يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره»** ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم .

وأما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب لمثلهما ، بل لا يجوز الثناء و لا التصديق وتحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل ، فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر بلسانه وبقلبه ، فإن لم يقدر فليسكت بلسانه ولينكر بقلبه[1] .

بعض ما ورد في ذم هذه الخصلة :

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«بئس العبد له وجهان : يقبل بوجه ويدبر بوجه آخر إن أوتي أخوه المسلم خيراً حسده ، وإن ابتلي خذله»**[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : **«من شر الناس عند الله عز وجل يوم القيامة ذو الوجهين»**[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم**

---

(١) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) نوادر الراوندي: ٢٢ .

(٣) الخصال: ١ / ٢٠ .

القيامة وله لسانان من نار» [١].

وعن عمار قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»** [٢].

وعن عبد الرحمٰن بن حماد رفعه قال: قال الله تبارك وتعالى لعيسى: يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك إني أحذرك نفسك وكفى بي خبيراً، ولا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان».

قال المجلسي في بحاره معلقاً على هذه الرواية تحت عنوان بيان:

«لساناً واحداً» أي لا تقول في الأحوال المختلفة شيئين مختلفين للأغراض الباطلة، فيشمل الرثاء والفتاوى المختلفة، وما ذكره «وكذلك قلبك» أي ليكن باطن قلبك موافقاً لظاهره، إذ ربما يكون الشئ كامناً في القلب يغفل عنه نفسه كحب الدنيا فينخدع ويظن أنه لا يحبها، وأشباه ذلك.

ثم يظهر له ذلك في الآخرة بعد كشف الحجب الظلمانية النفسانية أو في الدنيا أيضاً بعد المجاهدة والتفكر في خدع النفس وتسويلاتها، ولذا قال سبحانه بعده «إني أحذرك نفسك» وقد قال تعالى: **﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾** [٣].

ويحتمل أن يكون المعنى: وكذلك ينبغي أن يكون قلبك موافقاً للسانك فلا تقول ما ليس فيه، أو المعنى أنه ما يجب أن يكون اعتقاد القلب واحداً وأصلاً إلى حد اليقين، ويطمئن قلبه بالحق ولا يتزلزل بالشبهات، فيعتقد اليوم شيئاً وغداً نقيضه، أو يجب أن تكون عقائد القلب متوافقة متناسبة لا كقلوب أهل الضلال والجهال، فإنهم يعتقدون الضدين والنقيضين لتشعب أهوائهم وتفرق آرائهم من حيث لا يشعرون،

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٤٠.

(٢) الخصال: ١ / ٢٠.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٢٨.

كاعتقادهم بأفضلية أمير المؤمنين وتقديمهم الجهال عليه ، واعتقادهم بعدله تعالى وحكمهم بأن الكفر وجميع المعاصي من فعله ويعذبهم عليها .

واعتقادهم بوجوب طاعة من جوزوا فسقه وكفره ، وأمثال ذلك كثيرة .

أو المعنى أن المقصود الحقيقي والغرض الأصلي للقلب لا يكون إلا واحداً ولا تجتمع فيه محبتان متضادتان ، كحب الدنيا والآخرة، وحب الله وحب معاصيه والشهوات التي نهى عنها، فمن اعتقد أنه يحب الله تعالى ويتبع الهوى ويحب الدنيا ، فهو كذي اللسانين الجامع بين مؤالفة المتباغضين فإن الدنيا والآخرة كضرتين .

وطاعة الله وطاعة الهوى كالمتباغضين ، فقلبه منافق مدينة كبيرة لها حصن منيع هو القلب بل هو العالم الصغير من جهة والعالم الكبير من جهة أخرى والله سبحانه هو سلطان القلب ومدبره بل القلب عرشه وحصنه بالعقل والملائكة ، ونوره بالأنوار الملكوتية .

واستخدامه القوى الظاهرة والباطنة والجوارح والأعضاء الكثيرة ولهذا الحصن أعداء كثيرة من النفس الأمارة ، والشياطين الغدارة ، وأصناف الشهوات النفسانية ، والشبهات الشيطانية .

فإذا مال العبد بتأييده سبحانه إلى عالم الملكوت ، وصفي قلبه بالطاعات والرياضات عن شوك الشكوك والشبهات وقذارة الميل إلى الشهوات ، استولى عليه حبه تعالى ومنعه عن حب غيره ، فصارت القوى والمشاعر وجميع الآلات البدنية مطيعة للحق ، منقادة له .

ولا يأتي شئ منها بما ينافي رضاه ، وإذا غلبت عليه الشقوة وسقط في مهاوي الطبيعة استولى الشيطان على قلبه ، وجعله مستقر ملكه ونفرت عنه الملائكة ، وأحاطت به الشياطين وصارت أعماله كلها للدنيا ، وإرادته كلها للهوى فيدعي أنه يعبد الله وقد نسي الرحمن وهو يعبد النفس والشيطان فظهر أنه لا يجتمع حب الله وحب الدنيا و ومتابعة الله ومتابعة الهوى في قلب واحد ، وليس للإنسان قلبان حتى

يحب بأحدهما الرب تعالى ويقصده بأعماله ويحب بالآخر الدنيا وشهواتها .

ويقصدها في أفعاله كما قال سبحانه: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ ﴾.

ومثل سبحانه لذلك باللسان والسيف فكما لا يكون في فم لسانان ، ولا في غمد سيفان، فكذلك لا يكون في صدر قلبان .

ويحتمل أن يكون اللسان لما مرَّ في ذي اللسانين ، وأما قوله: «فكذلك الأذهان» فالفرق بينهما وبين القلب مشكل ، ويمكن أن يكون القلب للحب والعزم والذهن للاعتقاد الجزم ، أي لا يجتمع في القلب حب الله وحب ما ينافي حبه سبحانه ، من حب الدنيا وغيره، وكذلك لا يجتمع الجزم بوجوده تعالى ، وصفاته المقدسة وسائر العقائد الحقة ، مع ما ينافيه من العقائد الباطلة والشكوك والشبهات في ذهن واحد كما أشرنا إليه سابقاً وقيل : يعني كما أن الظاهر من هذه الأجسام لا يصلح تعددها في محل واحد و كذلك باطن الإنسان الذي هو ذهنه وحقيقته لا يصلح أن يكون ذا قولين مختلفين ، أو عقيدتين متضادتين وقيل : الذهن الذكاء والفطنة ولعل المراد هنا التفكر في الأمور الحقة النافعة ، ومبادئها وكيفية الوصول إليها ، وبالجملة أمره بأن يكون لسانه واحداً وقلبه واحداً وذهنه واحداً [١].

هذا آخر ما أردنا ذكره في هذا البحث وفيه الكفاية لمن أراد الهداية .

---

(١) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٠٧ - ٢٠٩ .

الجدال، المراء، الخصومة

عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والجدال وإن كان محقاً» .

بحار الأنوار: ٢ / ١٣٩ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

«إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق» .

المصدر السابق.

الجدال والمراء والخصومة

لقد ذم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هاتين الخصلتين في كثير من الموارد لما لهما من الآثار السلبية حيث إنهما يحولان سدّاً في وجه الكشف عن الحقيقة والواقع .

ومن هذه الآيات التي تتحدث عن ذلك .

قوله تعالى : ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَ كَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ (١).

﴿وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢).

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣) .

﴿وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ (٤).

---

(١) سورة الكهف الآية: ٤٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٢١ .

(٣) سورة الشورى الآية : ١٨ .

(٤) سورة القمر الآية : ٣٦.

الفرق بين الجدال والمراء والخصومة [١]:

إن كلمة «جدل» و«جدال» كما يقول الراغب في مفرداته «جدلت الحبل» أي شددته والجدل شدة الفتل وكأن المجادل يريد من خلال كلامه الجاد مع الخصم أن يبعده بالقوة من أفكاره وعقائده .

وذكر البعض أن «الجدال» في الأصل بمعنى المصارعة والسعي للتغلب على الآخر وطرحه على الأرض ، وبما أن الشجار اللفظي والكلامي يشبه هذ المعنى إلى حدٍّ كبير استخدمت هذه الكلمة في هذا المعنى .

وبالطبع فإن الجدال على قسمين : الجدال بالحق والجدال بالباطل والأول ممدوح والثاني مذموم ومن ذلك نجد أن القرآن الكريم يقول في مورد ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [٢].

وهنا نجد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مأمور بجدالهم بالحق وورد ذلك إلى جانب الحكمة والموعظة الحسنة .

أما الجدال بالباطل فهو ما ورد في الآيات المذكورة آنفاً من أن بعض الأشخاص يتحركون في كلامهم ونقاشهم من موقع التعصب والعناد ، وبذلك ينكرون أوضح دلائل الحق من خلال هذا الجدال .

وأما «المراء» على وزن حجاب فهو بمعنى المحادثة والمكالمة في شئ يكون مرية أي شك وترديد. ويقول الراغب في مفرداته : إنها في الأصل من «مريت الناقة» أي حلبتها ثم قيلت لكل كلام يكون في موضوعه الشك والترديد «ولعل ذلك مع كون الإنسان متردداً في وجود اللبن في ضرع الناقة أو لا».

---

(١) الأخلاق في القرآن الكريم للشيرازي: ٣ / ٢٤٢ - ٢٥٢ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

وذهب بعض إلى تعبير أدق من ذلك حيث يرى أن الجذر الأصلي لهذه الكلمة في قولهم «مريت الناقة» هو فيما لو حلبت الناقة قبل ذلك ثم جاء أحدهم بأمل أن يكون من اللبن بقية في الضرع فيحلبها مع هذا الشك والترديد.

وهكذا أطلقت على المناقشة الكلامية في البحوث المقترنة مع الشك .

ولكن هذه المفردة استخدمت بعد ذلك في كل نوع من البحث الكلامي وعن أي موضوع كان محل شك وترديد سواءً كان بحثاً إيجابياً وطلباً للحق، أو كان بدافع من العناد والخصومة واللجاجة .

ومن الموارد التي استخدم فيها المراء بالمعنى الإيجابي ما ورد في الآية الشريفة ٢٢ من سورة الكهف حيث تخاطب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حول مجادلته عن أصحاب الكهف مع مخالفيه وتقول **﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً﴾** [١].

أما الموارد المستعملة في المعنى السلبي فكثيرة ومنها ما تقدم من الآيات أعلاه.

والجدير بالذكر أن مفردة (مرية) على وزن جزية وقرية بمعنى الترديد في العزم والتصميم وبعض ذهب إلى أنها بمعنى الشك المقترن بقرائن التهمة مثل «الريبة».

الجدال والمراء في الروايات الإسلامية :

نظراً إلى أن الجدال بالباطل يتسبب في إخفاء الحق وزيادة عناصر التعصب والخشونة وما يترتب على ذلك من المفاسد والأضرار الكثيرة . نرى أن الروايات الإسلامية قد نهت عن الجدال والمراء بشدة خاصة إذا كان بالنسبة إلى الأمور الدينية ومن ذلك :

١ ـ ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: **«ما ضلَّ قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا**

---

(١) سورة الكهف الآية : ٢٢.

الجدل»[١].

٢ – وهذا المضمون ورد أيضاً في حديث آخر مع تفاوت يسير عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال : **«ما ضلَّ قوم إلا أوثقوا بالجدل»**[٢].

٣ – وقد ورد في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **«لعن الله الذين يجادلون في دينه أولئك ملعونون على لسان نبيه»**[٣] .

٤ – وفي حديث آخر عن هذا الإمام عليه السلام أيضاً أنه قال : **«الجدل في الدين يفسد اليقين»**[٤].

٥ – في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : **«إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل وتورث النفاق وتكسب الضغائن وتستجير بالكذب»**[٥].

والتعبير بالخصومة في الدين رغم أنها لا تنطوي تحت عنوان الجدال ولكنها من الموارد الشبيهة بهذا المعنى .

٦ – ونظير هذا المعنى ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال : **«إياك والخصومة فإنها تورث الشك وتحبط العمل وتردي بصاحبها»**[٦].

٧ – ومن نصائح لقمان الحكيم لابنه في ترك الجدال : **«يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك»**[٧].

٨ – ونقرأ في حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من طلب الدين بالجدل

---

(١) إحياء العلوم: ٣ / ١٥٥٣ .

(٢) بحار الأنوار: ٢ / ١٣٨ ح ٥٢ .

(٣) المصدر السابق: ١٢٩ ح ١٣ .

(٤) ميزان الحكمة: ١ / ٣٧٢ ـ باب الجدال المذموم ـ.

(٥) بحار الأنوار: ٢ / ١٢٨ ح٦ .

(٦) المصدر السابق: ١٣٤ ح ٣٠ .

(٧) مجموعة الورام: ١ / ١١٧ باب ما جاء في المراء والمزاح .

تزندق»[١].

٩ - قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لأحد أصحابه: **«أبلغ عني أوليائي السلام وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً ومرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيهم»**[٢].

١٠ - نختم هذا البحث بحديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن نسبة الإيمان والمراء والجدال حيث يقول: **«لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والجدل وإن كان محقاً»**[٣].

أما المراء الذي سبق وأن قلنا بالفرق بينه وبين الجدال فحاصل الكلام هو أن الجدال يعني كل شكل من أشكال الشجار اللفظي والنزاع الكلامي في حين أن المراء يأتي بمعنى المباحثة في شئ يكون فيه شك وترديد فتارة تكون هذه المباحثة بدافع من طلب الحق وتوضيح المطلب، وأخرى تكون بدافع من التعصب واللجاجة وإظهار التفوق والفضل على الطرف الآخر وهذه الحالة مذمومة جداً، وفي الروايات الإسلامية ينصب الذم على هذا النوع من المباحثة اللفظية، رغم عدم وجود تفاوت كبير بينه وبين الجدال.

١ - ورد في الحديث الشريف معنى المراء بما تقدم أعلاه فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: **«لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والجدل وإن كان محقاً»**[٤]

وهذه إشارة إلى أن المناقشة والمنازعة اللفظية من موقع اللجاجة وبدافع من إظهار التفوق والفخر على الآخر حتى في المسائل الحقة تكون سبباً في سقوط الإنسان على المستوى الأخلاقي والعقائدي.

---

(١) المحجة البيضاء: ١ / ١٠٧.

(٢) ميزان الحكمة: ١ / ٢٧٣.

(٣) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٠٨.

(٤) بحار الأنوار: ٢ / ١٣٩ ح ٥٣.

٢ - وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أيضاً بواسطة عدة أشخاص من الصحابة الذين قالوا : دخل رسول الله يوماً علينا ونحن نتمارى في شئ من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم قال : **«إنما هلك من كان قبلكم بهذا ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته ذروا المراء فأنا لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها وأوسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء»** [١].

٣ - وفي حديث آخر عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال : **«ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته»** [٢].

وهو إشارة إلى أن الشخص المماري يرى أنه لم يعرف نفسه ولا الآخرين ومثل هذا الشخص يعيش أجواء الحرمان من إدراك الحقائق الدينية قطعاً .

٤ - وجاء في حديث آخر أن رجلاً قال للإمام الحسين عليه السلام: اجلس أناظرك في الدين فأجابه الإمام : **«يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليَّ هداي فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه ، ما لي وللمماراة وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول ناظر الناس في الدين كي لا يظنوا بك العجز والجهل»** [٣].

٥ - وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«أربع يمتن القلوب الذنب على الذنب وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن ومماراة الأحمق تقول ويقول ولا يرجع إلى خير ومجالسة الموتى ، فقيل : يا رسول الله : وما الموتى ؟ قال : كل غني مترف»** [٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٢ / ١٣٩ ح ٥٠ .

(٢) المصدر السابق: ١٤٣ ح ٣١ .

(٣) المصدر السابق: ح ٣٢ .

(٤) المصدر السابق: ١٢٨ ح ١٠ .

٦ – جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق**»[١].

٧ – ولهذا فقد ورد في حديث آخر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال في خطاب له أمام حشد من المسلمين: «**أورع الناس من ترك المراء وإن كان محقاً**»[٢].

٨ – وفي رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**جِماع الشر اللِّجاج وكثرة المماراة**»[٣].

٩ – ونختم هذا البحث بحديث آخر عن سلمان الفارسي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا يؤمن رجل حتى يحب أهل بيتي وحتى يدع المراء وهو محق فقال عمر ابن الخطاب: ما علامة حب أهل بيتك ؟ قال: هذا ، فضرب بيده على عليّ بن أبي طالب عليه السلام**»[٤].

ولا شك أن هذين الموضوعين يرتبطان ببعضهما برابطة وثيقة حيث ذكرهما النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كلامه مقترنين ، ولعل هذه الرابطة من جهة أن دلائل فضل الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام إلى درجة من الوضوح والبداهة بحيث يقبلها كل إنسان يتحرك من موقع الإنصاف ويبتعد عن الجدال والمراء والخصومة ويهدف إلى طلب الحقيقة .

إن الروايات الشريفة في ذم المراء كثيرة جداً، وما ذكر من الروايات أعلاه إنما هي نماذج وعينات من هذا الباب والنظر الدقيق في هذه الأحاديث والروايات يكفي لكي يحيط الإنسان بأخطار هذا الخلق الذميم وعواقبه الوخيمة وآثاره المخربة على المستوى الفردي والاجتماعي .

---

(١) بحار الأنوار: ١٣٩ ح ٥٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٧ ح ٣

(٣) ميزان الحكمة: ٢ / ١٤٢٤ ـ باب جماع الشرور ـ.

(٤) سفينة البحار: مادة «مرأ»، وبحار الأنوار: ٢٧ / ١٠٧ ح ٧٩ .

الآثار السلبية للجدال والمراء :

إن التأكيدات الكثيرة الواردة في الآيات القرآنية والروايات المتواترة الإسلامية في ذم الجدال والمراء والخصومة في المباحثات الكلامية إنما هي من أجل أن أول نتائج هذا العمل المضرة وهذا الخلق السيىء هو التستر والتغطية على الحقائق بحيث يجعل بين الإنسان وبين الحقيقة حجاباً سميكاً وسحابة سوداء على بصيرة الإنسان بحيث لا يدرك معها أوضح البديهيات ويتحرك في مناقشاته من موقع إنكار الأمور الضرورية أو يدافع عن بعض المواضيع التي تدعو للسخرية .

وليس هذا إلا بسبب أن الإنسان عندما تتصاعد روح الجدال وتشتد حرارة الكلام فيه فإنه يقوم بإنكار كل ما لا يراه مصيباً في نفسه ولا يتوافق مع كلامه .

وبما مرَّ علينا من الروايات الشريفة تقرر أن الخصومة والجدال والمراء تـمرض القلب فإنه من الممكن أن تكون إشارة إلى هذا المعنى ، لأن القلب يأتي بمعنى العقل ومرض القلب بمعنى عدم درك الحقائق والواقعيات .

ولذا رأينا في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الأشخاص الذين يعيشون الجدال والمراء تكون عاقبتهم ومصيرهم إلى الكفر .

أو أن الجدال يسبب الشك في دين الله وفساد اليقين .

كل هذه إشارات لطيفة إلى ما تقدم آنفاً من أضرار الجدال والمراء .

والآخر من الآثار السلبية لهذه الصفة الأخلاقية الذميمة هو إيجاد العداوة والبغضاء بين الأصدقاء ونسيان ذكر الله تعالىٰ وجر الإنسان إلى الكثير من أنواع الكذب في الكلام حيث مرت الإشارة إلى ذلك في الأحاديث الشريفة السابقة .

والسبب في ذلك واضح لأن الشخص الذي يريد إثبات تفوقه على أقرانه من خلال الجدال والمراء فإنه يعمل على تحريك الطرف الآخر ضده ليحمي وطيس النقاش، وغالباً ما نجد في كلامه عناصر التحقير والسخرية بالطرف الآخر ، وهذا من

أسوأ أسباب النفاق وإيجاد العداوة بين الأشخاص وحتى أنه أحياناً ومن أجل تبرير كلامه يتوسل بأنواع الكذب .

وهذا بحدٍّ ذاته بلاء كبير آخر ومجموع هذه الأمور تؤدي بالإنسان إلى الابتعاد عن الله تعالى ويسقط في فخاخ الشيطان وشراكه وبالتالي يكون مصيره إلى الهلاك المعنوي والسقوط الإنساني .

ولهذا قرأنا في الأحاديث السابقة أن الإنسان لا يصل إلى حقيقة الإيمان إلا إذا ترك المراء والجدال حتى لو كان محقاً لأن النزاع اللفظي حتى في مسائل الحق والدين يتسبب في إيجاد أنواع الخصومات والعدوان، وأحياناً يجر الإنسان إلى ارتكابه الكثير من الذنوب من قبيل : تحقير المؤمن وإهانته بالكلام أو بالإشارة باليد والعين والكذب والتكبر وحب التفوق وأمثال ذلك .

مضافاً إلى هذا أن الجدال والمراء يذهب وقار الإنسان ويكسر من شخصيته ومروءته حيث ينفتح عليه لسان الجهلاء إذا اشترك في مجادلة معهم ويتسبب في هتك حرمته والإهانة له ، وإذا جادل العلماء فإنه يذوق مرارة الهزيمة ويفتضح أمره ويكشف عن جهله وحقارته .

ومن مجموع ما مرَّ وكما قرأنا في الروايات السابقة أن الجدال والمراء يعدان أحد الأمور الأربعة التي تؤدي إلى مرض قلب الإنسان وروحه.

فما أحسن بالإنسان أن يتباحث مع الآخرين من موقع المحبة والصداقة والتواضع بدافع من طلب الحق والحقيقة حيث يؤدي ذلك إلى زيادة علمه ومعرفته والاستفادة من علوم الآخرين لإيضاح الحقيقة أكثر وحل المشاكل العلمية العويصة والقيود المعرفية التي بإمكانها أن توصل الإنسان إلى أجواء المعرفة والاطلاع على المجهول وهذا هو الجدال الحق .

واقع الجدال والمراء :

ونظراً إلى وجود علاقة وثيقة بين الصفات الرذيلة في واقع الإنسان حيث ترتبط غالباً فيما بينها بعلاقة العلة والمعلول ، يتضح من ذلك أن هذه الصفة الذميمة أي الجدال والمراء والخصومة من موقع الجهالة ، تنشأ من صفات قبيحة أخرى .

١ ـ إن من العوامل المهمة للجدال والمراء هو حالة الكبر والغرور في النفس والتي لا تسمح للإنسان أن يذعن أمام الحق ، بل تدفعه لغرض حفظ التفوق على الطرف الآخر إلى سلوك طريق الجدال والمراء وإنكار ما يتضح له أنه الحق، ولذلك ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه‌السلام عن آبائه الكرام عليهم‌السلام : «**إن من التواضع أن يرضى الرجل بالمجلس دون المجلس وأن يسلِّم على من يلقى وأن يترك المراء وإن كان محقاً ولا يحب أن يحمد على التقوى**»[1].

٢ ـ وأحد الدوافع الأخرى للجدال والمراء والنزاعات اللفظية هو الظهور بمظهر المتفوق وإظهار الفضل على الآخرين وهذه الحالة متداولة كثيراً في أجوائنا الاجتماعية وخاصة في المجلس الذي يحضره جماعة من العوام ويريد هذا الشخص أن يظهر نفسه وفضيلته أمامهم أو يريد أن يفتح له مكاناً بين أرباب العلم والمعرفة ، وجاء في الحديث الشريف الذي ذكرناه سابقاً عن الإمام الحسين عليه‌السلام قوله : «**وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول ناظر الناس في الدين كي لا يظنوا بك العجز والجهل**» [2].

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه‌السلام حيث يقسم طلاب العلم إلى ثلاثة أقسام وطائفة منهم طلبوا العلم للجدال والمراء ، وطائفة أخرى للفخر على الناس ، وثالثة لغرض فهم الحقيقة والتعلم والعمل بذلك ثم يصف الإمام حال الطائفة الأولى ويقول:

---

(١) بحار الأنوار: ٢ / ١٣١ ح ٢٠ .

(٢) بحار الأنوار: ٢ / ١٣٥ ح ٣٢ .

«فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال» .

وفي ذيل هذا الحديث الشريف يلعن مثل هذا الشخص ويقول : **«فدق الله من هذا خيشومه»** [١].

٣ – ومن الدوافع الأخرى للجدال والمراء والتعصب الكلامي هو الجهل بمقام الذات ومقام الآخرين ، لأنه يرى نفسه أكبر وأعلم من واقعه، ويرى الآخرين يعيشون الجهل وعدم العلم ولذلك ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام والذي ذكرناه فيما سبق بعد أن يعد الإمام المراء بأنه أحد الأمراض الخطرة لقلب الإنسان وأنه من الأخلاق الشيطانية يقول : **«فلا يماري في أي حال إلا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره»** [٢].

٤ – ٥ – حب الانتقام والحسد يعتبران من العوامل المهمة الأخرى التي تدفع بالإنسان إلى الجدال والمراء ، فلغرض تسقيط شخصية الطرف المقابل والانتقام منه وإشباع حالة الحسد في نفسه أو تضعيف مكانة الطرف الآخر أمام الأنظار فإنه يستخدم أداة الجدل والبحث العلمي المقترن مع الإهانة والتحقير ليستطيع بهذه الوسيلة أن يروي ظمأه إلى الانتقام من الطرف الآخر ويصب الماء على نار الحقد والحسد المستعرة في قلبه .

٦ – ومن العوامل المهمة الأخرى التعصب واللجاجة، ولأن الشخص المتعصب واللجوج غير مستعد أن يقبل التنازل عن عقائده الفاسدة بسهولة ، ولذلك يجد في نفسه تعصباً للتوقف عليها وحفظها والدفاع عنها بالمجادلة والبحث الكلامي ويتشبث بكل وسيلة لإثبات صحة كلامه وبطلان كلام الطرف الآخر ، وهذا هو ما نجده في سلوك الكثير من الكفار والمشركين أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء الكرام عليهم السلام حيث تقدم مثال واضح لذلك من مباحثة عبدة الأوثان ونمرود مع النبي

---

(١) مقدمة كتاب معالم الأصول: ١١ .

(٢) بحار الأنوار: ٢ / ١٣٤ ح ٣١ .

ابراهيم عليه السلام وذلك عندما وجدوا أنفسهم أمام الكلام المنطقي والرصين لإبراهيم عليه السلام فوقعوا في حيرة من الأمر وانتبهوا مؤقتاً من نوم الغفلة ولكن حالة التعصب واللجاجة أسدلت على عقولهم وقلوبهم سحابة ظلمانية منعتهم من قبول الحقيقة والإذعان وانطلقوا مرة أخرى في تأكيد معتقداتهم السخيفة من موقع الدفاع عنها بالأدلة الواهية والجدال الأجوف .

٧ - ومن العوامل المهمة للجدال والمراء أيضاً (حب الدنيا) الذي يعد عاملاً أساسياً لجميع الذنوب أو أكثرها ، فالأشخاص الذين يعيشون هذه الصفة الرذيلة يريدون كسب المقام والوجاهة الاجتماعية من خلال سلوك هذا الطريق لإثبات أعلميتهم وذكائهم وبذلك يتمكنون من نيل أهدافهم الدنيوية وتحصيل بعض المقامات الوهمية والعناوين الزائفة .

وخلاصة الكلام هي أن العوامل السلبية الكثيرة تتفق مع بعضها لدفع الإنسان إلى الخوض في الجدال والمراء بعيداً عن الأدب والخلق الإنساني والإنصاف وتجره إلى الدخول في دائرة اللجاجة والعناد أمام الحق والدفاع عن الباطل .

أقسام المراء والجدال :

يمكن تقسيم الجدال والمراء إلى قسمين :

الجدال والمراء على المستوى الإيجابي أي أن يتباحث مع الآخرين على مستوى البحوث المنطقية لغرض تبيين الحقائق وتوضيح ما أشكل من المسائل الغامضة والاطلاع على نظرات الآخرين والوصول إلى الواقعيات من هذا الطريق .

أما المراء والجدال على المستوى السلبي فيعني المباحثات والنزاعات الكلامية التي تنطلق بوحي من عقدة الخصومة والتي لا تهدف إلى غرض معين وصحيح ولا تسير في خط تبيين الحقائق، بل الهدف منها هو تكريس الخصومة والتعصب واللجاجة وإثبات التفوق وإظهار الفضل على الآخرين .

وهذا التقسيم نجده منعكساً في آيات القرآن الكريم حيث يقول: **﴿لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾**[(١)].

ويقول في مكان آخر: **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[(٢)].

ويقول في مكان آخر في مقام الذم لجماعة من الكافرين: **﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾**.

وأما في مورد المراء الإيجابي فنقرأ في «قصة أصحاب الكهف» وعددهم قوله تعالى: **﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً﴾**[(٣)].

أي بالنسبة إلى عدد أصحاب الكهف فلا ينبغي أن تتباحث حولهم إلا بالكلام المنطقي المقترن بالدليل.

وأما في مورد المراء السلبي فيقول تعالى: **﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾**[(٤)].

وهناك تقسيمات أخرى أيضاً على حسب الأشخاص في طرفي المباحثة وكذلك بالنسبة إلى المواضيع والمسائل التي تدور في أجواء البحث والجدال.

ومن ذلك أن يكون طرف المناظرة إنساناً عاقلاً وفاهماً لكي تكون المباحثة معه مثمرة من خلال الاستدلال المنطقي والعلمي كما ورد في وصية أمير المؤمنين عليه السلام قوله: **«دع المماراة ومجاراة من لا عقل له ولا علم»**[(٥)].

ويجب أن يكون المناظر إنساناً مطلعاً على الأمور، لأن الأشخاص الذين يعيشون الجهل بالأمور إذا أرادوا الدفاع عن الحق والورود في ميدان المجادلة فإنهم وبسبب

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٨.

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٣) سورة الشورى الآية: ٢٢.

(٤) سورة الكهف الآية: ١٨.

(٥) بحار الأنوار: ٢ / ١٢٩ ح١٤.

ضعف معلوماتهم وقلة اطلاعهم سوف يذوقون الهزيمة ويغلبوا في هذه المبارزة وبالتالي ينعكس ذلك سلباً على الحق والحقيقة .

ولذلك نقرأ في الحديث الشريف أن محمد بن عبد الله المعروف بالطيار جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له : «**بلغني أنك كرهت مناظرة الناس**».

قال الإمام عليه السلام : «**أما كلام مثلك فلا يكره ، من إذا طار يحسن أن يقع وإن وقع يحسن أن يطير فمن كان هكذا لا نكرهه**» [1].

أما لقب الطيار الذي يطلق على هذا الصحابي المعروف للإمام الصادق عليه السلام فهو إشارة إلى هذا المعنى أيضاً لأنه كان قوياً جداً في مجال المباحثة والجدل وكان يتحرك في دفاعه عن الحق بكل قدرة ومهارة .

وهنا ينبغي على جميع الأشخاص الذين ليس لديهم اطلاع كاف حول مسائل الدين ومعارفه العميقة ولا يجدون في أنفسهم القدرة على الدفاع عنه أن لا يدخلوا في مناظرة ومباحثة مع المخالفين لأنهم سوف ينهزمون في هذه المباحثة وهزيمتهم توجب وهن مباني المذهب الحق في نظر الآخرين .

ومن هنا فإن الإفراط والتفريط غالباً موجود في سلوكيات هؤلاء الأفراد الجهلاء فهناك الأشخاص الذين يسلكون طريق الإفراط عن جهل ويقولون : بما أن الجدال والمراء مذموم في الإسلام ومحرم بشدة فنحن لا ندخل في أي بحث علمي وكلامي مع أي شخص من الأشخاص حتى لو كان البحث مستدلاً ويقوم على قواعد منطقية من الأدلة والبراهين في طريق إثبات الحق والدفاع عنه ، ويختارون السكوت بدل البحث أو الاستدلال ، ويسمون ذلك من باب القيل والقال .

وهذا أيضاً انحراف كبير عن جادة الصواب لأن تبيّن الحقائق لا يتسنى إلا في ظل البراهين المنطقية والدلائل المتينة وإيصاد هذا الطريق على الناس يعني حرمانهم أو

(١) بحار الأنوار: ٢ / ١٣٦ ح ٣٩.

حرمان طائفة كبيرة منهم من الوصول إلى الحقائق وتحصيل الواقعيات .

ونختم هذا الكلام بحديث جميل عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن جده الإمام الصادق عليه السلام حيث وقعت في محضره مجادلة كلامية في أمر الدين وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا قد نهوا عن ذلك فقال الإمام الصادق عليه السلام: «لم ينهَ عنه مطلقاً لكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن أما تسمعون الله تعالى يقول ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾ [١]، وقوله : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [٢].

فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين والجدال بغير التي هي أحسن محرم وحرمه الله تعالى على شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول : ﴿**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**﴾ .

كما قال الله تعالى: ﴿**تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ [٣].

فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال بالتي هي أحسن؟

قيل : يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن ؟

قال : أما الجدال بغير التي هي أحسن أن يجادل مبطلاً فيورد دليلاً باطلاً فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله ....وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له فقال الله حاكياً عنه : ﴿**وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم * قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ [٤].

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٦.

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١١١ .

(٤) بحار الأنوار: ٢ / ١٢٥ ح٢ مع التلخيص، والآيتان في سورة ياسين: ٧٨ - ٧٩ .

طرق علاج هذه الرذيلة الأخلاقية

كلما وجد الإنسان نفسه يعيش حالة الخصومة في مباحثه مع الآخرين ويكثر من الجدل والبحث العقيم وبتعبير الروايات : الجدال غير الحسن بحيث أصبح هذا السلوك بمثابة العادة والخلق له ، فإن إيمانه وتقواه ودينه يتعرض لخطر الذوبان والمحق، وينبغي عليه الإسراع في إنقاذ نفسه من هذه الرذيلة والتخلص من هذا الخلق الذميم والتحرك بصدد العلاج قبل أن تتجذر هذه الصفة في أعماق نفسه .

والطريق الأول للعلاج ولعله يعد من مقدمات العلاج لتسكين هذه الحالة المؤذية كيما يتسنى للإنسان علاجها فيما بعد هو اختيار السكوت في كل مورد يحتمل فيه أن يكون الجدال بالباطل، وكلما استمر هذا السكوت مدة أطول وتحمل الضغط النفسي وتحديات الحالة المزاجية فإن ذلك سيوفر الأرضية المساعدة للتخلص من شر هذه الحالة السلبية ومعالجة هذه الصفة في النفس .

وطبعاً فإن السكوت يعد علاجاً للكثير من الرذائل «من قبيل الحسد والحقد والنميمة والرياء وكفران النعمة والتهمة والكذب وحب التفوق وغيرها من الرذائل الأخلاقية التي تتجلى في سلوك الإنسان من خلال الكلام والنطق».

فالسكوت يمكنه أن يكون عنصر الوقاية من جميع هذه الموارد ولهذا السبب فإن الروايات الإسلامية قد مدحت السكوت كثيراً وقد تقدم تفصيل هذا الموضوع في الجزء الأول من هذا الكتاب [(١)].

الطريق الآخر لعلاج هذه الرذيلة الأخلاقية هو التفكر الدقيق في النتائج السلبية والعواقب الوخيمة المترتبة على هذه الصفة من قبيل أن يكون الإنسان محجوباً عن درك الحقائق ويعيش في زحمة الأوهام والتعصبات والعداوات بين الأصدقاء ويبتعد

---

(١) المقصود منه الجزء الأول من كتاب الأخلاق في القرآن للشيرازي.

بذلك عن حقيقة الإيمان وبالتالي سيكون مورداً للغضب الإلٰهي وزهوق شخصيته وسقوط حيثيته بين الخاص والعام.

ومن اليقين أن التفكر في مثل هذه العواقب السيئة سيكون له تأثير عميق في وقاية الإنسان عن الوقوع في متاهة الجدال بالباطل فكيف يمكن أن يعلم الإنسان بأن هذا الغذاء مسموم ويتناوله في نفس الوقت ؟ فالشخص الذي يتناول غذاءً مسموماً هو الذي لا يدرك آثاره وعواقبه، ولا يعلم بحاله.

إن إصلاح جذور الخلل في واقع النفس وتطهير الذات من الدوافع والنوازع التي تجر الإنسان للخوض في الجدل يعد أحد طرق العلاج لهذا الخلق الذميم وعندما نقول الدافع للجدال والمراء فهذا يعني التكبر وحب التفوق والتظاهر والحسد وحب الانتقام وحب الدنيا والتعصب واللجاجة، ومن المعلوم أننا إذا استطعنا أن نبعد هذه الحالات السلبية والصفات الذميمة عن أنفسنا ونطهر قلوبنا من أدرانها فإن ذلك من شأنه أن يقلع جذور الجدال والمراء من النفس ، ولكن مع وجود هذه الصفات في أعماق النفس فإن إزالة هذه الصفة الأخلاقية سيكون عسيراً جداً.

ومن الطرق الأخرى للعلاج هو ابتعاد الشخص عن الأفراد المتعصبين والذين يحبون الخوض بالباطل وكذلك الامتناع عن مناقشة مثل هؤلاء الأشخاص حيث سيجر الإنسان إلى الجدال والمراء وإن كان غير قاصد لذلك.

وقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : **«من جالس الجاهل فليستعد لقيل وقال»** [1].

ومن البديهي أن الإنسان قبل كل ذلك يجب عليه أن يوقظ في نفسه الإرادة والعزم القاطع على ترك المراء والجدال واجتناب هذه الرذيلة الأخلاقية فإذا وجد الإنسان في نفسه ذلك وعزم بجدية على ترك المراء سيفلح في النهاية.

---

(١) مجموعة ورام: ١ / ١١١.

السب والطعن

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«المتسابان شيطانان يتعاديان ويتهاتران»

مجموعة ورام: ١ / ١١١.

معنى السب لغة واصطلاحاً

السب هو الشتم ومعناه نسبة الأمور القبيحة للغير وبهذا المعنى اللغوي يشمل القذف .

أما من حيث الاصطلاح لدى الفقهاء فالسب لا يشمل القذف بالزنى ونحوه كقولك يا شارب الخمر ويا آكل الربا أو يا فاسق أو يا فاجر .

قال الراوندي رحمه الله : «السب هو الشتم القبيح وسميت الإصبع التي تلي الإبهام سبابة لإشارتها بالسب كما سميت مسبحة لتحريكها بالتسبيح» [(١)].

أما معنى الطعن فيقال طعن فلان فلاناً في أمره وقوله إذا أدخل عليه العيب [(٢)].

والسب والشتم والقذف والطعن كلها من المحرمات وستتحدث عن هذه الأمور وآثارها وبعض ما يتعلق بها فيما يلي :

الخصال السيئة في السب

السباب دليل لؤم:

وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف ولذلك ترى في مثل هذه المواقف أن اللئيم هو

(١) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٩٤ .

(٢) كتاب العين: ٢ / ١٥ .

المنتصر.

عن علي عليه السلام أنه قال: «**ما تساب اثنان إلّا غلب ألأمهما**» [١].

السباب يحط الأعلى إلى الأسفل:

كما ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «**ما تساب اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل**» [٢].

السباب دليل شيطنة ودليل سفه:

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**المتسابان شيطانان يتعاديان ويتهاتران**».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**السفه مفتاح السباب**» [٣].

هذه الخصال تورث غضب الله:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**إن الله يبغض من عباده اللعان السباب الطعان الفاحش المستخف السائل الملحف ويحب من عباده الحيي الكريم السخي**»[٤].

الطاعن على المؤمن كالراد على الله تعالى:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إن الله عز وجل خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كبريائه فمن طعن عليهم فقد ردَّ على الله في عرشه وليس من الله**

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٨ / ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٣٣.

(٣) غرر الحكم: ١٢٤٤.

(٤) مستدرك الوسائل: ٩ / ١٣٩.

في شئ وإنما هو شرك الشيطان»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن الله تبارك وتعالى خلق المؤمن من نور عظمته وجلال كبريائه فمن طعن على المؤمن أو ردَّ عليه فقد ردَّ على الله في عرشه وليس هو من الله في ولاية وإنما هو شرك شيطان»**[٢].

السباب يورث العداوة:

ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**إن رجلاً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم»**[٣].

الطاعن على المؤمن تحرم عليه ريح الجنة:

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**من طعن في مؤمن بشطر كلمة حرم الله عليه ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»**[٤].

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة»**[٥].

ولعل من ذلك أن سباب المؤمن يقرب من الكفر ويخرج من الدين حيث إن عاقبة الإصرار على الكبائر كفر.

سباب المؤمن فسوق:

ويقول أيضاً صلى الله عليه وآله: «**سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية**

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ٣٠٠.
(٢) بحار الأنوار: ٦٤ / ١٢٥.
(٣) الكافي: ٢ / ٣٦٠.
(٤) مستدرك الوسائل: ٩ / ١٤١.
(٥) الكافي: ٢ باب السباب / ٣٥٩ ح ١.

وحرمة ماله كحرمة دمه» [١].

يقول المجلسي في شرح هذا الحديث إن الفسق هنا بمعنى الذنب الكبير القريب من الكفر ويتضح من هذا الحديث أن إثم السب أعظم من الغيبة ، خصوصاً مع ملاحظة أن المؤمن يتأذى من السب أكثر وذلك لأن في السب إيذاء له في وجهه وأما في الغيبة فالإيذاء من خلفه.

قد يصبح المظلوم ظالماً أحياناً :

عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان فقال عليه السلام : **«البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم»** [٢].

يعني إذا تجاوز المظلوم الحد وهو في مقام الجواب كان ذنبه في عهدته .

وخلاصة بيان المجلسي عليه الرحمة في شرح هذا الحديث ، أن ذنب الفحش لكلا الطرفين على عهدة البادي في السب ، لأن فعل الحرام صدر منه أولاً وكان سبباً في ارتكاب الطرف الثاني أيضاً ، لأنه لو لم يسب لبقي الثاني ساكتاً، وصحيح أن سباب الثاني كان في مقام الجواب والرد معصية لكن الشارع المقدس جعله على عهدة الأول بشرط أن لا يتجاوز، فإذا تعدى كان في مقام المبتدئ نسبة لتلك الزيادة .

التعدي بالتكرار أو بقول الأشد :

وقد تكون الزيادة في الجواب أحياناً بالتكرار كأن يقول المبتدئ بالسباب أيها الكلب فيقول الثاني : أنت الكلب ، وأحياناً أخرى يكون التعدي في قول الأشد كان يقول لمن ابتدأه بقول : أيها الحمار ، يقول : أيها الكلب .

---

(١) الكافي: ٢ باب السباب / ٣٥٩ح ٢ .

(٢) الكافي: ٢ باب السفه / ٣٢٢.

حرمة الجنة على الفحاش :

قال النبي ﷺ : **«إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذئ قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له : فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان».**

فقيل يا رسول الله : وفي الناس شرك شيطان ؟ فقال ﷺ: **«أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾**[1].

ينقل المجلسي عن الشيخ البهائي أنه يمكن أن يكون المقصود أن الجنة حرام عليه لمدة محدودة، أو أن المقصود حرمة جنة خاصة عليه وأنها أعدت للمؤمن غير الفحاش .

عن سماعة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدئاً : يا سماعة ما هذا الذي بينك وبين جمّالك ؟ إياك أن تكون فحاشاً أو صخاباً أو لعاناً، فقلت : والله لقد كان ذلك إنه ظلمني.

فقال عليه السلام : **«إن كان ظلمك لقد أربيت عليه إن هذا ليس من فعلي ولا آمر به شيعتي استغفر ربك ولا تعد»** [2].

وعن النبي ﷺ: **«من طعن في مؤمن شطر كلمة حرم الله عليه ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»** [3].

والروايات في هذا المقام كثيرة نكتفي بما ذكر .

وهنا لا بدَّ من التذكير بأمرين :

١ - إذا ما سب أحد مؤمناً ولأنه أذاه فإضافة للعقوبة الأخروية يحق للمؤمن شكايته إلى حاكم الشرع حتى يعزره بما يراه صلاحاً كما أشير في بحث القذف ، وإذا

---

(١) الكافي: ٢ باب البذاء / ٣٢٣ح ٣.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٣٦ح ١٤ ـ باب البذاء ـ.

(٣) مستدرك الوسائل: ٩ / ١٤٠ و١٤١ح ٥ ـ باب ١٣٩ ـ.

قبل اعتذار سابه وأرضاه الساب سقط التعزير .

٢ - أنّه إذا تاب من هذا الذنب وطلب المغفرة من ربه رفع عنه العذاب الأخروي أيضاً .

حرمة السب إذا أدى إلى ردة الفعل :

سب المخالف (السني) أو الكافر إذا أدى إلى ردة فعل كأن يسبه أو يسب مؤمناً آخر حرام، كما لا يجوز سب المقدسات الدينية لأي ملة من ملل العالم ، لأن ذلك سيؤدي إلى سباب أولئك لمقدسات الدين الإلٰهي وهنا يكون الوزر على عهدة المبتدىء .

كما أن الله تعالى قد نهى عن ذلك صراحة، **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾** [(١)].

يعلق العلامة السيد الطباطبائي على هذه الآية الشريفة في تفسير الميزان فيقول : «الآية تذكر أدباً تصان به كرامة المقدسات الدينية للمجتمع وتقي ساحتها من أن تتلوث بدون الإهانة والإزراء بشنيع القول والسب والشتم والسخرية ونحوها ، فإن الإنسان مفطور على الدفاع عن كرامة ما يقدسه والمقابلة في التعدي على من يحسبه متعدياً إلى نفسه ، وربما حمله الغضب على سب ما يكون له درجة عالية من العزة والكرامة لديه، فلو سب المؤمنون آلهة المشركين ، حملتهم عصبية الجاهلية أن يعارضوا المؤمنين بسب ما له كرامة الألوهية عندهم ، وهو الله عز اسمه ففي سب آلهتهم نوع تسبيب إلى ذكره تعالى بما لا يليق بساحة قدسه وكبريائه» .

يفيد عموم التعليل الوارد في الآية **﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾** النهي عن كل كلام بذيئ حول المقدسات الدينية ويقول في تفسير الميزان : إذا وقفنا في بعض الروايات

(١) سورة الأنعام الآية: ١٠٨ .

الواردة والتي فيها يلعن الرسول ﷺ كبار قريش أو في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **﴿لعنهم الله بكفرهم ...﴾** **﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾** وأمثال هذه الكلمات نجد أنه لا يوجد فيها ما يعيب أو أنها ليست توهيناً بل هي لعن كما في **﴿مناع للخير ● معتد أثيم ● عتل بعد ذلك زنيم﴾** ومن قبيل هكذا جمل فيها بيان للواقع وليست توهيناً» [١].

من خلال الأحاديث السالف ذكرها يتبيَّن لنا خطورة هذه الخصال السيئة والتي تؤدي إلى الفوضى وقلة الاحترام بين أفراد المجتمع وتجرؤ أفراده بعضهم على بعض، كما أن هذه الخصال تدلل على خساسة المجتمع وانحطاطه وتسافله وقلة وعيه وأن المجتمع الذي تسوده هذه الأخلاق بعيد عن تعاليم السماء وتربية الأنبياء.

ونلفت النظر إلى أن هذه الأمور تتفاوت خطورتها بلحاظ من ننسب إليه فالذي يتجرأ ويسب الله عز وجل وأوليائه أخطر ممن يسب أي شئ آخر وإن كان محرماً، وسنشير فيما يلي إلى جملة من الأمور التي نهت عنها الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فيما يتعلق بموضوع السباب.

سب العزة الإلهية :

في تفسير العياشي عن عمر الطيالسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾** [٢].

قال : فقال : «**يا عمر رأيت أحداً يسب الله ؟**

قال : فقلت جعلني الله فداك فكيف ؟

قال : من سب ولي الله فقد سب الله» [٣].

---

(١) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٤٨ إلى ٢٥٢.

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٠٨ .

(٣) مستدرك الوسائل: ١٢ / ٣٠٦ .

سب عليٍّ كَسَب الله عز وجل :

عن ابن عباس ﵁ برواية عكرمة مولاه قال : مررنا بجماعة وقد أخذوا في سب علي ﵇ فقال لي مولاي عبد الله بن عباس: ادنيني من القوم فأدنيته فقال رضي الله عنه: يا قوم من الساب لله تعالى ؟

فقالوا : معاذ الله يا ابن عم رسول الله .

فقال : من الساب لرسول الله ﷺ .

فقالوا : ما كان ذلك .

قال : فمن الساب لعلي بن أبي طالب ﵇ ؟

قالوا : كان ذلك

فقال : والله لقد سمعت رسول الله بأذني هاتين وإلا صمتا أنه قال: **«من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى ومن سب الله تعالى ألقاه الله على منخريه في النار»**[١].

سب الدهر سب الله عز وجل :

كما ورد ذلك عن النبي ﷺ : **«لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله»**[٢].

سب الوالدين من الكبائر :

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه»**.

قالوا : وكيف يسب الرجل والديه ؟!

---

(١) الفضائل : ٩٦ .

(٢) جامع الأخبار: ١٦٠ .

قال صلى الله عليه وآله: «**يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه**»[١].

ملعون من سب والديه:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بإكرام الوالدين واحترامهم والإحسان إليهم كما صرح بذلك في القرآن الكريم وفي عدة مواطن، وكما ترشد إليه الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام. ومن خلال هذه النصوص التي قرنت رضا الله برضا الوالدين وشكر الله بشكرهم يمكننا أن نتصور عظمة الوالدين، فما هو جزاء من يسئ إليهم ؟

وإذا كان قد نهى عن قول كلمة «أف» لهم التي هي أبسط ما يمكن أن يستعمله الإنسان في حالة انزعاجه فما هو حال من يتجرأ على سب والديه وإهانتهم ألا يستحق هذا الإنسان الطرد من رحمة الله على هذه المخالفة الكبيرة ؟ !

أجل إن الطرد من رحمة الله هو عقابه كما دل على ذلك الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ملعون من سب والديه**»[٢].

أشياء أخرى نهت الروايات عن سبها

نهت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن سب جملة من الأمور كالنهي عن سب الأموات، والجبال والريح وغيرها ونحن بدورنا ننقل هذه الروايات فيما يلي:

النهي عن سب الأموات:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[٣].

---

(١) ذرايع البيان: ٤٦.

(٢) ذرايع البيان: ٤٦.

(٣) الدعوات: ٢٧٨.

وعنه أيضاً: «**لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله ولا تسبوا السلطان فإنه فئ الله في أرضه ولا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ولا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**» [١].

النهي عن سب الريح :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا تسبوا الريح فإنها بشرٌ وإنها نذر وإنها لواقح فاسألوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها**» [٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «**لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمٰن**» [٣].

عن مجاهد قال: هاجت ريح فسبوها فقال ابن عباس لا تسبوها فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب ولكن قولوا: «**اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً**»[٤].

وعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تلعن الريح فإنها مأمورة فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**» [٥].

وعن ابن عباس قال: «الماء والريح جندان من جنود الله والريح جند الله الأعظم»[٦].

وعن كعب: لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر الأرض [٧].

---

(١) جامع الأخبار: ١٨٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ٦ / ١٧٦.

(٣) نفس المصدر: ١٧٧.

(٤) بحار الأنوار: ٧٥ / ١٩.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر: ١٨.

(٧) نفس المصدر: ٤.

النهي عن سب الجبال والساعات والأيام والليالي :

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا الرياح فإنها مأمورة ولا تسبوا الجبال ولا الساعات ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم**» [١].

النهي عن سب الدنيا :

عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، فعليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر إنه إذا قال العبد لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه»، فأخذ الشريف الرضي بهذا المعنى فنظمه بيتاً :

يقولون الزمان به فساد فهم فسدوا وما فسد الزمان [٢]

النهي عن سب الشمس والقمر والليل والنهار:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تسبوا الليل والنهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح فإنها تبعث عذاباً على قوم ورحمة على آخرين**»[٣].

النهي عن سب الضفادع :

عن أنس قال ، قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الضفدع فإن صوته تسبيح وتقديس وتكبير إن البهائم استأذنت ربها في أن تطفئ النار عن ابراهيم فأذن**

(١) علل الشرائع: ٢ / ٥٧٧ والبحار: ٥٦ / ٢ .
(٢) بحار الأنوار: ٧٤ / ١٨٠ .
(٣) بحار الأنوار: ٥٧ / ١٩ .

للضفادع فتراكبت عليه فأبدلها الله بحر النار الماء» [١].

عن قتادة عن بعضهم عن النبي ﷺ: **«كانت الضفادع تطفئ النار عن إبراهيم وكانت الوزغ تنفخ عليه فنهى عن قتل هذا وأمر بقتل الوزغ»** [٢].

النهي عن سب الإبل :

في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : **«لا تسبوا الإبل فإنها رقوء الدم»** [٣].

يقال رقأ الدمع والدم والعرق يرقأ رقوءاً إذا سكن وانقطع والاسم الرَّقوء أي أنها تعطى في الديات بدلاً من القود ويسكن بها الدم [٤].

النهي عن سب الديك :

عن النبي ﷺ أنه قال : **«لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»** [٥].

---

(١) بحار الأنوار: ٦١ / ٤٨ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) بحار الأنوار: ٦١ / ١٤٢ والمستدرك: ٨ / ٢٦٢ .

(٤) بحار الأنوار: ٥١ / ٢٥٦ .

(٥) المصدر السابق: ٦٢ / ٩ .

خاتمة المطاف

نختم الكلام في هذا المقام بروايتين ونسأله تعالى أن يعيننا لحفظ ألسنتنا وأن نؤدي شكر هذه النعمة بذكره وتسبيحه وتقديسه والنطق بما يرضيه إنه سميع مجيب.

الرواية الأولى:

أقعص كما يقعص الكلب

روي أنه لما رجم رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل في الزنى، قال رجل لصاحبه: هذا أقعص[١] كما يقعص الكلب.

فمر النبي معهما بجيفة فقال: **«انهشا منها، فقالا: يا رسول الله ننهش من جيفة ؟! فقال** صلى الله عليه وآله **«ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»** [٢].

الرواية الثانية:

الشتم في آخر الزمان

عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل له حول آخر

---

(١) أقعص: قتل أو أجهز عليه.

(٢) كشف الريبة: ٩.

الزمان وما يحدث فيه من قطع الأرحام والزكاة وإتيان المنكرات فيسلط الله عليهم أنواع العذاب .

فقام إليه جماعة وقالوا له: يا رسول الله أخبرنا متى يكون ذلك ؟

فقال صلى الله عليه وآله : **«عند تاخير الصلوات واتباع الشهوات وشرب القهوات وشتم الآباء والأمهات...»** [١].

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٦٣ .

السخرية والتنابز

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَ لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

سورة الحجرات، الآية رقم ١١ .

يقول تعالى في كتابه الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَ لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [(١)].

في هذه الآية القرآنية دعوة من الله تعالى لعبادة المؤمنين كي يتحرزوا عن السخرية والاستهزاء والتنابز فيما بينهم ملفتاً النظر على أساس التحليل النفسي إلى سبب هذه الأفعال وهي حسن الظن بالذات والنظر إليها أنها أرفع وأرقى من الآخرين .

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في «ثابت بن قيس» خطيب النبي ﷺ الذي كان ثقيل السمع وكان يجلس إلى جنب النبي ﷺ ويوفر له المكان عنده ليسمع حديث النبي ، وذات مرة دخل المسجد والمسلمون كانوا قد فرغوا من صلاتهم وجلسوا في أماكنهم فكان يشق الجموع ويقول تفسحوا حتى وصل إلى رجل من المسلمين فقال له :

اجلس (مكانك هنا) فجلس خلفه مغضباً حتى انكشفت العتمة فقال ثابت لذلك الرجل ؟

من أنت ؟

فقال : أنا فلان .

فقال ثابت للرجل : ابن فلانة ؟ وذكر اسم أمه بما يكره من لقبها .. وكانت تعرف به في زمان الجاهلية فاستحى ذلك الرجل وطأطأ برأسه إلى الأرض فنزلت الآية ونهت المسلمين عن مثل هذا العمل .

وقيل إن جملة ﴿ولا نساء من نساء﴾ نزلت في أم سلمة إحدى أزواج النبي لأنها

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١١.

كانت تلبس لبوساً خاصاً أو لأنها كانت قصيرة فكانت النساء يسخرن منها فنزلت الآية ونهت عن مثل هذه الأعمال [١].

هذه المحرمات دوافع لارتكاب الغيبة :

لا شك أن هذه الأمور من المحرمات التي نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابها وحذرت في كثير من المواطن من عواقبها ونتائجها على الفرد والمجتمع، وهذه الأمور تعتبر من الدوافع الأساسية لارتكاب الغيبة حيث تشكل فرصة لدى أصحاب النفوس الضعيفة والأمارة بالسوء إلى تعيير الآخرين والاستهزاء بهم .

أجل فإن من يرتكب هذه الأفعال لا شك بأنه إنسان وضيع فترى من هؤلاء الأشخاص من يفعل ذلك لأجل الحط من كرامات الآخرين والاستهانة بشخصياتهم .

والبعض الآخر يتخذ من أعراض وحرمات الآخرين وشرفهم وسيلة لإضحاك مجالس اللاهين والعابثين وهناك من يسخر من الغير من خلال تقليده في الكلام وطريقة المشي أو الأكل إشارة أو تصريحاً محاولاً عن طريق هذا الأسلوب المسيئ إشباع غروره وحقده وحبه لذاته وشخصه، أو طلباً لإرضاء من يستمع له .

من هنا ولهذه الأسباب وغيرها نهت الشريعة الإسلامية عن مثل هذه الأعمال . ثم إن هذه الآية تضيف في المرحلة الأخيرة لتقول للمؤمنين ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب**﴾ مع الأسف الشديد أن هناك الكثير من الأفراد في الماضي والحاضر يحاولون دائماً أن يلقبوا الآخرين بأسماء وألفاظ قبيحة لأجل تحقيرهم وتدمير شخصياتهم وربما كان هذا باباً لينتقموا به من الآخرين .

والأخطر من ذلك هو عدم تناسي ما في الآخرين فربما كان هناك إنسان يعمل المنكرات سابقاً ثم تاب إلى ربه وأخلص قلبه له ومع ذلك نراهم يرشقونه بألقاب

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦ / ٣٤٨ .

مبتذلة تكشف له عن ماضيه .

من هنا جاء الإسلام ليحدَّ من انتشار هذه الظاهرة من الناحية النظرية والعملية ومنع من إطلاق أي اسم أو لقب غير مرغوب فيه بحيث يؤدي إلى تحقير المؤمن والحط من كراماته .

وبما أن المسلمين ينتمون إلى مدرسة النبي محمد ﷺ وينسبون أنفسهم إليه فلا بدَّ لنا جميعاً من التأسي به حينما أمرنا الله بذلك بقوله تعالى: **﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة﴾** .

ونحن نعلم أن النبي ﷺ كان ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليهم بل إن الشريعة الإسلامية أولت اهتماماً كبيراً للتسمية لما لها من الأثر البالغ في تحصين شخصية الفرد وإعزازه وإعطائه المعنويات . حتى بلغ من ذلك الندب إلى تكنية الصغار كأبي علي وأبي محمد لأن هذا له دور فعال في صقل شخصية الطفل وبنائها بل وحتى الكبار أيضاً.

صفية زوجة النبي ﷺ

نقرأ في بعض الأحاديث أن صفية بنت حيي بن أخطب المرأة اليهودية التي أسلمت بعد فتح خيبر وأصبحت زوجة النبي ﷺ - جاءت إلى النبي ﷺ باكية العين فسألها عن سبب بكائها فقالت: إن عائشة توبخني وتقول لي يا ابنة اليهودي فقال لها النبي ﷺ : فلم لا قلت لها: أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد فكان أن نزلت هذه الآية - الحجرات :١١- .

فنلاحظ هنا في جواب النبي أنه أراد إلفات النظر إلى أنه يجب أن ينظر إلى ما عليه المسلم في هذا الوقت لا أن يذكر ويعاب عليه بماضيه وما كان عليه سابقاً .

لا تلمزوا أنفسكم

تعرضنا فيما سبق إلى الاستهزاء والسخرية والتنابز ، بقي أن نتحدث عن اللمز، واللمز معناه تتبع العيوب والطعن في الآخرين وهناك اختلاف بين المفسرين في معنى الهمز واللمز، فقال بعضهم إن اللمز عدّ عيوب الناس بحضورهم والهمز ذكر عيوبهم بغيابهم كما قيل إن اللمز تتبع العيوب بالعين والإشارة والهمز هو ذكر العيوب باللسان .

والمهم هو أن هاتين الصفتين قبيحتين ويذكر بعض المفسرين أن مقولة الهمز واللمز عبارة عن صفتين رذيلتين مركبتين من حالات الجهل والتكبر لأنهما تتسببان في إيذاء الآخرين وجرح عواطفهم وشخصيتهم وكذلك تتضمنان نوعاً من حالة التفوق وطلب العلو .

وبما أن مثل هذا الإنسان لا يرى في نفسه فضيلة وصفة حسنة فإنه يتحرك لجبران هذا النقص من موقع ذكر عيوب الآخرين ونقائصهم ليحرز بذلك تفوقه [١].

وقد ذكرت بعض التفاسير وطبقاً لحديث شريف أن هاتين الصفتين هما من صفات المنافقين .

وقد توعد الله سبحانه وتعالى بالويل لمن يأتي بهذا العمل ، قال تعالى: ﴿ **ويل لكل همزة لمزة**﴾ [٢].

وكلمة «ويل» وردت في سبع وعشرين مورداً في القرآن الكريم والتي هي إشارة للعن والهلاك وأنواع العذاب لمن يرتكب مثل هذه الأفعال. وقد ورد تفسير آخر للويل وأنه واد في جهنم شكا إلى الله شدة حره فأذن الله له أن يتنفس فتنفس فأحرق

---

(١) روح البيان: ١٠ / ٥٨ .

(٢) سورة الهمزة الآية : ١ .

جهنم وهذا في الواقع من قبيل تفسير الكلي بمصداقه .

ورد عن ابن عباس في تفسير الكلمتين قوله : «هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الناعتون للناس بالعيب» [١].

يقول صاحب تفسير الأمثل معلقاً على هذه الرواية :

ويبدو أن ابن عباس استلهم هذا التفسير من كلام لرسول الله ﷺ حيث يقول :

«ألا أنبئكم بشراركم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال: المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء المعايب» [٢].

الاستهزاء والسخرية يهدد أعضاء المجتمع [٣]

من العوامل التي تهدد شخصية أعضاء المجتمع هو الاستهزاء بالآخرين ، فبعض الناس يحقرون الآخرين بالسخرية والاستهزاء لتحطيم شخصيتهم من خلال ذلك .

ويعتبر هذا من الأساليب الشيطانية الشائعة الموجودة في كل المجتمعات .

هذه الفئة من المعتدين حينما يلاحظون عدم وجود من يماشي طبيعتهم أو من الممكن أن يضايقهم في المال أو المنصب أو سائر شؤون الحياة فلكي لا يسمحوا له أن يحقق تقدماً وينال مكانة اجتماعية يبدأون بالاستهزاء به وتحطيم شخصيته بالسخرية والتحقير .

كان هذا الأمر شائعاً بين جميع الشعوب حتى أنهم كانوا يحاربون الأنبياء عليهم السلام بهذا الأسلوب . فعندما يبعث نبي بين قوم كان أحد ردود الفعل لدى الأقوام كافة هو

---

(١) تفسير الفخر الرازي مجلد ٣٢ / ٩٢ .

(٢) الأمثل: ٢٠ / ٢٦٩ .

(٣) راجع الأخلاق في القرآن الكريم لليزدي ٣ / ٢١٦ إلى ٢٢١ .

الاستهزاء به كي لا يحظى بمكانة اجتماعية ولا يصغي الناس إلى أقواله .

بديهي أن الاستهزاء بالأنبياء عليهم السلام من أسوأ أنواع الاستهزاء لأن وجود الأنبياء من أعظم النعم الإلهية ، فتحقير شخصيتهم والاستهزاء بهم كفران بأعظم النعم الإلهية وأعظم خيانة بحق المجتمع ، وفي مستوى أدنى، فإن الاستهزاء بصورة عامة بحق أي إنسان له قيمة سلبية ، وطبعاً كلما كانت شخصية الإنسان أكثر احتراماً وأنفع وأرفع عند الله فإن الاستهزاء به يكون أكثر ضرراً وذا قيمة سلبية أكبر .

على أي حال فإن كل عضو من أعضاء المجتمع له موقعه ويجب الانتفاع منه في سبيل توفير المصالح والمنافع الإسلامية وتحقيره يسبب عدم إنجاز عمله النافع للمجتمع بصورة صحيحة ولا يستفاد منه الفائدة المتوخاة.

وواضح أنّ هذا الأمر يضر بالمجتمع إضافة إلى احتمال ترك آثار سيئة في نفوس الأفراد، وإثارة روح الانتقام والرد المقابل في الطرف الآخر ، إذ إن الناس ليسوا كالنبي صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم عليه السلام ليبدوا حلماً بذلك المقدار وعدم الاكتراث بالاستهزاء والتحقير .

وقد يعرضهم ذلك إلى الغم والحزن الشديد والآلام النفسية الشديدة فلا يفقدون موقعهم الاجتماعي فحسب بل يسقطون في حياتهم الفردية أيضاً .

رؤية القرآن عن الاستهزاء

في القرآن الكريم تأكيدات ووصايا كثيرة حول هذا الأمر يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات :

الأولى : الآيات التي تنهى بصورة عامة كل رجل وامرأة من الاستهزاء بمؤمن آخر من قبيل قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا**

منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن﴾ [(١)].

الثانية: الآيات التي تبيِّن الحوادث الواقعة وتذكر بقبحها وخطرها، هذه الحوادث قد وقعت من قبل الكفار في بعض الموارد، ومن المنافقين في بعض آخر، وعلى يد ذوي الإيمان الضعيف في بعض آخر. كالآية:

﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [(٢)].

الدنيا جميلة وذات جلال في نظر الكفار، وعلى العكس فإن المؤمنين لا ينظرون إلى الحياة الدنيا أكثر من حدها، بل يعدونها وسيلة للوصول إلى الآخرة ويكون اهتمامهم بالدنيا بمستوى الانتفاع بها لسعادتهم الأبدية.

من هنا كان بين المؤمنين أشخاصاً قد بذلوا أموالهم في سبيل الإسلام وباتوا معدمين أو افتقروا لأسباب أخرى، وكان الكفار وهم أعداء الإسلام والمجتمع الإسلامي يستهزئون بهم. في الآية المذكورة يصبر الله سبحانه المؤمنين المقارعين للكفر - بعد ذكر هذه القضية المشوبة بالكفر - ويدعوهم إلى عدم التنازل، وليعلموا أن مقامهم عند الله وفي يوم القيامة أسمى كثيراً.

يمكن استنباط هذه الملاحظة من ذيل الآية **﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** وهي أن علة استهزاء الكفار هو فقر المؤمنين لذا يقول: **﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**.

والمنافقون أيضاً رغم تظاهرهم بالإسلام وكونهم يعيشون في المجتمع الإسلامي وبين المسلمين كانوا يستهزئون بالمؤمنين الحقيقيين بذرائع مختلفة خاصة فيما يرتبط بإنفاقهم وصدقاتهم وبعض الآيات تشير إلى هذه الحقيقة كالآية: **﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم**

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٢.

سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ [(١)].

وهناك مجموعة روايات في شأن نزول هذه الآية الشريفة وخلاصتها أن في غزوة تبوك أمر رسول الله ﷺ المسلمين بإحضار ما يمكنهم لتأمين مصاريف جيش الإسلام، وقد أحضر بعض المتمولين مالاً طائلاً، ودفع بعض الفقراء القليل مما لديهم فأحضر أبو عقيل الأنصاري نصف صاع من التمر وقال: لقد عملت ليلة البارحة حتى الصباح وكانت أجرتي صاعاً كاملاً من التمر جلبت نصفه وتركت النصف الآخر لعيالي.

عندها استهزأ المنافقون بكلا الفريقين وأعابوا عليهما ذلك فقالوا في الثري: دفع ماله رياءً ليظهر نفسه أمام الناس، وقالوا في الفقير: فعل ذلك كي يجعل نفسه من المنفقين، أو أنه أراد أن يذكر المسلمين بحاله كي ينال بعض الصدقات.

وجزاء المستهزئين بالمؤمنين أن يسخر الله منهم أولاً وأن يحشرهم في جهنم ثانياً وقد قيل في بيان المراد من السخرية الإلهية وجوه منها: أن الله تعالى يمهل المستهزئين في الدنيا ويشغلهم باللهو والضحك و عندما يصل طغيانهم إلى نهايته يهلكهم ويعتبر هذا الأمر سخرية لأن هذه المهلة والنعمة والراحة هي نعمة بحسب الظاهر لكنها في الحقيقة استدراج وهلاك.

وأما في الآخرة فهي بأن يجلس المؤمنون على الأرائك ويوضع الكافرون في أماكنهم في جهنم، ويأمر الله بفتح باب من جهنم على الجنة، وعندما يرى الكافرون الجنة وما فيها يسارعون ويتحملون أنواع المشقة ليصلوا إلى ذلك الباب وعندها يرون المؤمنين في أماكنهم العالية فيحاولون الدخول إلى الجنة، ولكن يغلق الباب مباشرة ويضحك المؤمنون منهم وهذا جزاء سخريتهم في الدنيا.

---

(١) سورة التوبة الآية: ٧٩.

السخرية بالأنبياء عليهم السلام

لدينا آيات تتحدث عن الاستهزاء والسخرية بالأنبياء من قبل مناوئيهم ويمكن تقسيمها إلى عدة أقسام:

الأولى: الآيات التي تخبر عن هذه الحقيقة الاجتماعية والتاريخية المُرَّة ـ بصورة عامة ـ وتقول بأنّه لم يبعث نبي في مجتمع على طول التاريخ إلّا وقد آستهزأ به بعض الأفراد في المجتمع كقوله تعالى :

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[١].

﴿وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٢].

﴿وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٣].

الآيات المذكورة من خلال بيان هذه الحقيقة التاريخية القطعية وهي الاستهزاء بالأنبياء من قبل جهلة الناس تذم هذا الفعل القبيح بتعابير مختلفة .

الثانية : الآيات التي تبيِّن العاقبة السيئة والعذاب المعد للذين كانوا يستهزئون بالأنبياء عليهم السلام كقوله تعالى : **﴿ولقد استهزى برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾**[٤].

﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾[٥] وبعض آيات الكتاب تشير إلى أن المستهزئين يتحسرون ويندمون على أفعالهم حيث يقول : **﴿أن**

(١) سورة يٰس الآية: ٣٠.

(٢) سورة الحجر الآية: ١١.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٧.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٤١.

(٥) سورة الجاثية الآية : ٩.

تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾ [١].

وبعض الآيات تشير إلى الجزاء الحسن الذي أعد للمستهزئ بهم ومواساتهم كقوله تعالى :

﴿فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ [٢].

وتشير بعض الآيات إلى الجذور النفسية لهذا الاستهزاء بأن هذا التعامل غير العقلاني وغير المنطقي مع الأنبياء عليهم السلام وأولياء الله وآياته ينشأ من السيرة السيئة والتلوث الأخلاقي والعملي، وبالتالي سوف يؤدي ذلك إلى التكذيب بآيات الله سبحانه والاستهزاء بها كقوله تعالى :

﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ [٣].

وتشير بعض آيات القرآن الكريم إلى موارد معينة من الاستهزاء بالأنبياء عليهم السلام منها استهزاء قوم نوح عليه السلام حيث تتحدث عن أن النبي نوحاً عليه السلام الذي مضى أكثر من ألف عام على عمره الشريف حينما يئس من دعوة قومه بدأ بصنع السفينة لكي ينجو المؤمنون وأتباعه بركوبها من العذاب الإلهي والغرق ، إلا أن قومه حينما شاهدوه وهو يقوم بصنع السفينة في مكان لا ماء فيه أخذوا بالاستهزاء به ، لقد أخبر الله سبحانه عن هذا الحديث بقوله :

﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ● فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ [٤].

المورد الآخر هو ضحك آل فرعون واستهزاؤهم حيث سخروا من موسى عليه السلام

---

(١) سورة الزمر الآية : ٥٦ .

(٢) سورة المؤمنون الآيتان : ١١٠ - ١١١ .

(٣) سورة الروم الآية : ١٠ .

(٤) سورة هود الآيتان : ٣٨ - ٣٩ .

قال تعالى بهذا الشأن : ﴿ **فلما جاءهم بآياتنا إذ هم منها يضحكون**﴾ [١].

ومورد مشابه آخر هو أن القرآن يشير في آيات عديدة إلى استهزاء كفار ومشركي قريش وعبدة الأصنام في مكة برسول الإسلام الكريم ﷺ فقد قال تعالى في آية : ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولاً** ﴾ [٢].

يقول الله تعالى في بعض الآيات (الجاثية: ٩ والصافات: ١٢ ـ ١٤) بأنهم كانوا يسخرون بأقوال النبي وآيات الله، ويخبر في بعض آخر عن أنهم كانوا يستهزئون بالمؤمنين وأتباع رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ **إن الذين أجرموا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ● وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ● وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ...**﴾ [٣].

مقام المؤمن عند الله عز وجل

إن الله سبحانه وتعالى جعل للمؤمن مقاماً وكرامة عظمى لديه وهذا الأمر يكشف عن مدى حب الله عز وجل لعباده المؤمنين ولذلك نهى عن التعرض لهم بالقول أو بالفعل .

العزة للمؤمنين:

مما يكشف لنا عن عظمة المؤمنين عند الله هو أنه تعالى جعل لهم العزة بقوله تعالى :

﴿ **.......ولله العزة ورسوله والمؤمنين** ﴾ [٤].

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٤١ .

(٣) سورة المطففين الآيات: ٢٩ - ٣١ .

(٤) سورة المنافقون الآية: ٨.

العذاب الأليم لمن يلمز المؤمنين:

لقد توعد الله سبحانه وتعالى من يتعرض لعباده المؤمنين باللمز بالعذاب الأليم بقوله تعالى: ﴿ .....**الذين يلمزون المطوعين** ....﴾ [١].

حرمة المؤمن:

ورد في عدة روايات أن الله سبحانه يتولى الحرب على من يؤذي عباده المؤمنين.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال الله عز وجل: «ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن وليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن**» [٢].

وعنه عليه السلام: «**من حقر مؤمناً لقلة ماله حقره الله فلم يزل عند الله محقوراً حتى يتوب مما صنع**» [٣].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من أذل مؤمناً أذله الله**» [٤].

حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة:

عن جابر قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فقال: «**مرحباً بك من بيت! ما أعظمك وأعظم حرمتك والله إن المؤمن أعظم حرمة منك عند الله عز وجل لأن لأن الله حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: دمه وماله وان يظن به ظن السوء**»[٥].

---

(١) سورة التوبة الآية: ٧٩.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ٢٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٢ / ١٤٥.

(٤) الأمالي للطوسي: ١١٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨ / ٢٧٨.

دور المؤمن يوم القيامة :

إذا كان المجرمون في هذه الدنيا يسخرون من المؤمنين ويستهزئون بهم دون الاهتمام بمقامهم ودون أن تردعهم ضمائرهم عن مثل هذه الأفعال المشينة فليعلموا أنه سيأتي اليوم الذي ينقلب فيه السحر على الساحر وتصبح الغلبة للذين آمنوا هذا اليوم هو يوم القيامة، ويصور لنا القرآن الكريم حالة المؤمنين في ذلك اليوم بصور متعددة : **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ● وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ● وإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَسورة المطففين ●وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ●وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ● فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ● عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾** [١].

ثم يذكر القرآن الكريم سؤالا استنكاريا بلهجة قاسية حيث يخاطب الكافرين في ذلك اليوم بـ **﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [٢].

معاقبة المستهزئين في الروايات :

هناك جملة من الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام تبيِّن عاقبة أولئك الذين يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم ، نذكر منها :

١ – عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «**كان بالمدينة رجل بطال يضحك الناس منه فقال : قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه أي ـ علي بن الحسين عليه السلام ـ.**

قال : فمر علي عليه السلام وخلفه موليان له ، قال : فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته ثم مضى فلم يلتفت إليه علي عليه السلام فاتبعوه وأخذوا الرداء منه ، فجاؤوا به

---

(١) سورة المطففين الآيات: ٢٩ ـ ٣٥.

(٢) سورة المطففين الآية : ٣٦.

فطرحوه عليه فقال لهم :

من هذا ؟

فقالوا: هذا رجل بطال يضحك أهل المدينة فقال:

قولوا له: إن لله يوماً يخسر فيه المبطلون» (١) .

٢-عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال : «**إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال : هلم، هلم فيجئ بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال :**

هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال : هلم هلم فلا يأتيه» (٢).

كلمة أخيرة

إن قولنا إن المؤمن عزيز عند الله ويجب إعزازه من قبل الآخرين يعني أن حفظ هذه العزة والكرامة واجب على كل المؤمنين، ولكن بالمقابل ينبغي على المؤمن أن يرى في نفسه الذلة والحقارة والتواضع وأن يعيش حالة التذلل والخضوع بين يدي الله سبحانه وتعالى كما نقرأ هذا المعنى في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام حيث يقول: «**ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها**».

وهذا الأسلوب وهذه الطريقة مؤثرة جداً في بناء الذات وذلك بأن لا يرى الإنسان نفسه أفضل من الآخرين أو أحسن منهم، بل عليه أن يرى من نفسه النقص والقلة وأن يسعى جاهداً لإصلاحها وبنائها وهذا ما يدعونا إليه إسلامنا وديننا ومبادئنا وقيمنا.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦ / ٦٨ .

(٢) جامع السعادات: ٢ / ٢٨٨.

وقد روي أنَّ الله خاطب النبي موسى عليه السلام : إذا أقبلت للمناجاة في جبل الطور مرة أخرى فاصطحب معك مخلوقاً أدنى منك، فأخذ موسى يبحث عن هذا المخلوق بين الناس وبعد فحص كثير لم يجد من هو أدنى منه إذ لعله ذو مقام رفيع عند الله وعزيز ولكن الآخرين يجهلونه ، وإن كان عاصياً، إذ إن ذلك لا يدل حتماً على أنه سيىء، فلعله قد تاب إلى الله بعيداً عن أنظار الناس ، ولذا اتجه إلى الحيوانات لعله يجد حيواناً هو الأسوأ من بينها ليصطحبه معه إلا أنه وجدها أيضاً لا تؤذي أحداً ولا ذنب لها فكيف يمكن القول إنها أسوأ ؟

مضى حتى وجد كلباً ذا رائحة عفنة فأراد اصطحابه إلا أنه فكر بأنه حيوان بريئ في حين أن بني الإنسان عصاة ويمكن أن يكونوا أحط من الكلب بسبب معاصيهم .

وأخيراً جاء إلى جبل الطور خالي اليدين فخوطب لماذا لم تعمل بما أمرت به ؟

فأجاب : إلهي لم أجد هذا المخلوق فخوطب : لو كنت أتيت بذلك الكلب لمحوت اسمك من سجل الأنبياء .

هذه القصة تعلمنا قضية تربوية مهمة ينبغي أن لا نغفل عنها أبداً . على الإنسان أن لا يعتبر أي إنسان آخر سيما المؤمن وإن كان عاصياً دونه وأن لا يظن أنه أفضل منه مهما كانت الظروف والأسباب .

الفحش

عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش» .

وسائل الشيعة: ٩ / ٤٢ .

تعريف الفحش :

الفحش هو التعبير عما يستقبح التصريح به ، كألفاظ المواقعة وآلاته مما جرت عادة السفهاء على التلفظ به ، أما النبلاء فإنهم يتحاشون التصريح به ويعبرون عنه بالرمز والكناية كالمس واللمس والرفث وما شابه كناية عن الجماع .

وأيضاً نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حينما يتحدث عن هذه المسائل فإنه يستعمل الكناية كما سنبيِّن ذلك لاحقاً .

كما أنه جرت عادة الأدباء وذوي الأخلاق الرفيعة على استعمال الكناية عن بعض الألفاظ متفادين التصريح بها لياقة وأدباً كما يكنون الزوجة بالعائلة أو أم الأولاد ، وعن التبول والتغوط بقضاء الحاجة ويرمزون إلى البرص والقرع والعور بالعارض وهكذا إذ إن التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مما يستهجنه العقلاء والعارفون .

الفحش كما ورد في الروايات :

ورد عن النبي وأهل البيت عليهم السلام روايات كثيرة تذم هذا الخلق الذميم وسنتعرض لهذه الروايات فيما يأتي .

الفحش مثل السوء :

كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : «**إن الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء**» [1].

(١) الكافي: ٢ / ٣٢٤ .

الفحش مبغوض عند الله تعالى :

إن الله سبحانه وتعالى - وهو الكمال المطلق - خلق الإنسان لأجل أن يصل إلى الكمال ومن الواضح أن يحب الله سبحانه وتعالى كل ما يوصل الإنسان إلى هذا الغرض ويبغض كل ما يعيق الإنسان من الوصول إلى هدفه .

ومن البديهي أن الفحش يعتبر من الموانع الأساسية التي تسهم في انحطاط المرء وقلة حيائه وبالتالي صيرورة الفرد مبغوضاً لله تعالى ، ومن هنا ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: **«إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش»** [1].

الفحش ليس من الإسلام :

وهذا أمر بديهي أيضاً لأن الإسلام عنوانه الأخلاق، بل إن الهدف من بعثه نبي الإسلام هو إتمام الأخلاق كما قال ﷺ عن نفسه : **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

فإذا كان عنوان الرسالة الخالدة هو مكارم الأخلاق فلا شك أن مثل هذه الرسالة لن تقبل أو ترضى بكل ما هو مناف للأخلاق والتي منها الفحش .

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : **«الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام»**.

الفحش من النفاق :

وهذا واضح لأن المؤمن لا يصدر منه ألفاظ الفحش، فإذا أظهر الإنسان الإيمان وكان فيه هذه الخصلة التي ليست من الإسلام فيكون ذلك دليل على نفاقه كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : **«إن الفحش والبذاء والسّلاطة من النفاق»** [2].

---

(١) وسائل الشيعة: ٩ / ٤٢.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٢٥.

المتفحش من شرار خلق الله :

كما وصفه أبو عبد الله الصادق عليه السلام حين قال في الحديث المروي عنه : «**إن من شرار عباد الله من تكره مجالسته لفحشه**» [(١)]

الفحش سلاح اللئام :

كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : «**سلاح اللئام قبيح الكلام**» [(٢)].

ما كان الفحش في شيئ إلاّ شانه :

إن هذه الخصلة ولكثرة مساوئها ما وضعت في شيئ - أي شيئ كان - إلا وصبغته بصبغة السوء ، من هذا المنطلق حذر النبي صلى الله عليه وآله من هذه الخصلة السيئة وبيَّن جملة من مساوئها والتي منها ما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : «**ما كان الحياء في شيئ قط إلا زانه ولا كان الفحش في شيئ قط إلّا شانه**» [(٣)].

الآثار الأخروية للفحش

بينا في الأحاديث السابقة بعضاً من آثار الفحش على المستوى الدنيوي كما صورته لنا الأحاديث ونضيف إليها فيما يلي بعض الآثار المترتبة عليه في الآخرة بحسب الروايات .

---

(١) الوافي: ٣ / ١٦٠ .

(٢) البحار: ٧٨ .

(٣) المستدرك: ٨ / ٤٦٥ .

الفحش في النار

كما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل جاء فيه : « ...**وإن الفحش من البذاء والبذاء في النار**».

المتفحش يسيل من فمه القيح والدم

كما ورد عن رسول الله ﷺ : «**أربعة يزيد عذابهم على عذاب أهل النار إلى أن قال : ورجل يستلذ الرفث والفحش فيسيل من فيه قيح ودم**» [1].

حرمة الجنة على المتفحش :

كما ورد عن رسول الله ﷺ قوله : «**إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان فقيل : يا رسول الله ﷺ : وفي الناس شرك شيطان ؟**

فقال رسول الله ﷺ : أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وشارِكهم في الأموال والأولاد﴾» [2]. [3].

والمراد بمشاركة الشيطان في الأموال هو دفعهم على كسبها بالوسائل والطرق والأساليب المحرمة ، وإنفاقها في موارد لا ترضي الله سبحانه وتعالى، وأما مشاركته في الأولاد: فبمشاركته الآباء في حال الو قاع إذا لم يسموا الله تعالى عنده والمقصود بولد غيره أي ولد زنى.

---

(١) المستدرك: ١٢ / ٨٢.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٦٤ .

(٣) الوافي : ٣ / ١٦٠ .

أمه هندية

كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه فقال صديقه يوماً لغلامه : يا ابن الفاعلة أين كنت ؟

فلما سمع الإمام الصادق عليه السلام من صديقه هذا القذف تألم كثيراً ورفع يده وصك بها جبهته ثم قال : «**سبحان الله تقذف أمه وقد كنت أرى أن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع**»[١].

قال صديق الإمام : جعلت فداك إن أمه هندية - يعني من بلاد الهند - ومشركة «لا يضر معها القذف».

فقال الإمام الصادق عليه السلام : «**ألا تعلم أن لكل أمة نكاحاً ، تنحَّ عني**»، قال الراوي: فما رأيت الإمام الصادق عليه السلام يمشي مع صديقه حتى فرق بينهما الموت [٢] .

أجل هكذا كان أهل البيت يحذرون من هذه الخصال السيئة تارة بالفعل وأخرى بالقول، وقد أوصونا أن نتحلى بالصفات الفاضلة وأن نتخلى عن الصفات الرذيلة .

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لنفر من الشيعة : «**معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً قولوا للناس حسناً واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول**»[٣] .

آداب القرآن

من خلال ما تقدم تبيَّن معنا قبح الفحش والعواقب المترتبة عليه وبينا أن الطبع

---

(١) الوافي: ٣ / ١٦٠ .

(٢) وسائل الشيعة: ١١ .

(٣) الوافي: ٣ / ١٦٠ .

السليم ينفر عن مثل هذه الأمور و وتجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة باتت منتشرة في كل طبقات المجتمع ، فترى الوالد يكلم ابنه بالفحش والأخ مع أخيه والصديق مع صديقه ، يستعملون ذلك في الجد والهزل في حالة السرور والحزن والغضب متناسين أن ذلك مخالف لتعاليم الإسلام .

إن مثل هذا السلوك المخالف لما جاء به القرآن ونبي الإسلام ﷺ يمكن أن ينشأ من العادة، فإذا تعود المرء على شئ استمر عليه وصعب عليه أن يفارقه ، ويجهلون وينسون أن كل ما يخرج من أفواههم من قبيح الكلام لا بدَّ وأن يُسألوا عنه **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** (١).

ولعل من الحجج الواهية التي يتذرع بها هؤلاء ما يسمونه «بالأدب المكشوف» وكأنه لا سبيل إلى الحوار والتعبير إلا هذه الكلمات النابية .

والقرآن الكريم الذي هو دستور البشرية يعطينا دروساً بليغة في هذا المجال فهو في مواضع كثيرة يكني عن الجماع بألفاظ متعددة والغرض من ذلك أن يعودنا على تهذيب منطقنا وتقويم ألسنتنا ونتأدب بأدب الله ورسوله .

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «إن الله حيي كريم يعفو ويكني ، كنى باللمس عن الجماع ، فالمس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع» (٢).

وفيما يلي نذكر بعض الآيات التي استعمل فيها الباري جل وعلا الكناية عن الجماع.

الرفث، باشروهن

نذكر هاهنا آيات أحكام تحل للصائم الجماع ليلاً وتحرمه على الحاج إذا ابتدأ في حجه ودخل في إحرامه ورغم أن الحكم يجب تبيانه بشكل واضح وبصورة جلية،

---

(١) سورة ق الآية: ١٨ .

(٢) المحجة البيضاء: ٢١٦ .

نجد الباري جل وعلا يعبر عنه بالرفث تارة وبالمباشرة أخرى . قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

وقال عز من قال :﴿أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَ لَا فُسُوقَ وَ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(٢).

فاعتزلوهن

في مورد آخر يذكر المولى جل وعلا حكمًا قرآنياً يتعلق بالمرأة الحائض وهو حرمة جماعها فيعبر عن النهي «فاعتزلوهن» «ولا تقربوهن» ثم يذكر الوقت الذي يحل فيه هذا الأمر فيعبر عنه بقوله «فأتوهن»: ﴿وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٣).

ويعبر عنه القرآن الكريم في مورد آخر بالحرث :﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٣ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٢٣

المس

وتعبير آخر للجماع في القرآن هو المس فيأتي في بيان حكم الطلاق والتيمم والظهار:

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) .

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَ لَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (٣).

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾ (٤).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (٥).

﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٦

(٢) سورة آل عمران الآية: ٤٧

(٣) سورة النساء الآية : ٤٣

(٤) سورة مريم الآية : ٢٠

(٥) سورة الأحزاب الآية : ٤٩

سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١].

الإفضاء

يصف القرآن الكريم في آية أخرى الجماع بـ «الإفضاء» **﴿وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾** [٢].

وعن ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى: **﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾** «أنه كناية عن الجماع» [٣].

حافظات للغيب - اهجروهن في المضاجع :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اَللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اَللهُ وَ اللَّاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ [٤].

يصف الله تعالى المؤمنات بأنهن «حافظات للغيب» يريد حفظهن لأنفسهن وخروجهن في حال غيبة أزواجهن .

ويعطي تعليماً للزوج في حال نشوز زوجته «أي عصيانها ومخالفتها» هو هجرانها في المضجع ويقول سعيد بن جبير رضوان الله عليه :

وعنى به الجماع إلا أنه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها [٥].

---

(١) سورة المجادلة الآية : ٤.

(٢) سورة النساء الآية: ٢١.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٣ / ١٥٣ .

(٤) سورة النساء الآية: ٣٤ .

(٥) مجمع البيان: ٤ / ٩٥ .

تغشاها

تعبير آخر للجماع ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

المراودة

وصف سبحانه وتعالى الجماع في سورة يوسف بالمراودة : ﴿وَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣).

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٤).

يأكلان الطعام

ويصف جلّ جلاله المسيح عليه السلام وأمه عليها السلام بأكل الطعام إشارة إلى مخلفاته وأن من هذا شأنه وصفته لا تجوز له الربوبية .

١ -﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٨٨.

(٢) سورة يوسف الآية : ٢٣ .

(٣) سورة يوسف الآية : ٢٥.

(٤) سورة يوسف الآية : ٥١ .

الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [١].

ورواية السيد البحراني رحمه الله معناها : أنهما كانا يتغوطان [٢].

ونختم الكلام برواية عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿ وإذا مروا باللَّغو مرُّوا كراماً﴾** [٣].

قال عليه السلام : «**هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه**» [٤].

ملاحظة: فقرة أدب القرآن اقتبسنا جزءاً منها من كتاب «من أدب القرآن الكريم» لمؤلفه «علي محمد علي دخيل».

---

(١) سورة المائدة الآية : ٧٥.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ١ / ٤٩٢.

(٣) سورة الفرقان الآية : ٧٢.

(٤) مجمع البيان: ٤ / ١٨١.

الغيبة

عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«كذب من زعم أنه ولد من حلال

وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة

فاجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار» .

المكاسب: ١/١١٣، باب الغيبة .

الغيبة [١]

الغيبة تعد من آفات اللسان ومن الذنوب الكبيرة وهي ذكر الآخرين بما يسوؤهم في ظهر الغيب .

والغيبة بهذا التعريف العام تشمل الاغتياب والبهتان والتهمة والإفك [٢] والفحش وحتى ذكر العيوب الظاهرة ، في حين أن لكل من هذه المفاهيم تعريفه الخاص وأحكامه الشرعية الخاصة ، ولا تعد جميعها من مصاديق الغيبة المصطلحة لذلك يعد مفهوم الغيبة من وجهة النظر اللغوية مفهوماً أعم من الغيبة المصطلحة ونجد الغيبة بهذا المفهوم العام في بعض الأحاديث أيضاً [٣].

الغيبة في عبارات الفقهاء

للفقهاء تعابير متنوعة في تعريف الغيبة قد يبدو للوهلة الأولى أن ذلك ناجم عن اختلافهم في التعريف ، غير أن دراسة هذا الأمر تكشف عن أن هذا الاختلاف في

---

(١) هذا البحث مقتبس من كتاب في البداية في الأخلاق العملية وكتاب الأخلاق في القرآن للشيرازي والذنوب الكبيرة لدستغيب.

(٢) التهمة والبهتان أن ينسب إلى أحد ما هو خلاف الواقع فيما يطلق الإفك على الأكاذيب الكبيرة، ويعني في الاصطلاح الشرعي الافتراء على الله ورسوله.

(٣) مثل حديث عائشة الذي يكشف عن إدانة بيان العيب الظاهر بصفته من مصاديق الغيبة، ومضمون الحديث أنّها عابت آمرأة بأنها قصيرة، فنهاها رسول الله ﷺ وقال بأن هذه غيبة لها...

التعبير ليس بسبب الاختلاف في المفهوم وإنما لتبيينه وتمييزه عن المفاهيم المماثلة .

بتعبير آخر: الفقهاء ليسوا في مقام تحديد الغيبة وتعريفها منطقياً كي تؤدي زيادة أو قلة القيد إلى إحداث تغيير ما هوي ، وإنما يهدفون من وراء ذكر هذه القيود التمييز بين مصاديق الغيبة - بصفتها تعريفاً لفظياً - وبين المفاهيم المماثلة كالتهمة والإفك والفحش والاستهزاء والسخرية والإهانة والاحتقار والإيذاء اللساني وإشاعة الفحشاء الخ - وهي مفاهيم قد تتداخل فيما بينها في معظم الأحيان - كي تتضح الأحكام الخاصة بكل مفهوم وما يترتب عليه من آثار شرعية وحقوقية .

والجدير بالذكر أن جميع هذه المفردات تعد من الذنوب الكبيرة ، إلا أن تحريمها على علاقة بعنوانها وخصوصياتها وليس لأنها غيبة ، وتقع كل واحدة منها في درجة خاصة من المعصية ولديها انعكاساتها المتناسبة معها ، فضلاً عن اختلاف كل منها فيما يترتب عليها من كفارة وتعويض .

فلو تحدث أحدهم عن عيب ظاهر أو معصية ظاهرة لأحد المؤمنين ، فإنه قد ارتكب معصية لكن ليست بصفتها غيبة وإنما كتعييب وإشاعة للفحشاء ، أو لو لصق أحدهم بآخر ومن ورائه صفة ليست فيه أو تحدث عنه بما لا يليق ، فهو مذنب وعاص بسبب ذلك الاتهام أو التشنيع لا لأن عمله كان غيبة .

وقد يرتكب المرء أحياناً عدة ذنوب في عمل واحد كالغيبة والتهمة والتعييب والتشنيع والشتم والإهانة ولا شك في أن معصيته أكبر ووزره أعظم .

ولذلك بادر الفقهاء إلى رسم حدود حكم الغيبة بعدة قيود وتعاريف من أجل تمييزها عن المفاهيم المتداخلة الأخرى لا لتقديم تعريف منطقي كامل .

وهكذا بإمكاننا القول إن الغيبة ذات مفهوم واحد وهو المفهوم اللغوي ، وقد أشار الفقهاء إلى نفس هذا المفهوم من خلال العناوين والشروط الخاصة ، ولكن لا بدَّ لنا أن نعلم بأن الفقهاء ليس لديهم رأي واحد في قضية حرمة الغيبة بجميع مصاديقها ، وربما أضاف البعض قيداً للحرمة في بعض المصاديق أو حذف البعض الآخر قيداً .

وتعد هذه القيود من شروط الحكم لا من شروط تحقق الموضوع ، أي أن أولئك الذين أضافوا هذه القيود يعتقدون بأن حرمة الغيبة لا تتحقق إلا بتحقق هذه القيود حتى وإن صدقت الغيبة ، كما أنها على صعيد آخر لو كانت حراماً من حيث كونها تهمة أو فحشاً أو إيذاءً فلا يعد ذلك من الغيبة .

ويمكن إيجاز القيود والشرائط التي أوردها الفقهاء كما يلي :

أ - تتميز الغيبة بطابع الكشف عن السر وإفشائه ، لذلك لا يعد ذكر العيوب والذنوب الظاهرة غيبة ولا يترتب عليه الذنب المترتب على الغيبة ، وإن كان هذا العمل ممنوعاً وحراماً لما تنعكس عنه من إهانة وإشاعة للفحشاء .

ب - أن لا يكون العيب المذكور كذباً ، أي أن يكون موجوداً لدى الشخص المستغاب لأنه لو كان غير موجود عُدَّ ذلك العمل تهمة وافتراءً وعُدَّ صاحبه مفترياً ، ولا شك في أن ذنب الافتراء أعظم من الغيبة المصطلحة وجزاؤه أشد .

ج - أن توجد نية التعييب لدى المغتاب . لذلك لو كان الهدف من ذكر عيوب الآخرين هو حفظ مصالحهم فلا يترتب أي إشكال شرعي عليه ، وإن لم يكن الجانب الآخر راضياً ، فالكشف عن خصوصيات المريض لدى الطبيب قد يسبب استياءه ، إلا أن ذلك العمل يصب في صالحه ويعود عليه بالنفع . كما أن الكشف عن محاسن بعض الأشخاص للإشادة بهم ، لا يعد غيبة حتى وإن بعث ذلك على استيائهم من إفشاء ما لديهم من محاسن وخصال حميدة .

ولو أدى إفشاء المحاسن والكشف عنها إلى إلحاق الأذى بصاحبها فلا يعد ذلك العمل حينئذ عملاً صحيحاً ولكنه لا يعد غيبة أيضاً ، وإنما يحسب على دائرة إيذاء المؤمن وهو عمل له حكمه الخاص به .

د - أن يكون الشخص المستغاب محدداً سواء عن طريق الاسم وسائر الأوصاف المميزة أو عن طريق الإشارة والتلميح بحيث يفهم المستمع للغيبة هوية المستغاب من خلال ذلك التلميح . لذلك لا يعد القول غيبة إذا كان عاماً ولا يحدد شخصاً بذاته

أو كان المستمع لا يعرفه.

هـ- أن يكون المغتاب مسلماً وأخاً في الدين، لذلك لا إشكال في اغتياب الكافرين والمشركين والملحدين .

و - أن لا يكون المغتاب متجاهراً بالفسق . وهذا معناه جواز غيبة المتجاهر بالذنب ، لأن شخصاً كهذا لا يخشى ارتكاب الذنب أو أن يعرف كمذنب أو أن يطلع الناس على سلوكه المنحرف . إلا إذا أدى ذلك إلى شيوع الفاحشة فتكون الغيبة حراماً من هذه الجهة لا من جهة الغيبة .

كان هذا مجموع القيود والشروط الملاحظة في عبارات الفقهاء وعلماء الأخلاق وحتى بعض اللُّغويين والتي ذكروها تبعاً للشرائط الشرعية ، ومع أن بعض هذه الشروط لا علاقة له بتحقيق المعنى اللغوي ، لكن ونظراً للشرائط الواردة في الأحاديث والمصادر الفقهية ، فلا بدَّ من عدها ذات تاثير على ترتب الأحكام الشرعية.

أقسام الغيبة

يتصور البعض أن الغيبة تقع باللسان فحسب في حين أن حقيقة الغيبة إظهار العيوب المستورة للشخص الآخر بحيث إذا سمع بذلك تألم وتأثر منها وهذا العمل يمكن أن يحصل بواسطة اللسان أو القلم أو حتى بالإشارة باليد أو العين أو الحاجب.

وأحياناً تتخذ الغيبة صبغة المزاح وأخرى صبغة الجد، وكم من الذنوب والآثام التي يرتكبها البعض في لباس المزاح والسخرية حيث تكون أخطر من الذنوب التي تلبس لباس الجد، لأن الإنسان يتحرك بحرية أكثر في حالة المزاح بخلاف حالة الجد، حيث لا يكون قادراً على بيان المطلب المراد بصورة وافية فيذكره بصبغة المزاح والإثارة للتفكه والضحك.

مضافاً إلى أن الغيبة تارة تقع بتعبيرات صريحة «وبالاصطلاح المنطقي بالدلالة المطابقية والتضمنية» وأخرى بالدلالة الالتزامية والتعبيرات الكنائية التي قد تكون أبلغ في التصريح، مثلاً عندما يتحدث الشخص عن أحد المؤمنين يقول: سامحه الله لنسكت فإن الشرع المقدس قد أغلق أفواهنا، وبهذه الكلمات يريد أن يفهم الآخرين على أن ذلك الشخص قد آرتكب أفعالاً قبيحة وعظيمة، وقد يكون التصريح بها لا يثير المستمع كما هو الحال في الكناية، ولكن بما أن مثل هذا الكلام يثير تصورات مجملة عن الموضوع فإن ذهن المستمع قد يتصور ذنوباً متنوعة وكثيرة ويكون الشخص المذكور بريئاً منها.

أو يقول: إن الشخص الفلاني له صفات جميلة وأفعال حسنة ولكن... ويسكت عن إكمال الحديث.

وأحياناً أخرى يتحرك المتكلم من موقع النصيحة والتحرق القلبي ويقول: سامح

الله فلان وجعل عاقبته إلى خير ، أو يقول : أنا خائف من عاقبة أمره فهو في الحقيقة يعرض الذنب بلباس الطاعة والشر بلباس الخير ، وكما يقول بعض العلماء إنه بذلك يكون قد ارتكب إثماً مضاعفاً فيكون قد اغتاب من جهة وارتكب الرياء من جهة أخرى . فمن جهة قد اغتاب الشخص الآخر بتلميحه لمعايب كثيرة ونسبتها إلى الطرف الآخر وتحرك من موقع الرياء حيث تظاهر بأنه ليس من أهل الغيبة بل من أهل التقوى والطاعة لأوامر الله تعالى [١].

عوامل الغيبة وبواعثها

١ - التطبع بطباع الأصدقاء :

يعد التطبع بطباع الأصدقاء والجلساء والتلون بألوانهم ، من بواعث الغيبة وأسبابها.

يتصور البعض أن حسن المعاشرة يقتضي أن يسلك المرء سلوكاً لا يثير استياء أحد ولا يبعث على تذمره منه ، في حين يعد هذا النمط من السلوك نوعاً من النفاق واللامبالاة إزاء المسؤوليات .

فهؤلاء الذين يريدون أن يرضى عنهم الجميع وأن لا يبرز لهم على ساحة الواقع ولو عدو واحد ، إنما هم أفراد متلونون ولا نصيب لهم من الفضائل الإنسانية والأخلاقية ولم يذوقوا طعم الإيمان والأخلاق ، أي أنهم يرقصون على كل إيقاع ، وينعقون مع كل ناعق، ويجرون حيثما تجري الريح ويرددون :

تعايش مع الصالح والطالح بحيث إذا مت
غسلك المسلم بزمزم وأحرقك الهندوسي

أو على نول بعضهم : «إذا لم ترد الفضيحة فتلون بلون الجماعة» أي فكن معهم

(١) الأخلاق في القرآن للشيرازي: ٣ / ٨٥ - ٨٦ .

ومثلهم .

طبقات الناس من منظار الإمام علي عليه السلام:

قسَّم الإمام علي عليه السلام الناس إلى ثلاث طبقات: «**الناس ثلاثة: فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق**» (١).

والحقيقة هي أن أكثرية الناس ، تنطوي تحت لواء الطبقة الثالثة فهؤلاء ومن أجل اكتساب ودّ الأصدقاء والأصحاب يتلونون بألوانهم وينهمكون في تعيير الآخرين والنيل منهم إرضاء لهم . وإن أدى ذلك إلى سخط الله تعالى وغضبه .

ويقول العالم الرباني الفيض الكاشاني رضوان الله عليه بهذا الصدد:

وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين، فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم، إلا أن يكون غضبك لله وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء ، بل ينبغي أن تغضب لله على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة (٢).

وهكذا ينبغي علينا ألا نكون بلا إرادة ولا اختيار إلى هذا المستوى بحيث نتلون كالحرباء بلون كل محيط ندخله ، ونتناغم مع الآخرين بدلاً من الدفاع عن أخينا في الدين ، وننبري لهتك حرمته والتحدث عن عيوبه .

لابدّ للإنسان المسلم أن يتصدى للمعصية ما يستطيع ، وأن يمنع المغتابين من التمادي في اغتيابهم ، وإلا فعليه أن يغادر مجلس الغيبة معبراً بهذه الطريقة عن استيائه من المعصية و محققاً الانتصار لأخيه المسلم . وفوق ذلك كله نائلاً رضا الباري تعالى ، حتى وإن سبَّب ذلك استياء جوقة الأصدقاء . أما إذا لم يقم بهذا الدور فسيكون في

---

(١) نهج البلاغة لصبحي الصالح، الحكمة : ١٤٧ .

(٢) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

زمرة من أشار إليهم القرآن الكريم : **﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين﴾** [(١)].

من ذلك نفهم أن من يشارك في كل محفل ومجلس ولا يتهيب من قول أي كلام مهما كان، فإنه من أهل النار . أما أولئك الذين يبحثون عن النجاة من العذاب الإلهي فينبغي لهم أن يتفادوا مجالسة غير الصالحين ومعاشرة أهل المراء الذين لا شغل لهم سوى اغتياب المؤمنين وتجاهل - في واقع الأمر - آيات الله وأحكامه والاستهزاء بها. وقد وصف القرآن الكريم عباد الرحمن بقوله : **﴿...وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾**[(٢)].

٢ ـ تنزيه النفس

يعد تنزيه النفس من العوامل الأخرى الكامنة خلف الغيبة إذ يلجأ الإنسان وبهدف تنزيه نفسه وتبرئة ساحته من الاتهامات الموجهة إليه إما إلى لصق تلك الاتهامات بغيره أو إلى إشراك غيره معه فيها ، كأن يقول : هذه المعصية من عمل فلان أو أني لم أرتكبها وحدي وإنما فعلها فلان معي أيضاً !

ومثل هذا السلوك ناشئ من الجهل وفقدان التقوى، إذ لا يجوز لأحد أن يتهم غيره أو يغتابه لا لشئ إلا لإثبات براءته.

ولو افترضنا أن الفاعل للمعصية أو عمل السوء كان شخصاً غيري ، فما هي ضرورة أن أفشي سره وأريق ماء وجهه ؟ وهب أني لم أرتكب ما نسب إليَّ من عمل قبيح فبإمكاني أن أدافع عن نفسي وأرفض الاتهام الموجه إليَّ ، لا أن أحاول تبرئة نفسي من خلال جرَّ غيري إلى هذا الاتهام أو إلصاق الجريمة بغيري .

يقول الفيض الكاشاني بهذا الشأن: «وأما تنزيه النفس بنسبة الخيانة إلى الغير حيث

---

(١) سورة المدثر الآيات : ٤٢ - ٤٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٧٢.

تستغني عن ذكر الغير فمعالجته بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق . وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقيناً ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقداً وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان .

وأما عذرك كقولك : إني إن أكلت الحرام ففلان يأكله ، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإن من خالف أمر الله لا يقتدي به كائناً من كان ، ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ، ولو وافقته لسفه عقلك ، ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه ، وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى المعز تردي نفسها من الجبل فهي أيضاً تردي نفسها من الجبل . ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت : العنز أكيس مني وقد هلكت نفسها فكذلك أنا أفعل ، لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك» [1].

وهكذا لا ينبغي للمرء تبرير عمله القبيح بذريعة أن الآخرين قد قاموا به أو فعلوا فعلاً حراماً أيضاً ، إذ إن مثل هذه الأعذار والذرائع غير مقبولة عند الله .

٣ ـ التباهي والزهو:

يصاب البعض بالغيبة بفعل ما لديهم من عجب وزهو وغرور ، إذ إنهم ولأجل الإعلان عن وجودهم والتبجح بفضلهم وكمالهم يتخذون أسلوب احتقار الآخرين واستصغارهم واغتيابهم بما لا يليق من الكلمات ، كقولهم إن زيداً لا يعرف وإن عمراً

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٦٦ .

كذا وكذا ، هادفين من وراء ذلك كله أن يبرهنوا على أنهم أفضل من غيرهم غير مترددين في ذلك عن إلصاق ما يشاؤون من العيوب بهم . وقد فات هؤلاء أن مثل هذا السلوك ليس لا يجلب اهتمام الناس فحسب ، وإنما يجني صاحبه من ورائه احتقارهم أيضاً . ويمكن أن يكون هذا المرض سبباً في ارتكاب الكثير من المعاصي الكبيرة الأخرى ، ولهذا تصدى القرآن الكريم والأحاديث لهذا النوع من السلوك الشنيع واعتبرته مذموماً .

٤ ـ التباهي من وجهة نظر القرآن :

يوصي القرآن الكريم أن لا يزكي أيٌّ منا نفسه وأن لا يعيب الآخرين ، إذ ليس بمقدور أحد أن يعلم ما في نفوس الغير وما يدور في ضمائرهم . ولذلك يقول : **﴿...فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾** [١].

وقال في موضع آخر : **﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً﴾** [٢].

إذاً ينبغي على المرء اجتناب التباهي والزهو والحذر من تزكية النفس إذ ليس بمقدور أي أحد أن يعد نفسه سليماً من العيوب ونقياً من الذنوب ، ولو فعل ذلك فإنه قد ارتكب عملاً شيطانياً وحذا حذو المتكبرين والحمقى .

٣ ـ التباهي في الأحاديث :

ذمت الأحاديث بدورها التباهي والزهو ذماً جاداً ومنها :

قال الإمام علي عليه السلام في وصف المتقين : «........**لا يرضون من أعمالهم القليل**

(١) سورة النجم الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ٤٩ .

ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له! فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربي أعلم بي مني بنفسي ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ..» [١].

وجاء في كتاب بعثه إلى معاوية بن أبي سفيان :

«....ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء لنفسه لذكر ذاكرٌ فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين ....» [٢].

وقال في موضع آخر : **«أقبح الصدق ثناء الرجل على نفسه»** [٣].

إذاً لا ينبغي أن يرى نفسه أفضل من غيره بل أن يرى غيره أفضل منه ، وفي هذا قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : **« ...العاشرة وما العاشرة . قيل له ما هي ؟ قال عليه السلام : لا يرى أحداً إلّا قال هو خير مني وأتقى ، إنما الناس رجلان : رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى ، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال لعل خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي ، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به ، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد أهل زمانه »** [٤].

وصفوة الكلام هي أن لا ينطلق المرء لتعيير الآخرين والانتقاص منهم بحجة تزكية نفسه والإشادة بها سيما وإن تزكية النفس مرفوضة في الإسلام . ولا بدَّ أن نقول بأن من يلحق الإهانة بالآخرين من خلال التباهي والتفاخر ، من الممكن أن يخلق لدى البعض سوء الظن بالشخص المستغاب ، إلا أن عليه أن يعلم بأنه علاوة على خسرانه

---

(١) نهج البلاغة لصبحي الصالح: ١٩٣ .

(٢) نفس المصدر :٢٨ .

(٣) الفهرست الموضوعي للغرر: ٣٦١ الرقم ٢٩٤٢ .

(٤) تحف العقول: ٤٤٣ .

لفضيلته عند الله نظراً لتزلفه إلى الناس ، لن يأمن الغضب الإلهي يوم القيامة وليس بإمكان الناس الذين سعى لإرضائهم إنقاذه من ذلك الغضب .

٤ ـ الحسد :

الحسد هو الآخر من العوامل التي تبعث على ظهور معصية الغيبة، ومن أجل علاج هذا المرض لا بدَّ من التفكير ببشاعة هذه المعصية ، إذ إن الذي يغتاب بدافع الحسد يكون قد ارتكب ذنبين في آنٍ واحد وابتاع لنفسه عذابين : عذاب الحسد وعذاب الغيبة ، وهما من المعاصي الكبيرة . فالحسود يتمنى زوال النعمة التي أغدقها الله تعالى على غيره ، وهي حالة مرضية تخلق لديه العذاب النفسي الذي لا ينتهي في الدنيا، وإنما يضاف إليه عذاب الآخرة أيضاً فيخسر الدنيا والآخرة معاً.

فإذا كان هدف الحسود من الغيبة القضاء على المحسود إلا أنه يقضي على نفسه في حقيقة الأمر ويلحق بها الدمار إذ إنه سيهدي دون أن يريد كل ما لديه من حسنات وأعمال صالحة إلى ذلك الذي حسده واغتابه. لذلك يعد الحسود عدو نفسه وصديق من يحسده ويغتابه، لأن سيئات المستغاب تسجل في كتاب المغتاب ، وحسنات المغتاب تسجل في كتاب المستغاب .

الغيبة عن حسد دليل على منتهى الجهل والبلاهة ، إذ ما أكثر الحسد والاغتياب اللذين عملا على إعلاء شأن المحسود والمستغاب بين الناس وازدياد جماهيريته . فليس كل تعييب من قبل غير المتقين والفاسقين يبعث على زعزعة النجاحات التي يحققها المرء أو يفرق الناس عنه، بل قد يؤدي إلى استقطابه لمزيد من ودِّ الناس وحبهم واحترامهم ، فدع الخبثاء يقولون ما يحلوا لهم إذ: كل إناء ينضح بما فيه .

وبرهنت التجارب على أن الناس في مثل هذه الأحوال ، وبدلاً من أخذهم بكلام الحاسدين ينزعون نحو من وقع عليهم الظلم ويزداد التفافهم حولهم :

وإذا أراد الله نشـــــر فـــضيلة طويت أتاح لها لسان حسود [١]

٥ - السخرية والاستهزاء:

ويعد هذا العامل أحد عوامل الغيبة أيضاً . ويتحدث صاحب المحجة البيضاء ما مضمونه لو أنك تريد باستهزائك أن تذل غيرك في نظر الناس فاعلم بأنك قد أذللت نفسك لدى الله والملائكة والأنبياء . ولو فكرت للحظة في حسرة يوم القيامة والجرائم التي ارتكبتها في الدنيا، وفي عار يوم المحشر والافتضاح في ذلك اليوم ، وما يجب عليك أن تحمله من ذنوب وأوزار ووبالات من سخرت منهم وما تتحمله من عذاب بدلاً منهم ، لما بادرت قط إلى السخرية من الآخرين واحتقارهم .

فحينما تسخر من شخص ما من أجل أن يضحك الآخرون عليه ويصغر في أعينهم لو فكرت مليّاً في الأمر لوجدت أنك أولى أن يسخر الآخرون منك ويضحكوا عليك، واعلم أنك لو استهزأت بمسلم وسخرت منه أمام البعض ، فسيستهزأ بك في يوم القيامة أمام أنظار الخلائق كافة .

فلو التفت المرء إلى باطن أعماله لأقلع عن الكثير من الذنوب والمعاصي ونفض يديه عن الأعمال القبيحة لأن للعالم ظاهراً وباطناً وأنه أشبه بالورقة التي لديها صفحتان : فالناظر إلى إحدى الصفحتين لا يرى ما هو مكتوب في الصفحة الأخرى ، إلا عدم رؤيته للصفحة الأخرى لا يعني عدم وجود شيْ فيها .

من ذلك تدرك أن الأعمال التي يقوم بها موجودة في باطن العالم وأنها تظهر في يوم القيامة الذي هو بمثابة الصفحة الأخرى للعالم . هذا فضلاً عن أن الله تعالى يراقب أعمالنا ويراها مع الرسول ﷺ والأولياء حيث قال تعالى : **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم**

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٦٧ .

تعملون﴾[١].

عرض الأعمال

هناك العديد من الأحاديث الواردة في تفسير الآية أعلاه والمتحدثة عن كيفية عرض الأعمال على الرسول محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام لا بدَّ لنا أن نضعها نصب أعيننا دائماً من أجل الحذر والدقة في أعمالنا وسلوكياتنا وأقوالنا.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها وهو قول الله تعالى: ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ وسكت**»[٢].

وقال رجل يدعى سماعة أنه سمع الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**ما لكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله؟**

فقال له رجل: كيف نسوؤه؟

فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله وسروه»[٣].

وقال الإمام الباقر عليه السلام «**إن الأعمال تعرض على نبيكم كل عشية الخميس فليستح أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح**»[٤].

وورد في حديث آخر أن عبد الله بن أبان الزيات -وكان ذا منزلة خاصة لدى الإمام الرضا عليه السلام- قال: قلت للإمام الرضا: «**ادع الله لي ولأهل بيتي.**

فقال: أولست أفعل، والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٥.

(٢) أصول الكافي: ١ / ٢١٩ باب عرض الأعمال ح١، تفسير البرهان: ٢ / ١٥٧ ح١.

(٣) أصول الكافي: ١ / ٢١٩ ح ٣، تفسير البرهان: ٢ / ١٥٧ ح ٣.

(٤) تفسير البرهان: ٢ / ١٥٨ ح ١٢.

قال: فاستعظمت ذلك .

فقال لي عليه السلام : أما تقرأ كتاب الله عز وجل: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ؟ قال : هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام » [١].

إذاً لو علم أحد أن لعالم الوجود وجهين وأن أعماله تكتب في تلك الصفحة وتعرض على أولياء الله تعالى فلن يحدث نفسه بالسخرية من عباد الله ، لأن جميع أعماله وأفعاله وتصرفاته ستظهر على مسرح العرض وسيغرق يومئذ في الحسرة والندم ولكن ما فائدة الندم؟ قال تعالى: **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذا قضي الأمر ..﴾** [٢].

إذاً من يستهزئ بالآخرين ويسخر منهم من خلال الاغتياب عليه أن يعلم بأنه سيلقى السخرية من الجميع يوم القيامة وعلى مرأى الخلائق كافة ويفتضح أمره أمام الأنبياء والأولياء عليهم السلام .

٦ - التظاهر بالتعاطف والترحم :

قد يصاب المرء بالغيبة أحياناً ضمن إطار التعاطف والترحم ، والتعاطف بحدٍّ ذاته أمر ممدوح ومقبول إذا كان لله ولم يختلط بذنب وموبقة . لكن هناك من التعاطف ما يكون منطلقاً عن الحسد والإهانة وإن أخذ طابع حب الخير والترحم .

فالمغتاب في مثل هذه الحال يحاول أن يشبع ما لديه من شعور بالحسد والانتقام في إطار التعاطف . وقد يشتبه هذا الأمر عليه أيضاً ، ولكن مع شيئ من التأمل والتدقيق يظهر أن الباعث الأساسي ليس التعاطف أبداً . فلو قال مثلاً :

مسكين فلان إنه غارق حتى أذنيه في الخطيئة ، نسأل الله أن ينقذه فإنه بهذه العبارة التي أخذت طابع التعاطف وصيغة الدعاء حاول أن ينال من ذلك الشخص ، وهو

---

(١) أصول الكافي: ١ / ٢١٩ ح ٤ ـ باب عرض الأعمال ـ.

(٢) سورة مريم الآية : ٣٩.

عمل اغتيابي ولا شك ، بل ويعد نمطاً من الرياء والنفاق وقد دفعه للاغتياب بحجة التعبير عن التعاطف، بينما قد آرتكب في الحقيقة ذنباً لم يبق له شيئاً من الأجر .

وهناك عوامل أخرى تقف خلف الغيبة أيضاً نغض الطرف عنها مراعاة للإيجاز[١].

أنواع الغيبة

صريح الروايات وكلمات الفقهاء أنه لا فرق في ذكر عيب أو نقص الآخر سواء كان نقصاً بدنياً أو نسبياً أو في الخلق ، وسواء كان في القول والعمل في الدين أو الدنيا أو في الأمور التي تعود له كاللباس والمنزل والمركب وأمثال ذلك، وقد ذكر البعض لكل واحد منها أمثلة .

أما الغيبة في أمر يعود للبدن كأن يقول: فلان أعمش أو أحول أو أعور أو أقرع أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأمثال ذلك من الأوصاف التي لا يرضى صاحبها بسماعها ويتضايق لذلك.

الغيبة في النسب مثل أن يقول: فلان أبوه فاسق أو خبيث أو خسيس أو غير نجيب وغير ذلك .

وأما الغيبة في الخلق كأن يقول: فلان سيىء الأخلاق أو بخيل أو متكبر أو جبان أو ضعيف أو مراء أو سارق أو ظالم .

الغيبة في الأمور التي ترتبط بالدين كأن يقول : فلان كاذب أو شارب للخمر أو يتهاون في الصلاة .

وأما الغيبة في الأمور التي ترتبط بدنياه كأن يقول : فلان غير مؤدب أو لا يعرف الحق لا يعرف حجمه الطبيعي، ثرثار، أكول، ينام كثيراً ...

الغيبة في الأمور التي ترتبط باللباس ، كأن يقول : لباسه قذر ، ممزق قديم طويل

---

(١) البداية في الأخلاق: ١٣٣ - ١٤٣ .

قصير ، وهكذا سائر الأمور التي تعود إليه إذا ذكره بسوء بطريقة لا يرضى بها ويكرهها.

ولا بدَّ أن نعلم أنه لا فرق في حكم الغيبة بين أن يفشي عيب الآخر بلسانه أو بفعله وإشارته ، وأن يذكرها صراحة أو كناية بطريقة تعرف ، وأحياناً تكون الغيبة بالكناية أسوأ كأن يقول : الحمد لله الذي لم يبتلنا بحب الرئاسة أو مجالسة الظلمة أو حبِّ المال ، أو أن يقول : نعوذ بالله من الحرص والبخل وقلة الحياء ، نعوذ بالله من شر الشيطان ويكون الغرض من هذه الكناية شخصاً يرتكب هذه الأعمال .

وكثيراً ما يقول بعض أصحاب الحيلة عندما يرغبون باستغابة أحد ما عيب الآخر من خلال البدء بمدحه فيقولون : كم هو جيد ولكن للأسف إنه ابتلي بالشيطان ففعل كذا . وأحياناً يظهرون الغصة والحسرة عليه نفاقاً فيقول الواحد منهم : كم تأثرت وحزنت لما ارتكبه فلان من معصية .

إذا كان حقاً يحبه ويتحسر لأجله فيجب عليه أن لا يفشي سره وأن لا يذكره بسوء .

استغابة شخص مردد أو غير معين :

تكون الغيبة إذا كان الشخص معيناً ولا مانع إذاً من استغابة شخص بدون تحديد اسمه أو ما يشير عليه كأن يقول رأيت شخصاً يفعل كذا وكذا ، أما إذا استغاب شخصاً مردداً بين مجموعة محصورة فهذا حرام، كأن يقول : أحد أبناء فلان فعل كذا و لأنه بذلك يكون قد آذى الجميع .

أما إذا استغاب شخصاً مردداً بين كثيرين فلا مانع من ذلك كأن يقول : كان أحد أهل شيراز أو أصفهان يفعل كذا ، ويجب أيضاً أن يقول بعض الأصفهانيين لديهم العيب الفلاني، أما أن يقول كل الأصفهانيين كذلك فلا شك في حرمة ذلك بل الظاهر أنه استغاب أهل كل تلك المدينة .

أما إذا قال : أكثر أهل المدينة الفلانية لديهم هذا العيب فهذا مخالف للاحتياط بل لا

تخلو حرمته من قوة [١].

الغيبة من المنظار القرآني :

لا شك أن الغيبة من المعاصي الكبيرة التي يستحق صاحبها دخول النار. وقد فسر الإمام الصادق عليه السلام كلمة «كبائر» الواردة في قوله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾ [٢].

بقوله : «**الكبائر التي أوجب الله عز وجل عليها النار**» [٣].

ونهى القرآن الكريم في عدة مواضع بشدة عن الغيبة محذراً منها : قال تعالى : ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ [٤].

وقال سبحانه : ﴿ .... **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾ [٥].

ونستشف من هاتين الآيتين أن باعث التعييب شرط في الغيبة. فقد ذمت الغيبة في الآية الأولى بصفتها تعييباً وطعناً، في حين مثلت في الآية الثانية بأكل لحم الأخ في الدين. وهذا التمثيل يعبر في الحقيقة عن أن الغيبة قتل لشخصية الآخرين، فكأنما يلجأ المغتاب إلى سحق شخصياتهم بالغيبة وإقصائهم عن الساحة، ويتغذى بهذا للحفاظ على توقير نفسه وتعظيمها وتعزيزها. وهكذا فالمغتاب يقوم بإنجاز عملين بواسطة الغيبة :

الأول أنه يريق ماء وجه الآخر، والثاني يحاول عن هذا الطريق كسب الوجهة

---

(١) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣١ .

(٣) أصول الكافي: ٢ / ٢٧٦ .

(٤) سورة الهمزة الآية : ١ .

(٥) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

الاجتماعية والموقع المرموق . أي أنه يتخذ من اغتيال شخصيات الآخرين واسطة للحفاظ على سمعته ومكانته في المجتمع . بمعنى أنه يرى شخصيته تعتمد على موت الآخرين وسحقهم وتفتيت شخصياتهم !

والأمر الآخر الذي يمكن استشفافه من الآية الثانية هو حرمة الغيبة إذا كان يراد بها الشخص المسلم فقط ، وهذا ما تؤكد عليه بوضوح عبارتا «بعضكم لبعض» و «لحم أخيه» ولذلك فإنها لا تشمل غير المؤمنين .

والأمر الثالث الذي بالإمكان استشفافه من الآية الثانية هو أن الغيبة لا تجد موضوعيتها إلا إذا كان الطرف الآخر غير حاضر ، إذ فضلاً عن أن مفردة «يغتب» في الآية تدل على عدم الحضور كذلك مفردة «ميتاً» تدل عليه أيضاً . لأن المستغاب قد شبه بالميت ، فكما أن الميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه مهما فعل به كذلك المستغاب غير قادر على الدفاع عن كرامته وشرفه لعدم حضوره .

والأمر الرابع المستشف من تلك الآية هو أن الكرامة التي تهدر بواسطة الغيبة لا يمكن استعادتها كما هو الحال بالميت الذي ليس بإمكانه أن يستعيد حياته. والله أعلم.

فما أكثر أولئك الذين يودعون هذه الدنيا متألمين ومنكسري الخواطر . ولا ريب في أن الوجوه تلتقي يوم القيامة ويهب المتألمون بين يدي الله مطالبين بحقوقهم عند الميزان والحساب ، نعوذ بالله من شر الشيطان ومن غضب الرحمن والله تعالى لا يحب للمؤمن الجهر بالسوء من القول والاستهانة بالآخرين إذ قال : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً** ﴾ [(١)].

وندرك من خلال هذه الآيات أنه تعالى يكره انكشاف مساوىء الآخرين واتضاح عيوبهم للناس [(٢)].

---

(١) سورة النساء الآية : ١٤٨.

(٢) البداية في الأخلاق العملية : ١٠٢ .

الغيبة من منظار الأحاديث :

نهت الأحاديث الإسلامية عن الغيبة أيضاً نهياً جاداً وسلطت الضوء على آثار السوء التي يمكن أن تنعكس عنها . ولا بدَّ لنا من التحدث على هذا الصعيد بشيئ من التفصيل لأن الناس – وللأسف – قلما يولون اهتماماً للغيبة، وكما قال المرحوم الشهيد الثاني : فإن أغلبهم يجتهد في الصلاة والصوم والكثير من العبادات وكل ما هو وسيلة لقرب المقام عند الله ويحرص على عدم ارتكاب الكثير من المحرمات كالزنى وشرب الخمر وغيرهما ، إلا أنه يبدد معظم وقته في مجالس اللهو والكلام الباطل وينال من كرامة الإخوان في الدين دون أن يعتبر ذلك ذنباً، وكأنه لا يخشى مؤاخذة الله تعالى في ارتكاب مثل هذه الأعمال [١].

وصفوة الكلام هي أن عدداً كبيراً من الناس يرتكب الغيبة وكأنه لا يعتبرها ذنباً ناسياً أن الغيبة تأتي على كل الأعمال الصالحة الأخرى وتنسف جميع الحسنات .

هتك حرمة المسلم أسوأ من الربا :

قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله : **«إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ، وأربى الربا عرض الرجل المسلم»**[٢].

الغيبة كأكل لحم الميت :

سبق أن علمنا بأن القرآن الكريم يشبه الغيبة بأكل لحم الأخ المؤمن وقد أشارت

---

(١) كشف الريبة: ١.

(٢) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٥٣ ، الترغيب والترهيب: ٣ / ٥٠٣ ، مكاشفة القلوب للغزالي: ١٥٦ .

الأحاديث إلى ذلك أيضاً :

قال الرسول محمد ﷺ : «**سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه**»[١].

إن وصف القرآن الكريم والأحاديث للغيبة بأكل لحم الميت هو في الواقع تأكيد على شدة هذه المعصية وفظاعتها ولم يرد مثل هذا التعبير إلا بشأن الغيبة فقط . فقد شبه الذي يتعرض للاغتياب بالميت لأنه غير حاضر في مجلس الاغتياب كي يدافع عن نفسه ، فتنتهك بالتالي حرمته وتسحق شخصيته بين الناس . ولو انتهكت حرمة شخص ما وأريق ماء وجهه في المجتمع ، فليس بإمكان أي شئ أن يتدارك ذلك الانتهاك ويعيد لذلك الشخص كرامته المهدورة ، بل يبقى ناكس الرأس إلى الأبد . ولذلك يعد المغتاب كالذي يأكل لحم أخيه المسلم وإن كان ميتاً محاولاً عن هذا الطريق أن يكسب لنفسه كرامة ومكانة اجتماعية !

وكتب الشيخ الطبرسي في شأن نزول الآية الكريمة ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾ ما يلي : «نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ آغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله ، فقال : ما عندي شئ ، فعاد إليهما فقالا : بخل أسامة ، وقالا لسلمان : لو بعثناه إلى بئر سميحة[٢] لغار ماؤها . ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله : ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ قالا: يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً ! قال : ظللتم تأكلون لحم سليمان وأسامة ، فنزلت الآية»[٣].

---

(١) كشف الريبة: ٦ ، المكاسب المحرمة: ٤٠ ، الترغيب والترهيب: ٣ / ٥١١ ح ٢٤ .

(٢) سميحة : بئر كثيرة المياه .

(٣) مجمع البيان: ٩ / ١٣٥ .

وهناك روايات وأحاديث أخرى تصف الغيبة بمثابة أكل لحم المسلم الميت [1].

ونستنتج من هذا التشبيه القرآني الفريد وتأكيد الأحاديث عليه ، مدى قبح هذا العمل الذي يعد أسوأ ظلم يمكن أن يلحقه أخ بأخيه في الدين .

ويكفي في قبح هذا السلوك وشناعته أن الذئب لا يفعله مع ذئب آخر :

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

تبدد الحسنات

تعمل الغيبة على تبديد الحسنات وذهاب الأعمال الصالحة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : **«الغيبة حرام على كل مسلم وأنها تأكل الحسنات كما تأكل النيران الحطب»** [2].

وقد يبدد الإنسان أحياناً بغيبة يرتكبها كل ما لديه من حسنات وعمل صالح ، وتكتب تلك الحسنات في كتاب من اغتابه . وهذه حقيقة يتحدث عنها الحديث التالي :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«يؤتى أحدكم يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى ويدفع إليه كتابه فلا يرى فيه حسناته فيقول : إلهي هذا كتابي فإني لا أرى فيه طاعتي ؟ فيقول له : إن ربك لا يضل ولا ينسى وذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول : إلهي ما هذا كتابي فإني ما عملت هذه الطاعات ؟ فيقول له: إن فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك»** [3].

---

(١) لمزيد من المعلومات راجع: معراج السعادة: ٤٢٩،الترغيب والترهيب: ٣ / ٥٠٦ و٥٠٧، وإحياء علوم الدين: ٣ / ١٤٢، كشف الريبة: ٣ .

(٢) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٥٥ ، كشف الريبة: ٩ .

(٣) جامع السعادات: ٢ / ٣٠٦ ، بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٥٨ .

المغتاب خارج من ولاية الله

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينة وهدم مروءته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»** (١).

الغيبة تقوض دين الإنسان:

قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله : **«الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه»** (٢).

وقال صلى الله عليه وآله : **«الغيبة والنميمة يحتان الإيمان كما يعضد الراعي الشجرة»** (٣).

جزاء الغيبة:

لا شك في أن عذاباً قاسياً بانتظار المغتاب في يوم القيامة .

قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله : **«من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حياً فيأكله ويكلح ويضج»** (٤).

وقال أيضاً : **«مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء؟**

قال : هؤلاء الذين اغتابوا الناس ويقعون في أعراضهم» (٥).

---

(١) وسائل الشيعة: ٨ / ٦٠٨ ، كشف الريبة :١١ مع اختلاف يسير .

(٢) جامع السعادات: ٢ / ٣٠٤ .

(٣) الترغيب والترهيب: ٣ / ٥١٤ ح ٢٨ .

(٤) نفس المصدر: ٥٠٨ ح ١٧ .

(٥) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٥١ ، معراج السعادة: ٤٠٧ ، الترغيب والترهيب: ٣ / ٥١٠ ح ٢٠ ،

الغيبة وهبوط قيمة العبادات :

ورد في حديث آخر أن مرتكب الغيبة تقل قيمة عبادته قال رسول الله ﷺ : **«الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث ، قيل : يا رسول الله وما يحدث ؟**

قال : الاغتياب» [(١)].

الغيبة تمنع قبول الأعمال :

للرسول ﷺ حديث يقول بأن الملك الموكل بالأعمال يمنع تجاوز أعمال المغتاب الصالحة إلى الله قائلاً: **«..اضربوا هذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب يتجاوزني إلى ربي»** [(٢)].

حرمان المغتاب من الجنة :

قال رسول الله ﷺ : **«تحرم الجنة على ثلاثة : على النمام وعلى المغتاب وعلى مدمن الخمر»** [(٣)].

= مكاشفة القلوب: ١٥٥ ، بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٢٢ .

(١) أصول الكافي: ٢ / ٣٥٧ باب الغيبة والبهت ، كشف الريبة: ٤ ، وسائل الشيعة: ٨ / ٥٩٨ .

(٢) كشف الريبة: ٦.

(٣) وسائل الشيعة: ٨ / ٥٩٩ .

تنويه

لو تاب المغتاب وقبلت توبته كان آخر من يدخل الجنة : «**أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران أن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار**» (١).

المغتاب ليس مولوداً من حلال :

ورد في بعض الأحاديث أن المغتاب الذي يقع في أعراض الناس ويسقطهم من العيون ليس مولوداً من حلال لأن نطفته لو كانت قد انعقدت من حلال لما تلوث بهذا الذنب .

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : «**كذب من زعم أنّه ولد حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة فإنها إدام كلاب النار**» (٢).

وربما المقصود في هذا الحديث هو التغذية والتولد من الأغذية الحرام . ويحتمل أن تختص هذه الصفة بمن عمله الغيبة وإلحاق الأذى بالآخرين باستمرار ، إذ تدل على هذه الاستمرارية عبارة «وهو يأكل» التي استخدم فيها الفعل بصيغة المضارع التي تدل على الاستمرار والتجدد «والله أعلم» (٣).

---

(١) كشف الريبة: ١١ ، المكاسب المحرمة: ٤٠ . الجواهر السنية: ٦٦ الباب السابع .

(٢) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٥٧، والمكاسب المحرمة: ٤٠ مع الاختلاف التالي «....فاجتنب الغيبة فإنها...» أمالي الصدوق: ١٧٤ ح ٩ المجلس ٣٧ .

(٣) البداية في الأخلاق العملية: ١٠٧ .

رد الغيبة والدفاع عن الأخ في الدين

هناك أربعة واجبات على صعيد الغيبة :

١ - حرمة الغيبة .

٢ - حرمة استماعها .

٣ - النهي عنها .

٤ - الدفاع عن كرامة الأخ المؤمن وحفظ حرمته .

فعلى صعيد الغيبة فضلاً عن وجوب النهي عن المنكر والحيلولة دون وقوع هذه المعصية بشكل مطلق يجب أيضاً رد الغيبة ورفضها والدفاع عن حرمة الأخ في الدين وكرامته. بتعبير آخر: وإن عد عدم الاستماع إلى الغيبة وعدم الاكتراث بكلام المغتاب من مصاديق النهي عن المنكر لكنه لا يعد كافياً، وإنما يجب على كل فرد الدفاع عن إخوته في الدين والعقيدة والسعي لحفظ حرمتهم ، أي ينبغي على كل مسلم رفض كل ما يوجه لأخيه المسلم من انتقادات وما تلصق به من عيوب ، من خلال التبرير الصحيح والأسلوب الذي يرضى به الله كي يحول دون تمهد الأرضية لنمو الإشاعات واستفحالها من جهة، وكي لا يجرؤ أحد على انتهاك حرمات الآخرين وبث الدعايات المغرضة حولهم بلا حساب معرضاً كرامتهم للخطر عن طريق التهمة والافتراء والغيبة. ذلك لأن الله تعالى يريد عزة المؤمنين ورفعتهم ويرى في العوامل التي تهدد هذه القيم عوامل معادية.

ولهذا أمَرَ سبحانه بالوقوف في وجه هذه العوامل والتصدي لها وتحطيم جدار الصمت وعدم السماح لأي أحد بتلويث البيئة الاجتماعية وتشويه سمعة المؤمنين

بواسطة الفحشاء والغيبة وزعزعة الشعور العام بالثقة من خلال ترويج الإشاعات والدعايات التي لا تقوم على أساس .

ويتصور البعض أن رد الغيبة هو نفس النهي عن المنكر الذي يجب فيه على الجميع الحيلولة دون وقوع المعصية بكافة أنواعها . ولكن مسألة الغيبة وكما قلنا ، قضية أخرى لا يكفي فيها النهي ، وإنما لا بدَّ من العمل على إعادة حرمة المستغاب والانتصار لكرامته .

ويقول الشيخ مرتضى الأنصاري بهذا الشأن : «والظاهر أن الرد غير النهي عن الغيبة، والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة فإن كان عيباً دنيوياً انتصر له بأن العيب ليس إلا ما عاب الله به من المعاصي التي من أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به، وإن كان عيباً دينياً وجهه بمحامل تخرجه عن المعصية» [1].

ثم يقول الشيخ الأنصاري في أعقاب ذلك: «فإن لم يقبل التوجيه انتصر له بأن المؤمن قد يبتلي بالمعصية فينبغي أن يستغفر له ويهتم له لا أن تعير عليه وإن تعييرك إياه لعله أعظم عند الله من معصيته ونحو ذلك» [2].

وهكذا لا بدَّ للمرء أن يرد الغيبة عن أخيه المؤمن ويدافع عنه ما يستطيع .

النتائج الإيجابية لرد الغيبة

نصرة الدنيا والآخرة :

قال رسول الله ﷺ : **«من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره**

---

(١) المكاسب المحرمة: ٤٦ .

(٢) نفس المصدر، هناك في كتب الحديث باب عنوانه «باب التعيير» فيه أحاديث فحواها أن من يبصر لدى الآخر ذنباً فيعيره به عيَّره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وورد في بعض الأحاديث أن من يعيِّر مؤمناً بشيئ فلا يموت حتى يرتكب نفس ذلك الشيئ . راجع أصول الكافي: ٢ / ٣٥٦ .

نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة» [١].

دفع الشر والبلايا:

قال الرسول ﷺ: **«من رد عن أخيه غيبة سمعها في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة»** [٢].

الذهاب إلى الجنة :

قال رسول الله ﷺ: **«من رد عرض أخيه المسلم وجبت له الجنة البتة»** [٣].

النتائج السلبية لعدم رد الغيبة

الخذلان في الدنيا والآخرة :

قال رسول الله محمد ﷺ فيمن يخذل المستغاب : **«...ومن خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة»** [٤].

تحمل سبعين وزراً :

أورد الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق حديثاً رواه عن رسول الله ﷺ حول رد الغيبة يقول : **«......فإن هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه**

(١) المكاسب المحرمة: ٤٦، ثواب الأعمال: ١٧٨ مع اختلاف يسير.

(٢) المكاسب المحرمة: ٤٦ وورد في كتاب من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٨: «ألا ومن تطول على أخيه في غيبة سمعها فيه...».

(٣) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٦١.

(٤) المكاسب المحرمة: ٤٦.

سبعين مرة»[١].

الغيبة الجائزة[٢]

رغم أن الغيبة ، إحدى المعاصي الكبيرة التي نهى عنها القرآن الكريم والأحاديث بشدة إلا أن هناك بعض الحالات المستثناة من هذه العمومية ولا تعد الغيبة فيها معصية وحراماً .

ونظراً لما يتميز به هذا الموضوع من أهمية خاصة ، لهذا لو أردنا أن نبحثه من جميع جوانبه ونركز على ما فيه من نقاط دقيقة ، لكنا بحاجة إلى فرصة أخرى ومجال أوسع . ولا بدَّ لنا هنا من استعراضه بشكل موجز والإشارة إلى أهم ما فيه من نقاط .

ولابدَّ في بادي الأمر من القول بأن الغيبة لما كانت من المعاصي الكبيرة وبما أنها عمل في منتهى القبح والبشاعة فينبغي أن تحظى الحالات التي يسمح فيها بالغيبة بأهمية خاصة كي يكون بإمكانها مجابهة مفسدة الغيبة والتعتيم عليها .

ولا بدَّ أن تتم عملية التمييز بين الأهم والمهم وترجيح شيء على شيء آخر على أساس المعايير المعتبرة الصحيحة التي يرضى بها الله سبحانه .

من الطبيعي ، ليس بإمكان المعايير القائمة على الظن والوهم والناشئة في بعض الأحيان من الأغراض الشخصية والعقد والتبريرات والنوازع النفسية والوساوس الشيطانية ، أن تجيز الغيبة ، بتعبير آخر : لا يمكن تجويز الغيبة إلا إذا كانت هناك وبشكل قاطع وباتٌ مصلحة ضرورية وأهم لا بدَّ لحفظها من اللجوء إلى الغيبة .

إذاً لو بادر أحدهم إلى الغيبة تحت تأثير الوساوس الشيطانية أو بذريعة أن فلاناً تجوز غيبته ، أو أن هذه الحالة من حالات الاستثناء ، فلا شك في أنه مذنب وعاص

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤٦ . والبداية في الأخلاق العملية: ١١٤ .

(٢) البداية في الأخلاق العملية: ١٤٣ .

وليس بمقدور مثل هذه الذرائع والحجج أن تجيز له الغيبة ، ما لم يميز بين الحالات في منتهى الحزم والحذر والواقعية والإنصاف ويكن على معرفة كاملة بما هو حلال وما هو حرام . نعوذ بالله تعالى من تسويلات النفس الأمارة بالسوء.

وعلى ضوء المقدمة أعلاه نشير أدناه إلى بعض الحالات الاستثنائية[١].

١ ـ الدعوى

الذي يتعرض للظلم ، لا بدَّ له حينما يقدم دعوى لدى الحاكم أن يتحدث عن الظلم الذي لحق به ، ويكشف عن اسم من ألحق به ذلك الظلم . فإن لم يفصح عن اسمه ولم يفض إلى المحكمة بتفاصيل ما وقع عليه من الظلم فليس بمقدور الحاكم البت في موضوع الدعوى وإصدار حكم فيها . لذلك ليس أمام المدعي سوى اغتياب من ظلمه.

فمن كان مديناً ـ على سبيل المثال ـ وبمقدوره دفع ما عليه من دين للدائن إلا أنه كان يماطل في الدفع ويتهرب منه بطريقة وأخرى فمن حق الدائن في هذه الحالة أن يغتابه لإحقاق حقه . ويستند تجويز الغيبة في ذلك إلى قاعدة فقهية وحقوقية مستنبطة كمبدأ عام من حديث نبوي يقول : **«لَيُّ الواجد بالدين يُحِلُّ عرضه وعقوبته»** [٢].

أي أن التأخير في سداد الدين يدفع بالدائن إلى رفع دعوى لدى الحاكم الذي ينبري بدوره للتحقيق في الأمر وحينما يثبت له إهمال المدين ومماطلته يصدر بحقه العقوبة والتعزيز .

وهكذا يتضح أن الإهمال في تسديد الديون يلغي حصانة العرض ويوجب العقوبة لأن التقصير في أداء الدين مع وجود الاستطاعة المالية ظلم للدائن وانتهاك

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن بعض حالات الاستثناء كالتجاهر بالفسق أو العيوب الظاهرة من الممكن ألا تعد تخصصاً من موضوع الغيبة غير أن الفقهاء وعلماء الأخلاق يعدونها من مستثنيات الغيبة .

(٢) وسائل الشيعة: ١٣ / ٩٠، كتاب التجارة: ح ٤ .

لحقوقه ، قال رسول الله ﷺ : «**مطل الغني ظلم**»[١].

وهكذا بإمكان الدائن المظلوم أن يدافع عن حقه ويقيم دعوى على المدين الظالم لحقه وقد قال رسول الله ﷺ : «**لصاحب الحق مقال** »[٢].

فالدعوى مهمة إلى درجة بحيث يحق إقامتها حتى على الحاكم نفسه . إذ من الممكن أن يظلم الحاكم في الأحكام التي يصدرها وقد يقدم الروابط على الضوابط – كما يقولون – من خلال الارتشاء أو المحسوبية والمنسوبية ، فيحكم بما هو خلاف حكم الإسلام . وفي مثل هذه الحالة يحق للمظلوم الاغتياب خلال المرافعة والتحقيق وذكر اسم ذلك الحاكم وذمه أمام الجهات التي تبت في الأمر .

باختصار لا إشكال في الغيبة والذم خلال الدعوى وقد أعطى القرآن الكريم الحق للمظلوم كي يصرخ بمظلوميته ويطالب برفع ما وقع عليه من ظلم :

﴿**ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً**﴾[٣].

وقال القرآن الكريم في موضع آخر : ﴿**ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم**﴾[٤].

تنويه

وتجدر الإشارة إلى أن الغيبة في مثل هذه الحالة لا تجوز إلا فيما يتعلق بذلك الظلم الذي رفعت الدعوى عليه ، ولا يحق للمدعي اغتياب المدعى عليه في عيوبه الأخرى إذ يعد ذلك معصية وحراماً. ولكي لا يسمح القرآن الكريم بإساءة استعمال هذا

---

(١) وسائل الشيعة: ٣ / ٩٠.

(٢) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٠ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٤٨ .

(٤) سورة الشورى الآيتان : ٤١ – ٤٢ .

القانون، ذكر في نهاية الآية السابقة ﴿**وكان الله سميعاً عليماً**﴾ أي أن الله عالم بما لديكم من نوايا وهل لجأتم إلى الغيبة لدفع الظلم أم للتنفيس عن العقد .

٢ - الاستنجاد للحيلولة دون المنكرات :

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد مستثنيات الغيبة ، إذ قد لا يصبح بمقدور المرء في بعض الأحيان أن يقف بوجه المنكر لوحده ، فيجد نفسه مرغماً على الاستنجاد بالآخرين وبالجهات الرسمية المسؤولة كالشرطة والجهاز القضائي وسائر المؤمنين وتقديم المعلومات الضرورية في هذا المجال كالاسم ومحل وقوع المنكر بهدف مكافحته والحيلولة دونه .

فلو علمت - مثلاً - بتحول إحدى الدور إلى مركز للفساد وتردد الكثيرين على هذا الوكر الفاسد فماذا بإمكانك أن تفعل ؟

فإذا ما أردت إغلاق هذا الوكر والحيلولة دون ما تجري في داخله من أعمال لا أخلاقية فليس أمامك سبيل سوى إخبار الناس بالأمر أو الاتصال بالجهات القضائية ورجال الشرطة .

من الطبيعي ليس بالإمكان التنصل من المسؤولية في مثل هذه الحالة بذريعة الغيبة، لأن وجود مثل هذه الأوكار الفاسدة يشكل خطراً على أخلاق المجتمع الإسلامي وثقافته، ويجر أفراده إلى الفساد والرذيلة والتحلل الخلقي ويدمر طاقاته الفاعلة والمنتجة . ولذلك فقد أفتى العديد من الفقهاء حتى بإعدام من يدير هذه المراكز بصفتهم مفسدين في الأرض .

من هنا لو انبرى أحد لفضح أصحاب هذه المراكز الفاسدة بهدف التصدي للفساد ومكافحة المنكرات فليس لا يعد عمله غيبة وحراماً فحسب وإنما قد ذهب لأداء عمل واجب أيضاً .

٣ ـ الاستفتاء :

يعد الاستفتاء والسؤال عن الحكم الشرعي من الحالات التي تجوز فيها الغيبة إذ قد يجد المرء نفسه مجبراً في بعض الأحيان لذكر اسم شخص أو عدد من الأشخاص حين يسأل عن مسألة شرعية ولا ضير في ذكر الاسم إذا كانت تلك المسألة مهمة وحياتية ،كأن يقول السائل أو المستفتي إن أبي أو أخي قد ظلمني وأضاع حقوقي فهل رأيي في هذه المسألة صحيح ؟

وإذا كان صحيحاً فهل بإمكاني أن أقيم الدعوى على أبي وأخي ؟

فأرشدوني على هذا الصعيد وأخبروني بحقيقة الأمر كي أنطلق لاستيفاء حقي ضمن إطار ما هو جائز لي دون أن أتجاوز في ذلك الحدود الشرعية أو أنتهك كرامة أحد بدون مبرر .

ويرجع التصريح بالاسم في هذه المسألة وغيرها من المسائل المماثلة لضرورة أن تتضح المسألة بجميع أبعادها للفقيه حتى يسهل عليه إعطاء الجواب المناسب .

أما إذا لم يكن للأسماء تأثير على ذلك فلا يجوز ذكرها .

انطلاقاً من ذلك لا بدَّ من الاستعانة بالكناية والإشارة في مثل هذه الحالات قدر الإمكان والاكتفاء بأقل حد ممكن من المعلومات الخاصة بالسؤال الشرعي ، كما لو يقول : ما هو رأيكم فيمن يظلمه أبوه أو أخوه ؟

أما إذا لم يجد أمامه سبيلاً سوى التطرق على الأسماء جازت الغيبة آنذاك ولا تعد ذنباً ولا معصية .

٤ - الغيبة بدافع التحذير :

يعد التحذير من خطر يتهدد المسلم أحد الأسباب التي تسوغ الغيبة فلو رأى المرء أحد أصدقائه على علاقة مع فئة أو جهة ما والتي تضر بمصلحته فلا بدَّ من وضعه في

الصورة وتحذيره من الأخطار التي من الممكن أن تطاله من خلال استمراره في تلك العلاقة . فلو كان هذا الصديق معاشراً لأشخاص لا يعرف ما لديهم من عيوب وسلبيات، ولو ظل على عشرته لهم لوقع تحت تأثير تلك العيوب بشكل تدريجي ، فلا بدَّ في مثل هذه الحال من كشف عيوبهم له كي يكون تعامله معهم عن بصيرة ووعي وقال الرسول الأكرم محمد ﷺ : «**أترغبون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس . اذكروه بما فيه يحذره الناس**» [١].

٥ ـ اللقب المشهور

لا مانع من الإشارة إلى الشخص بالاسم أو اللقب الذي اشتهر به حتى وإن كان يعبر عن عيب أو نقص لدى ذلك الشخص ، إذا كان ذلك العيب قد فقد قبحه بمرور الزمن بحيث لو ناداه أحد بذلك اللقب الدال على العيب ، لما شعر بالاستياء والضجر . فلو كان أحدهم أعمى وعرف بين الناس بالأعمى بحيث راح يقال جاء الأعمى وذهب الأعمى وقال الأعمى هكذا ، أو لو كان أعرج وأخذ الناس يشيرون إليه بالأعرج حين تحدثهم عنه دون أن يقصد أي منهم تعبيره أو التعييب عليه ، ودون أن يشعر هذا الرجل الأعمى أو الأعرج بالاستياء من ذلك فلا يعد تصرف هؤلاء الناس غيبة .

ونجد بين رواة الأحاديث من يشار إليه بالنقص العضوي الذي لديه بحيث غدا ذلك النقص وكأنه اسم يعرف به كالأعور [٢] والأعمش [٣].

والجدير بالذكر أن هذا الاستثناء لا يعد مصداقاً إلا إذا كان الإفصاح عن العيوب المشهودة وغير المشهودة غيبة وتخرج موارد هذا الاستثناء عن مصداق الغيبة إذا كانت الغيبة تعني الإفصاح عن السر فقط ، وفي حال عدم الرضا ، تأخذ إطار إهانة

---

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧١ .

(٢) كمثال. راجع: وسائل الشيعة: ٨ / ٥٧٧، كتاب الحج أبواب أحكام العشرة . الباب ١٤٠ ح ٣.

(٣) راجع بهذا الشأن: وسائل الشيعة: ١١ / ٢٦١ ح ٣٦، ـ باب أبواب جهاد النفس ٤٦ ـ.

المؤمن أو إيذائه لا إطار الغيبة «والله أعلم».

٦ ـ الغيبة عند الاستشارة

تعد الغيبة جائزة في حال الاستشارة فلو استشير شخص في قضايا فردية أو اجتماعية مهمة كالزواج والمعاملات أو استخدام وعزل الموظفين والشخصيات المسؤولة فلا إشكال في ذكر نقاط الضعف والعيوب عند الضرورة بل قد يجب ذكرها في بعض الأحيان.

قال الإمام علي عليه السلام: **«المستشار مؤتمن»** [(١)].

وهكذا لابدَّ للمستشار أن يفضي للمستشير بكل ما لديه من معلومات في موضوع الإشارة، كي ينبري للقيام بعمله عن بصيرة. أما إذا أحجم عن ذكر الحقيقة فقد خان في الاستشارة.

ويقول الشيخ مرتضى الأنصاري بهذا الشأن: «..... منها نصح المستشير فإن النصيحة واجبة للمستشير فإن خيانته قد تكون أقوى مفسدة من الوقوع في المغتاب «المستغاب» [(٢)]، وكذلك النصح من غير استشارة، فإن من أراد تزويج امرأة وأنت تعلم بقبائحها التي توجب وقوع الرجل من أجلها في الغيبة والفساد فلا ريب أن التنبيه على بعضها وإن أوجب الوقيعة فيها أولى من ترك نصح المؤمن مع ظهور عدة من الأخبار في وجوبه» [(٣)].

٧ ـ غيبة أهل البدع

لو رأى أحدنا من يحاول أن يوجد البدعة في دين الله ويضل الناس فبإمكاننا

---

(١) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٢٧.

(٢) المغتاب يصدق عليه اسم الفاعل واسم المفعول معاً.

(٣) المكاسب المحرمة: ٤ / ٤٥.

اغتيابه وذكر عيوبه من أجل اجتثاث مادة الفساد من الجذور . وعملنا هذا ليس لا يعد غيبة فحسب بل ويسجل به لنا الحسنات أيضاً . وفي هذا قال الإمام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم . يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة**» [١].

٨ ـ غيبة المتجاهر بالفسق :

وتجوز الغيبة في هذه الحالة حتى بدون وجود مصلحة خاصة إذ لا تصدق الغيبة هنا مع وجود حالة التجاهر بالفسق لدى الفرد .

ونشير بهذا الصدد إلى بعض الأحاديث : روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله : «**ثلاثة ليس لهم حرمة : صاحب هوى مبتدع ، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه**» [٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «**ثلاثة لا غيبة لهم : صاحب الهوى ، والفاسق المعلن بفسقه والإمام الجائر**» [٣].

وقال أيضاً : «**ليس لفاسق غيبة** » [٤].

وقال أيضاً : «**من ألقى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له**»[٥].

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٣٧٥ . المكاسب المحرمة: ٤٥ .

(٢) المكاسب المحرمة للشيخ الأنصاري: ٤٤ . ووسائل الشيعة: ٨ / ٦٠٥ ح٥ من الباب ١٥٤ مع هذا الاختلاف : «...المعلن بالفسق» .

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي: ٣ / ١٥٣ .

(٤) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٢ ، بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٣٧ .

(٥) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٢ ، آختصاص المفيد: ٢٤٢ ، الدر المنثور:٦ / ٩٧ ، وكنز العمال: ٣ : ٩٥٩ ، بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٣٣ مع قليل من الاختلاف في الألفاظ .

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «**إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة**»[١].

تنويه حول غيبة الأموات :

أحياناً يتصور البعض أن مفهوم الغيبة الواردة في الروايات الشريفة ناظر إلى الأحياء من المسلمين ولا يشمل الأموات ، وعليه يجوز غيبة الأموات ولكنه خطأ فاحش لأن الوارد في الروايات الإسلامية أن : «حرمة الميت كحرمته وهو حي» .

بل يمكن القول بأن غيبة الميت أقبح وأشنع من بعض الجهات من غيبته وهو حي لأن الأحياء يمكن أن يصل إليهم خبر الغيبة ويتحركون من موقع الدفاع عن أنفسهم ويردون على من اغتابهم ، ولكن الميت غير قادر على الدفاع أبداً، مضافاً إلى أن الشخص المرتكب للغيبة قد يرى الطرف الآخر فيما بعد ويطلب منه الصفح وأن يكون في حلٍّ ولكن هذا المعنى لا يصدق على الأموات .

ومضافاً إلى ذلك الأوامر والإرشادات الدينية الواردة في ضرورة احترام جسد الميت المسلم من قبيل الأمر بغسله وتكفينه والصلاة عليه والمفاهيم الواردة في الصلاة عليه ودفنه وزيارة أهل القبور وحرمة هتك قبر المؤمن وأمثال ذلك كلها يدل على وجوب حفظ حرمة الميت المسلم [٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ٨ / ٦٠٥ ، أمالي الصدوق : ٤٢ .

(٢) الأخلاق في القرآن : ٣ / ١٠٨ .

كفارة الغيبة

رأي الفقهاء :

للفقهاء رأيان بهذا الشأن : يرى البعض كفاية الندم والاستغفار للشخص المستغاب والدعاء له والتصدق عنه والقيام بأعمال الخير الأخرى بدلاً منه .

وقال الرسول الأكرم ﷺ في ذلك : «**كفارة من اغتبته أن تستغفر له**» [١].

ويرى البعض الآخر وجوب الذهاب لدى المستغاب والاستحلال منه ، لأن الغيبة أمر يتعلق بحق الناس وما لم يرضَ المستغاب فلن تقبل توبة المغتاب .

وهناك أحاديث بهذا الشأن منها :

١ – قال الرسول محمد ﷺ : «**إن الغيبة أشد من الزنى وإن الرجل يزني فيتوب ويتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه**»[٢].

٢ – وقال ﷺ أيضاً : «**من كان لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها من قبل أن يأتي يوم ليس هناك درهم ولا دينار فيؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيتزايد على سيئاته**» [٣].

٣ – وقال ﷺ في حديث آخر : «**من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلا أن يغفر له صاحبه**» [٤].

---

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٣ ، أمالي الشيخ الطوسي : ١٢٠ مع قليل من الاختلاف .

(٢) المكاسب المحرمة: ص ٤٠ .

(٣) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٣ .

(٤) المكاسب المحرمة : ٤٣ .

ويتحدث المرحوم الفيض عن طريق آخر ....فيقول : قال الإمام الصادق عليه السلام : **«إن اغتبت فبلغ المغتاب «المستغاب» فاستحل منه وإن لم تبلغه فاستغفر الله له»**[١].

كفاية الاستغفار :

هناك مورد واحد تتفق حوله آراء الفقهاء وهو كفاية الاستغفار في حالة وفاة المستغاب أو تعذر الوصول إليه حيث ليس بمستطاع المرء أن يفعل شيئاً غير الاستغفار وليس مكلفاً بأكثر من ذلك إذ : **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ..﴾** [٢].

أسلوب علاج الغيبة [٣]

لعلاج أي داء ومرض لا بدَّ من وجود ثلاثة عناصر أساسية :

١ - الشعور بالألم .

٢ - معرفة عوامل الداء وأسبابه .

٣ - طريقة مكافحة الداء .

وإذا علمنا أن الغيبة إحدى المعاصي الكبيرة والأمراض الأخلاقية الخطيرة فلا بدَّ بادئ ذي بدء من تحديد عوامل هذا المرض للقضاء عليها وبالتالي القضاء على أعراض المرض . وعوامل داء الغيبة وعلله كثيرة جداً ويمكن الرجوع على هذا الصعيد إلى كتب الأخلاق إذ فيها الكثير مما يغني ويفيد وسنقوم بدورنا بعرض شيء منها مع إضافة بعض التوضيحات بما ينسجم مع البحث .

وقبل الدخول إلى صلب الموضوع نجد من الضروري الإشارة إلى ثلاث نقاط مهمة هي بمثابة رصيد ودعامة لما سيلي من مباحث :

---

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٣) البداية في الأخلاق العملية : ١٢٩ وما بعدها.

أ - الرصيد الإيماني :

لا شك في أن عنصر الإيمان أهم العوامل المؤثرة في مجابهة عوامل الفساد والأسقام المعنوية والنفسية لا سيما الإيمان بالله واليوم الآخر . فمن لديه إيمان بالله تعالى ويوم الجزاء، قلما يرتكب الذنب الكبير لا سيما التهمة والغيبة ، فكيف يمكن لمن يؤمن بأن هناك حساباً وأجراً وعقاباً ولا يخاف الذنب ولا يخشى المعصية ؟

اللهم إلا إذا كان قد آمن بلسانه فقط ولم يلامس هذا الإيمان شغاف قلبه . وقد قال الله تعالى في أصحاب مثل هذا الإيمان :

﴿ قال الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (١).

كما قال جلّ وعلا في آية أخرى : **﴿ ....يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ...﴾** (٢).

ب - ذكر الله :

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «..**فإن أردت الإسلام فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الإثم ثواباً**» (٣).

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : «**ذكر الله دواء إعلال النفوس**» (٤).

ج - التذكر والانتقاد الذاتي :

العارف بما لديه من ذنوب والمعترف بها لا ينطلق إلى تعيير الناس وذكر عيوبهم فالغرور والأنانية يقفان في معظم الأحيان خلف انطلاق المرء للبحث عن عيوب

(١) سورة الحجرات الآية : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٦٧ .

(٣) مصباح الشريعة الباب : ١٠٠ .

(٤) الفهرست الموضوعي للغرر : ١٢٤ الرقم : ٥١٦٩ .

الآخرين . فالإنسان الذي يرى نفسه تضج بالعيب وتصرخ بالنقص ، يستقبح لها أن تنال من الآخرين وتنتقدهم لعيوب شبيهة بعيوبه . وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فيمن هو مشغول بعيوبه عن عيوب غيره: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**»[١].

أكبر العيوب

ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله : «**أكبر العيب أن تعيب غيرك بما هو فيك**»[٢].

وقال أيضاً في حديث مماثل : «**أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله**» [٣].

شر الناس :

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «**شر الناس من كان متتبعاً لعيوب الناس عمياً لمعايبه**» [٤].

عينه عمياء عن رؤية ذرة من عيوبه بينما لسانه يلهج بعيوب غيره[٥]

فبعض الناس ينهمكون في الحديث عن عيوب الآخرين ونقاط ضعفهم متناسين أخطاءهم ومتجاهلينها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك: «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ويدع الجذع في عينه**» [٦].

لا نبصر عيبنا البادي للعيان ونمزق حجب عيوب الناس [٧]

بإيجاز، العاقل هو ذلك المنهمك في عيوبه والمنشغل بها عن عيوب الناس .

---

(١) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٦٤ .

(٢) الفهرست الموضوعي للغرر : ٣٨٦ الرقم : ٣١٦٧ .

(٣) نهج البلاغة لفيض الإسلام، الحكمة : ٣٤٥ .

(٤) الفهرست الموضوعي للغرر : ٢٨٧ الرقم : ٥٧٣٩ .

(٥) المثنوي المعنوي ، الدفتر: ٣ / ٥١ (ترجمة لبيت فارسي).

(٦) تفسير القرطبي : ١٦ / ٣٢٧.

(٧) ترجمة لبيت شعر فارسي .

قال أحدهم :

المرء إن كان عاقلاً ورعا أشغله عن عيوبه ورعه
كما السقيم المريض يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه [(١)]

وقال آخر :

لا تكشفن مساوئ الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا[(٢)]

وقال الإمام علي عليه السلام : **«من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره»**[(٣)].

وقال الإمام الباقر عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله عز وجل يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله : رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لها ، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر أخرى حتى يعلم أن ذلك لله فيه رضا أو سخط ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب من نفسه فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدا عيب ، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس»** [(٤)].

إذاً لو تدبر المرء في الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في ذم الغيبة وفكّر في النتائج الوخيمة التي تخلفها هذه المعصية والأضرار الدنيوية والأخروية التي تنعكس عنها، لما بادر إلى ارتكابها قط .

ومما ورد أيضاً عن الإمام علي عليه السلام في النهي عن الغيبة ما يلي :

«وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم ، فكيف

---

(١) نفس المصدر : ٣٢٧ .

(٢) نفس المصدر.

(٣) نهج البلاغة ، فيض الإسلام ، الحكمة ٣٤١ ، بحار الأنوار: ٧٢ / ٤٩ .

(٤) الخصال للصدوق: ١ / ١٠٩ ح٣ .

بالعائب الذي عاب أخاه وعيره ببلواه ؟!

أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به ؟

وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ؟! فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه . وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير ، لجرأته على عيب الناس أكبر !

يا عبد الله ! لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره»[١].

(١) نهج البلاغة (خطبة) : ١٤٠ .

النميمة

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

«محرمة الجنة على القتاتين المشائين بالنميمة».

أصول الكافي: ٢ / ٣٦٩ .

تعريف النميمة :

النميمة هي نقل الكلام من شخص إلى آخر نكاية بالمحكي ووقيعة فيه ويمكن القول إن النمام هو من ينم (ينقل) حديث الغير إلى المقول فيه ويكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرهم وسواء كان الكشف بالقول أو الإشارة أو الرمز أو الكتابة.

يقول الشهيد الثاني : «حقيقة النميمة إفشاء السِّر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الإنسان فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية».

الأصل في معنى النميمة :

قال الراغب في مفرداته ما معناه «النميمة : بمعنى الصوت الواطئ الهادئ والذي يصدر من حركة شئ أو اصطدام قدم الإنسان في الأرض حال المشي ، وربما أن النمام عادة يتحدث من موقع النميمة بهدوء وإخفات لكي يلقي في نفس السامع أنه يحمل إليه خبراً هاماً ولذلك أطلقت هذه الكلمة على النمام ومن يسعى بين الأشخاص من موقع التفرقة وإثارة الاختلاف. وذهب البعض الآخر إلى أن النميمة في الأصل بمعنى تزيين الكلام الباطل والكاذب «لأن الشخص النمام يسعى إلى أن يلبس لكلامه الكاذب لباساً جميلاً».

النميمة في القرآن الكريم :

نهت الآيات القرآنية عن النميمة والتي تعتبر من الكبائر وتوعدت مرتكبها بالعذاب الشديد وإليك بعضاً من الآيات المرتبطة بهذا الموضوع :

الآية الأولى :

قال تعالى : ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ [(١)].

من ضمن التفاسير لهذه الآية أن فيها إشارة إلى أولئك الذين يسعون بالنميمة بين الأفراد وقد سئل ابن عباس عن المقصود في هذه الآية، ومن هم أولئك الذين يهددهم الله بالويل ؟

فقال : هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الناعتون للناس بالعيب.

وهنا نرى أن الله تعالى قد وعد هؤلاء الأشخاص بالعقاب الشديد وهو (الحطمة) وهي النار التي سعرها الله تعالى في قلوب هؤلاء بحيث تندلع من قلوبهم لتستوعب كل وجودهم . ويستفاد من هذه الآية أن نار الآخرة بخلاف نار الدنيا فإنها تنبع من داخل النفس وأعماق القلب ثم تسري إلى الظاهر ، ولعل ذلك بسبب أن الرذائل اللاأخلاقية والأعمال القبيحة تنبع من ذات الإنسان وأعماقه ثم تظهر على السطح على شكل ممارسة عملية في الواقع الخارجي [(٢)].

الآية الثانية :

قوله تعالى ﴿**ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم**﴾ [(٣)].

---

(١) سورة الهمزة الآية: ١.

(٢) الأخلاق في القرآن (الشيرازي): ٣ / ٢٦١.

(٣) سورة القلم الآيتان: ١٠ - ١١.

إن عبارة «مشّاء بنميم» جاءت بصيغة المبالغة وفيها إشارة إلى أولئك الذين يمشون بين الناس بالنميمة ويثيرون العداوة والبغضاء بينهم على الدوام وفي هذه الآية أيضاً أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم بعدم اتباعهم وإطاعتهم لما هم فيه من الضعة والخسّة بسبب أعمالهم .

النميمة في الروايات الإسلامية:

إن النميمة تعد من أشنع الظواهر الموجودة في المجتمع وهي منشأ للكثير من الشرور والمفاسد التي قد تصل إلى القتل وسفك الدماء وانتهاك الأعراض، فلذلك نهت الروايات الإسلامية بشدة عن هذا الخلق الذميم وبيّنت وخامة هذه الظاهرة وما يترتب عليها من عواقب، ومن هذه الروايات .

١ - النمام شر الناس :

عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال : **«ألا أنبئكم بشراركم ؟**

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء المعايب»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «شراركم المشّاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبُراء المعايب»[2].

وعنه عليه السلام: **«النمام جسر الشر»** [3].

---

(١) البحار: ٧٢ / ٢٦٦ .

(٢) المصدر السابق: ٢٦٨.

(٣) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٩ .

النميمة وعذاب القبر :

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «**عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب**»[١].

وعنه عليه السلام : «**عذاب القبر يكون من النميمة**»[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «**من مشى في نميمة بين الاثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه ، وإذا خرج من قبره سلّط عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار**»[٣].

النمام لا يدخل الجنة :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «**لا يدخل الجنة نمام**»[٤].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : «**الجنة محرمة على القتاتين ، المشّائين بالنميمة**»[٥].

قتّات من مادة قتَّ (على وزن شط) وهي في الأصل بمعنى الكذب واستراق السمع سواء كان يحمل في طياته النميمة أم لا ، وعليه فإن القتات هو الشخص الذي يريد أن يطلع على أسرار الناس ويسعى لإفساد ذات البين والذي يقترن أحياناً بالنميمة أيضاً .

وقد ورد في بعض الروايات وكتب اللغة أن القتات والنمام بمعنى واحد[٦].

---

(١) البداية في الأخلاق : ٢٠١ .

(٢) علل الشرائع: ١ / ٣٠٨ .

(٣) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٤١ .

(٤) بحار الأنوار : ٧٢ / ٢٦٨ .

(٥) وسائل الشيعة : ٨ / ٦١٦ .

(٦) الأخلاق في القرآن «للشيرازي»: ٣ / ٢٦٨ .

النمام خائن :

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : **«لا تجتمع أمانة ونميمة»** [١].

أي أن الشخص النمام هو خائن أيضاً .

النمام مبغوض عند الله تعالى :

كما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله : **«إن أحبكم إلى الله الذين يؤلفون ويألِفون ، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان»**[٢].

النميمة وعذاب الآخرة :

جاء في حديث عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : **«يا أبا ذر ، صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة»** [٣].

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال : **«لما أسري بي رأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب ، فسئل : ما كان عملها ؟**

فقال صلى الله عليه وآله : إنها كانت نمامة كذابة» [٤].

النمام شر من وطأ الأرض :

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : **«وإن من أكبر السحر النميمة، يفرق بها بين المتحابين ، ويجلب العداوة على المتصافين ويسفك بها الدماء ويهدم بها الدور**

---

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام : ١١ / ٤٣١ ح ١٤٦١٨ .

(٢) الأخلاق في القرآن «للشيرازي»: ٣ / ٢٦٩ .

(٣) وسائل الشيعة: ٨ ح ٤ .

(٤) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٤١ .

ويكشف بها الستور ، والنمام أشر من وطأ الأرض» [(١)].

لا يسقط المطر بسبب النمام :

روي أن موسى عليه السلام استسقى لبني إسرائيل حيث أصابهم قحط فأوحى الله تعالى إليه : «لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة .

فقال موسى عليه السلام : من هو يا رب حتى نخرجه من بيتنا ؟

فقال الله : يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً ؟

فتابوا بأجمعهم فسقوا» [(٢)].

النتائج السلبية للنميمة :

إن من العناصر الأصلية لحفظ المجتمع هو الاعتماد المتقابل بين أفراده لأنه يؤدي إلى اتحاد الصفوف والتكاتف يداً بيد والتعاون المشترك بين كل أفراد المجتمع مما يساعد على تطويره وازدهاره في شتى المجالات .

من هنا نلاحظ أن الإسلام لم يهمل هذا الجانب بل أولاه أهمية عظيمة حينما أمرنا بالاعتصام بحبله **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** .

لأن هذا الأمر يؤدي إلى وحدة الصف لذلك نلاحظ أن الإسلام سعى لنشر كل مبدأ يساعد على هذا الأمر ويعزز عامل الوحدة بين أفراده وفي المقابل نراه نهى وحرم كل ما من شأنه أن يضعف هذه الرابطة .

وانطلاقاً من هذا المبدأ فقد حرم الإسلام النميمة لأنها من العوامل المهمة للتفرقة حيث إنها تنخر في مفاصل المجتمع المترابط والمتمسك فتنتشر فيه سوء الظن بين الأفراد وتؤدي بالتالي إلى البغض وتعميق حالة الحقد والكراهة بين الأفراد .

---

(١) الذنوب الكبيرة / ٢٤٠ .

(٢) كشف الريبة : ٨٥-٨٦.

وكم سمعنا عن حروب نشأت وعن أسر تفككت وعن أرحام قطعت بسبب النميمة .

وإلى كون النميمة تنشر البغض والحقد بين أفراد المجتمع يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى محذراً من أسبابه قال عليه السلام : «**إياكم والنمائم فإنها الضغائن**» [١].

وعنه عليه السلام : «**إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتبعد عن الله والناس**»[٢].

ونستشف من خلال الأحاديث السابقة أن النمام – وكما مرَّ سابقاً – من أسوأ خلق الله عز وجل لأنه يسعى للتفرقة بين الأحبة والأصدقاء .

أضف إلى أن آثار النميمة لا تنعكس فقط على المجتمع بل حتى على النمام نفسه لأن هكذا شخص يعيش مطروداً ومنفوراً منه من قبل المجتمع بسبب أفعاله الشنيعة وهذا ما أشار إليه الحديث السابق أن النمام بعيد عن الله وبعيد عن الناس .

بل إنه وكما هو المشهود في حالات الأمراء والملوك أن النمام وبسبب نميمته يلقى حتفه على يد هؤلاء الملوك وبهذه الصورة يكون النمام قاتل نفسه ، وقاتل لمن وشى به لعدم التحقق الكافي حول ما نقله ، فيكون قاتلاً للنفس البريئة .

من هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «**الساعي قاتل ثلاثة : قاتل نفسه وقاتل من يسعى به وقاتل من يُسعى له**» [٣].

ولعل السبب في وجود كل هذه الآثار المدمرة للنميمة في المجتمع يكمن في نفس النميمة باعتبارها عنصراً مخرباً ، إذ إن العنصر المخرب أقوى أثراً من العناصر الخيرة في المجتمع ، باعتبار أن أرضية سوء الظن موجودة في المجتمع ، فلا يكون من النمام إلا أن يحرك عنصر الشر هذا في واقع الإنسان ونفسه ، لتتولد في القلوب الشحناء والبغض والتفرقة .

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٩٣ .

(٢) غرر الحكم: ٩٦.

(٣) الخصال : ٢٢ .

دوافع النميمة :

هناك جملة من العوامل والأمراض النفسية والخلقية التي تدفع المرء للنميمة ، منها:

١ - الحسد :

لأن المبتلى بهذا الداء لا يمكنه أن يتحمل رؤية الآخرين ينعمون بالراحة والسعادة والتعاون فيما بينهم ، سواء بين الصديق وصديقه أو القريب وقريبه أو الزوج وزوجته ....ولذلك فإنه يسعى من خلال النميمة أن يزرع بذور الفرقة وسوء الظن بينهم وأن يغرس بين الأفراد العداوة والبغضاء .

٢ - حب الدنيا :

فإن حب الدنيا المعشعش في قلوب البعض يدفعهم إلى زرع الفتنة والاختلاف والفرقة والبغض بين الناس لأجل مصلحته فإنه يرى أن كسبه وعمله يكمن تطوره والحفاظ عليه بتقوية عناصر الشر والحقد والكراهية بين أفراد المجتمع .

٣ - النفاق :

وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم بوصفه للمنافقين : **﴿ألا أنهم هم المفسدون في الأرض ولكن لا يشعرون﴾** [1].

ومن الواضح أن عمل المنافقين هو الفساد والإفساد في الأرض بل النميمة جعلت دليلاً على النفاق كما ورد عن الصادق عليه السلام قوله : «**علامة النفاق الحث على**

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٢ .

النميمة»[١].

٤ - عدم طهارة المولد :

فإن هذا الأمر - عدم طهارة المولد وعدم نقاء النطفة - يعتبر عاملاً مساعداً للنميمة فهو يهيىء الأرضية لذلك كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«الساعي إلى الناس، لغير رشده»** [٢].

أي يسير في مسير الباطل .

وذكر البعض أن المقصود بقوله ﷺ «لغير رشده» أنه ليس بولد حلال .

٥ - اعتياد الكذب :

فإن المعتاد على الكذب في حياته يجد في نفسه دافعاً لنقل الأخبار الكاذبة إلى الناس ، فينقل الكذب من هذا الفرد لذاك وهكذا ، حتى يؤدي إلى الوقيعة فيهم وإرباك العلاقة بينهما وفسادها .

وهذه الحالة - أي النميمة - اعتبر الكذب من علائمها كما نقرأ في الحديث الطويل عن رسول الله ﷺ والذي جاء فيه : **«أما علامة الكذاب فأربع : ...إن قال لم يصدِّق وإن قيل له لم يصدِّق والنميمة والبهت»** [٣].

طرق العلاج :

هناك عدة أمور يمكن أن تعتبر من الطرق المفيدة للعلاج نذكر منها :

١ - قطع أصول وجذور النميمة والتي أشرنا إليها سابقاً - الحسد والبغض وحب

---

(١) بحار الأنوار: ٦٩ / ٢٠٧ .

(٢) المحجة البيضاء: ٥ / ٢٧٠ .

(٣) بحار الأنوار : ١ / ١٢٢ .

الدنيا .... - فإن المبتلى بهذا الداء لا يمكنه التخلص منه إلا بقطع هذه الأصول الرذيلة .

٢ -التأمل في الآثار السلبية والمدمرة للنميمة دافع آخر للمرء في ترك هذه الظاهرة وإزالتها من موقع النفس .

٣ -التأمل في الآثار الوخيمة المترتبة عليها والعذاب الأليم الذي أعده الله للنمام وأن يلقن نفسه كل يوم هذا المعنى كي تتشكل في نفسه حالة من الردع الذاتي تجاه هذا المرض .

٤ -معاشرة الأفراد المؤمنين «فإن المرء على دين خليله» هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الفرد المؤمن بالطبع لن يسمح له بالتكلم بالنميمة عند ذلك سيشعر النمام أن بضاعته لا تلقى من يشتريها فضلاً عن أنه إذا أصر على ذلك فإنه سيواجه حالة النفور منه والطرد من هكذا مجالس مما يدعوه للإقلاع عن مثل هذه الأمور .

٥ - تقوية دعائم الإيمان في النفس لأن من أسباب النميمة ضعف الإيمان فإذا قوي الإيمان داخل المرء فإن مثل هذه الرذائل سوف تتلاشى من نفسه وتزول من باطنه شيئاً فشيئاً.

وأخيراً:

واجب من تحمل إليه النميمة :

يجب على من تحمل إليه النميمة -بأن قيل له إن فلاناً قال فيك كذا وكذا أو قيل له إن فلاناً يحيك لك مؤامرة لأخذ مالك وما شابه - ستة أمور :

١ - أن لا يصدقه ، لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى:﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...**﴾ .

٢ -أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله . قال تعالى : ﴿**وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر**﴾ .

٣ - أن يبغضه في الله تعالى ، فإنه يبغض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله

تعالى .

٤ - أن لا تظن بأخيك السوء بمجرد قوله لقوله تعالى : **﴿اجتنبوا كثيراً من الظن ...﴾** بل يثبت حتى يتحقق الحال .

٥ - أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لقوله تعالى **﴿ولا تجسسوا﴾**.

٦ - أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول : فلان قد حكى لي بكذا فتكون به نماماً ، وتكون قد أتيت بما نهيت عنه .

قال الشهيد الثاني ﵀: «روي أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه وأخبره بخبر عن غيره ، فقال له الحكيم : وقد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث خيانات: بغضت إليَّ أخي ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة " .

وعن الإمام الحسن عليه السلام: «**من نمَّ إليك نمَّ عليك . وهذه إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بصداقته ، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق ..**» .

يتابع الشهيد فيقول: قيل : باع بعضهم عبداً وقال للمشتري : لا عيب فيه إلا النميمة ، قال : رضيت به فاشتراه ، فمكث الغلام أياماً، ثم قال لزوجة مولاه : إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى - التسري هو نكاح الأمة - عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ، ثم قال للزوج : إن امرأتك أخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها تعرف !

فتناوم وجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر» [1] انتهى .

---

(١) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

السعاية

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **«شر الناس من سعى بالإخوان ونسي الإحسان»**[١].

من متممات بحث النميمة السعاية وهي من أقسى صور النميمة وأشدها إثماً لأنها تؤدي إلى دمار المسعي به وهلاكه.

ولذلك كان الساعي من ألأم الناس وأخطرهم شراً وأكبرهم جناية كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **«شر الناس المثلث.**

قيل: يا رسول الله، وما المثلث؟!

قال صلى الله عليه وآله: الذي يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك السلطان»[٢].

وعن علي عليه السلام: **«شر الناس من سعى بالإخوان ونسي الإحسان»**.

وعن الصادق عليه السلام: **«الساعي قاتل ثلاثة: قاتل نفسه وقاتل من سعى به وقاتل من سعى له»**[٣].

وفي الحديث عن علي عليه السلام: **«أكذب السعاية والنميمة باطلة كانت أو**

---

(١) ميزان الحكمة: ٢ / ١٤٢١ ـ باب شر الناس ـ.

(٢) بحار الأنوار: ١٥ / ١٨٨.

(٣) الخصال: ٢٢.

صحيحة»[١].

وفي حديث آخر أن رجلاً جاء بكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام كتب فيه النميمة عن شخص آخر.

فقال له الإمام عليه السلام: **«إن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك وإن أحببت القيل أقلناك.**

قال: بلى تقيلني يا أمير المؤمنين» [٢].

ملاحظة

تجدر الشارة إلى أن بعض العلماء وأرباب اللغة ذهبوا إلى إشراك السعاية والنميمة في المعنى، في حين أنّه من الممكن وجود فرق بينهما «رغم أنهما متشابهان جداً».

فالنميمة هي التفرقة بين صديقين أو بين قريبين أو شريكين ولكن السعاية هي أن يتحدث الشخص بعيوب شخص آخر عند كبير من الكبراء وبهذا يعرض ذلك الشخص إلى الخطر.

ولذلك وردت السعاية في كثير من الروايات بعنوان السعاية عند السلطان وأمثال ذلك.

ولكن تشابههما في المعنى تسبَّب في أن يذكرا تحت عنوان واحد [٣].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٧٦ ـ الفصل الثالث ـ.

(٢) ميزان الحكمة: ٤ / ٦٨٥.

(٣) الأخلاق في القرآن «للشيرازي»: ٣ / ٢٧١.

مسك الختام

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ، الرجل من إخوتي يبلغني عنه الشئ الذي أكره له فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات .

فقال لي : يا محمد ، كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، فإن شهد عندك خمسون قسامة ، وقال لك قولاً ، فصدقه وكذبهم ، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به ، وتهدم به مروءته فتكون من الذين قال الله عز وجل : **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾** [1][2].

---

(١) سورة النور الآية: ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢١٥ ح ١١.

الفتنة

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

«من شبَّ نار الفتنة كان وقوداً لها» .

ميزان الحكمة: ٣ / ٢٣٦٧ ـ باب الفتنة ـ.

تمهيد

الفتنة وهي من الذنوب الكبيرة والتي جعلها الباري عز وجل أشد من القتل. قال تعالى:

﴿ **والفتنة أشد من القتل**﴾ (١).

وقال عز وجل : ﴿**والفتنة أكبر من القتل**﴾ (٢).

هذا المعنى الذي يجعل من الفتنة ذنباً أكبر حتى من القتل الذي هو ذنب كبير .

ولبيان شدة مبغوضيتها يكفي في ذلك أن المولى عز وجل أمر بالجهاد لرفع الفتنة حين قال: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ (٣).

ورد في كتاب السلام العالمي والإسلام للسيد قطب:

هنا نتبيَّن تلك الحرب الوحيدة التي يقرها الإسلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فما هي كلمة الله التي يقاتل من يقاتل في سبيلها فيكون في سبيل الله ؟

إن كلمة الله هي التعبير عن إرادته وإرادته الظاهرة - لنا نحن البشر - هي تلك التي تتفق مع الناموس الذي وضعه للكون والحياة والناس وقد مرَّ بنا أن التناسق في طبيعة الكون والتعاون في حياة البشر هما القانون الذي يريده الله للحياة، التناسق الذي يمنع

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٩١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٧ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٣ .

الفساد والاضطراب ويسمح للحياة بالرقي الدائم والسمو ، الذي يحقق الخير العام للبشرية في جميع الأعصار : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ .

ولقد جاء الإسلام إلى هذه الإنسانية كلها ، فمن تحقيق كلمة الله أن يصل هذا الخير الذي جاء الإسلام به إلى الناس جميعاً ، وألا يحول بينهم وبينه حائل .

فمن وقف في طريق هذا الخير ومنعه أن يصل إلى الناس كافة ، وحال بينهم وبينه بالقوة فهو إذاً معتد على كلمة الله ، وإزالته من طريق الدعوة هي إذاً تحقيق لكلمة الله ، لا لفرض الإسلام فرضاً على الناس ، ولكن لمنحهم حرية المعرفة وخبرة الهداية .

فالإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه ولكنه يكره الذين يقفون بالقوة في طريقه ، ويفتنون الناس عنه: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**﴾ .

وهذه حرب من الحروب التي يقرها الإسلام ويحرض عليها تحريضاً ويدعو رسوله أن يحرض عليها المؤمنين ، ويحب الذين يخوضونها ويعدهم أعلى درجات الرضوان... ولقد جاء الإسلام ليحقق العدالة في الأرض قاطبة ويقيم القسط بين البشر عامة.

العدالة بكل أنواعها :

العدالة الاجتماعية ، العدالة القانونية ، والعدالة الدولية ، فمن بغى وظلم وجانب العدل فقد خالف عن كلمة الله ، وعلى المسلمين أن يقاتلوا لإعلاء كلمة الله...» انتهى.

يقول الله تعالى في سورة البروج : ﴿**إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم**﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة - إلى أن قال صلى الله عليه وآله - : والساعي في الفتنة**»[1].

---

(١) الوسائل: ١١ ، كتاب الجهاد / ٢٧٣ باب ٤٩ ح ١٤ .

معنى الفتنة

يقول السيد دستغيب في تعريفه للفتنة :

صحيح أن أهل اللغة عدوا للفتنة أكثر من عشرة معان باعتبار موارد استعمالها. لكن المراد من الفتنة هنا المعنى العرفي الذي يتبادر من الإطلاق وهو إحداث الشغب والاضطراب وسلب الطمأنينة والراحة والأمن من الفرد أو المجتمع، وإيجاد العداوة بين شخصين أو أكثر وتفريق الناس إلى فئتين ، وتعريض الناس للأذى .

وقد تكون الفتنة في الأمور الدينية أو الدنيوية - والفتنة الدينية عدة أقسام ، فقد يسعى الإنسان لإضلال الناس ومنعهم من قبول دين الحق فيسعى لذلك من خلال طرح الشكوك والشبهات بلسانه أو قلمه ، وأحياناً بواسطة أذية الذين قبلوا الدين يمنع قبول الآخرين له كما فعل مشركو مكة مع مسلمي صدر الإسلام وكما فعل معاوية (عليه الهاوية) مع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .

بنو أمية أسوأ الفتن :

يقول أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبة له في نهج البلاغة : «**ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية ، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمي عنها**»[1].

بشهادة التاريخ منذ صدر الإسلام وحتى هذا الزمان أي القرن الرابع عشر فقد شهد كل قرن فتناً عديدة في العالم الإسلامي وإن ظهور هذه الفتن هو لامتحان الخلق وإظهار الصدق والكذب وتمييز الخبيث من الطيب في مدعي الإسلام ، ولظهور سعادة حسني الحظ وتعاسة وشقاوة سيئيه ، وقد ذكر تعالى بهذا الأمر في عدة أماكن

---

(١) نهج البلاغة : خطبة ٩٣ / ١-٧.

من القرآن الكريم ومن جملتها قوله في سورة العنكبوت : ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ .

فتنة القرن العشرين :

ومن بين أسوأ الفتن فتنة الشيوعيين ، وفتنة أنصار المادة والشهوة ومنكري الدين والروحانية ، هذه الفتنة التي اجتاحت الإسلام بعدما قضت على عقيدة الإيمان بالعالم الآخر، والمبدأ والمعاد ومحتها من القلوب في الدول الأوروبية وغرست في نفوسهم حب المادة وعبادة الشهوة والدنيا الخبيثة فصار المسلمون مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً** ﴾ [1].

إن هذه الفتنة قضت على كل القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي حتى أصبح الكائن البشري كالحيوان كل واحد يهتم بنفسه ويتعادى مع الآخرين فبات همُّ كل واحد منهم إشباع نهمه وشهوته ولو كان على حساب الجميع .

البدعة فتنة :

يعتبر الابتداع في الدين من ضمن الفتن التي يعمل عليها أعداء الدين لتمزيق الصفوف وإجفاف النفوس وذلك بإدخال أمر ليس من الدين ، فيه بعد تغليفها بقناع مزيف تحت عنوان الدين أو تطور الدين وما شابه .

فتنة التجسس :

يعتبر التجسس لصالح الكفار من الفتن المدمرة للإسلام وذلك يحدث عن طريق نقل أخبار المسلمين إلى الكفار وهذا ما ذكره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **وإذا جاءهم**

---

(١) سورة مريم الآية: ٥٩ .

أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ .

وقد نقل المجلسي عن البيضاوي في معنى هذه الآية أنها نزلت في بعض المسلمين الضعفاء الذين كانوا يذيعون أسرار المسلمين إذا ما أراد رسول الله ﷺ شن حملة ما، إذا ما نزل الوحي عليه ﷺ مبشراً إياه بالنصر أو مخبراً إياه بالهزيمة وكان هذا سبباً للاضطراب والفساد، وفي هذه الآية يذم تعالى إفشاء ما في إفشائه مفسدة [(١)].

إيجاد الفرقة بين الجماعات :

ومن جملة الفتن الدينية إيجاد الفرقة بين مجموعة متحدة دينياً متآلفة في عبادة الله وطاعة النبي ﷺ وإمامها ، وتشتيتها إما بالقهر أو بإلقاء الشبهات وإيجاد سوء الظن بين المأمومين وإمامهم في الجماعة ، أو فيما بينهم . وخلاصة الأمر تبديل اتحاد القلوب المقصود من الشارع والموجب لكل خير بالفرقة والتنافر الموجب لكل شر والمبغوض من الشارع المقدس .

ذنب الفتنة أشد من القتل :

وكما أشرنا فذنب الفتنة الدينية أكبر من قتل النفس بنص القرآن الكريم لأن القتل هو القضاء على الحياة المؤقتة والعارية الدنيوية وهذا في الحقيقة خلاص من شرور وآفات هذا العالم ، ولكن الفتنة الدينية سبب لقطع الحياة الأبدية والصد عن النعم الخالدة ، فبمقدار ما يكون عالم الآخرة أكبر وأهم من الدنيا بل ليس قابلاً للقياس بهذا المقدار نفسه تكون الفتنة الدينية أكبر وأهم من قتل النفس .

---

(١) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٩٧ .

القتل الذي هو أسوأ من قطع الرأس :

عن الإمام السجاد عليه السلام ما مضمونه : أأخبركم بالقتل الذي هو أسوأ من قطع الرأس.

قالوا : بلى.

قال عليه السلام : الذي يقتل الإنسان ويهلكه بالهلاك الأبدي.

قالوا : وما هو ؟

قال : يضله عن الاعتقاد بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وولاية علي عليه السلام وأن يدفعه إلى طريق غير الله وباتباع طريقة أعداء علي عليه السلام بحيث يعتبرهم أئمته فينكر إمامته وفضيلته وهذا هو القتل الذي يجعل المقتول أبداً في جهنم وجزاء قاتله الخلود في جهنم أيضاً» .

إضافة إلى أن الفتن الدينية تجر غالباً إلى القتل .

الفتنة الدنيوية

الفتنة الدنيوية أشد من القتل لأن من يشعل نار الفتنة ويحرق مجموعة بها فيؤذيهم هو في كل يوم قتل ، ولو قتلهم دفعة واحدة لكان أفضل لهم .

وإنّ أكثر الفتن تجر إلى القتل وملحقاته أي التسبب بالجروح وفقدان الأعضاء .

يقول الشهيد الثاني ضمن عده للكبائر : «والقتل بغير حق ، وتدخل فيه جناية الطرف»[١].

فسرت الفتنة بالكفر والشرك :

نشير هنا إلى أن أكثر المفسرين فسروا الفتنة في الآية المذكورة بالكفر والشرك

---

(١) القواعد : ١٠٠.

وفي الرواية المنقولة عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية ﴿**وحتى لا تكون فتنة**﴾ اعتبر عليه السلام الفتنة شركاً ، وهذا المعنى لا يتنافى مع المعنى المتبادر والظاهر من الفتنة الذي سبق وذكرناه ، فالظاهر أن المراد من الروايات وكلمات المفسرين بيان سبب الفتنة لأنه لن تصدر أية فتنة لا دينية ولا دنيوية من المؤمن الحقيقي كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام في ذكره لصفات المتقي :

«الخير منه مأمول والشر منه مأمون» [١].

يعني أنه من دخل نور الإيمان إلى قلبه أمن الناس من شره فإيجاد الفتنة لا يكون إلا من الكافر والمشرك الباطني أو الظاهري أما إذا كان مسلماً فإنه لا يكون قد خرج كلياً من ظلمات الكفر ولم يتخلص نهائياً من مراتب الشرك ولم يستنر قلبه بنور الإيمان بعد .

التجسس للظالم :

من الموارد المسلمة للفتنة ، التجسس للحكام والظلمة وكبر مفسدته وخطره وكونه أكبر من القتل واضح ، حيث يمكن للجاسوس ومثير الفتن أن يكون سبباً للكثير من المجازر والجرائم ، مثل معقل جاسوس ابن زياد اللعين الذي كان سبباً لمقتل مسلم ، وهانئ بن عروة ، بل وحتى فجيعة كربلاء وما بعدها كل ذلك كان بسبب فتنة هذا الجاسوس الملعون [٢].

---

(١) نهج البلاغة : خطبة : ١٩٣ / ٢١ .

(٢) للتوسع في هذا البحث راجع الذنوب الكبيرة " بحث الفتنة ": ٢ / ٢٩٣ .

اللهو واللغو

ورد عن أمير المؤمنين أنه قال :

«اللهو من ثمار الجهل» .

ميزان الحكمة: ٤ / ٢٨٠٢.

تعريف اللهو واللغو :

اللهو هو اللعب، قال في لسان العرب :

اللهو : ما لهوت به ، ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما .

قال في مجمع البحرين :

لهو الحديث : باطله وما يلهي عن ذكر الله .

أما اللغو : فمعناه في اللغة ما لا يعتد به ، ولغو اليمين : هو الحلف على وجه الغلط .

قال في مجمع البحرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ يعني عن كل لعب ومعصية .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾ .

اللغو الباطل ، واللغو الفحش واللغو الكذب واللهو والغناء ، وعلى هذا المعنى الأخير يكون اللهو واللغو بمعنى واحد .

اللهو واللغو في القرآن الكريم

نستعرض فيما يلي بعض الروايات المتعلقة بهذا الموضوع :

الآية الأولى :

ذكر القرآن الكريم أن من صفات المؤمنين هو الإعراض عن اللغو . قال تعالى:

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [(١)].

وهذا يبين لنا أن حركات المؤمنين وسكناتهم تتجه نحو هدف واحد مفيد وبنَّاء لأن اللهو يعني الأعمال التافهة وغير المفيدة وهذا الأمر ليس من شأن العبد المؤمن .

الآية الثانية :

من الصفات التي جعلها الله للجنة وهي من النعم العظيمة التي ينعم بها أهلها هي أنهم لا يسمعون فيها اللغو ، قال تعالى : ﴿**لا يسمعون فيها لغواً إلّا سلاماً ...**﴾ [(٢)].

ولأن الجنة هي دار الكرامة فإن أمراً وضيعاً أو سخيفاً أو مؤذياً لا وجود له فيها ، فلا عذاب ولا تهمة ولا سخرية ولا عداء ولا جرح بالكلام المؤذي بل ولا مكان حتى للكلام الذي ليس من ورائه فائدة بل إن السلام هو الشئ الوحيد الذي يسمعه أهل الجنة .

الآية الثالثة :

قوله تعالى : ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين**﴾ [(٣)].

في هذه الآية توعد الله أولئك الذين يشترون لهو الحديث والكلام الفارغ ويجعلون من هذا الكلام وسيلة للاستهزاء بآيات الله توعدهم الباري جل وعلا بالعذاب المهين .

أما وصف العذاب بالمهين فلأن العقوبة متناغمة مع الذنب ، فإن هؤلاء قد استهزؤوا بآيات الله وأهانوها ولذلك فإن الله سبحانه قد أعد لهم عذاباً مهيناً إضافة إلى

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٣.

(٢) سورة مريم الآية : ٦٢.

(٣) سورة لقمان الآية: ٦ .

كونه أليماً [١].

الآية الرابعة :

قوله تعالى في وصفه لعباده المؤمنين الذين نعتهم في سورة الفرقان بقوله : «**عباد الرحمن قال عز وجل عنهم : ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾**»[٢] .

الآية الخامسة :

قوله تعالى في سورة القصص : **﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾** [٣].

اللغو واللهو في الروايات الإسلامية:

وردت عن أهل البيت عليهم السلام جملة من الروايات حول هذا الموضوع ، تارة بلسان التشجيع والحث على ترك هذه الأمور وأخرى بلسان بيان الآثار السلبية المترتبة على هذه الخصال الذميمة أو أسبابها التي تؤدي بالإنسان إلى معالجتها والابتعاد عنها لأنها تبيِّن له حقيقته وواقعه . ونحن فيما يلي نتعرض لكلا هذين القسمين :

القسم الأول :

١ - أعظم الناس :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أعظم الناس قدراً من ترك ما لا يعنيه**» [٤].

---

(١) الأمثل: ١٣ / ١١.

(٢) سورة الفرقان الآية : ٧٢ .

(٣) سورة القصص الآية : ٥٥ .

(٤) أمالي الصدوق: ٧٣ح ٤١.

٢ – دع ما لا يعنيك:

عن علي عليه السلام – من كتاب له إلى عبد الله بن العباس – : «**أما بعد ، فاطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فإن في ترك ما يعنيك درك ما يعنيك** »[(١)].

٣ – أفضل العقل :

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن قال : «**أفضل العقل مجانبة اللهو**»[(٢)].

القسم الثاني :

١ – اللهو ينبت النفاق في القلب :

عن الإمام الصادق عليه السلام : «**استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع** »[(٣)].

٢ – اللهو يفسد صاحبه :

كما ورد في الحديث القدسي عن الباري جل وعلا في وصيته لنبيه عيسى ابن مريم عليه السلام : «**..ولا تله فإن اللهو يفسد صاحبه ..**» [(٤)].

٣ – اللهو يقسي القلب :

كما ورد في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال : «**يا علي ثلاثة يقسّين القلب : استماع اللهو – وطلب الصيد – وإتيان السلطان**»[(٥)].

---

(١) تحف العقول / ٢١٨ .

(٢) غرر الحكم : ٣٧٢ .

(٣) الكافي: ٦ / ٤٣٤ .

(٤) الكافي: ٨ / ١٣٤ .

(٥) وسائل الشيعة: ١٧ / ٣١٤ .

٤ - اللهو يسخط الرحمن :

كما ورد عن علي عليه السلام قوله : «**اللهو يسخط الرحمن ويرضي الشيطان وينسي القرآن ...**» [١].

٥ - اللهو ثمار الجهل :

كما عن علي عليه السلام : «**اللهو من ثمار الجهل**» [٢].

٦ - قوت الحماقة :

ورد عن علي عليه السلام أنه قال : «**اللهو قوت الحماقة**» [٣].

٧ - يفسد العزائم :

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «**اللهو يفسد عزائم الجد**» [٤].

٨ - يبطل الجد :

عنه عليه السلام أنه قال : «**من غلب عليه اللهو بطل جده**» [٥].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥ / ٩.

(٢) غرر الحكم : ١٠٥٣٧.

(٣) غرر الحكم : ١٠٥٣٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر.

٩ - آخره حرب :

وعنه عليه السلام أنه قال : «**أول اللهو لعب وآخره حرب**» [١].

١٠ - يفسد الإيمان :

عنه عليه السلام أنه قال :«**مجالس اللهو تفسد الإيمان**» [٢].

---

(١) غرر الحكم : ١٠٥٤١ .

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٩ .

أذية المؤمن

عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال :

«إن الله تعالى يقول : من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي وأنا أسرع شئ إلى نصرة أوليائي» .

الكافي: ٢ / ٣٥١.

أذية المؤمن[١]

هتك حرمة المؤمن بالسخرية ، الشتم ، الطعن ، الإذلال ، الإهانة التوبيخ الهجاء والأذية من الذنوب الكبيرة التي ورد وعيد الله عليها بالعذاب بأي وسيلة كانت سواء بالسخرية أو بالشتم أو بالقول السيىء أو نسب العيب له ، أو التوبيخ والإذلال والاستحقار والإهانة ، أو الهجاء والأذية .

المؤمن عزيز

يتبيَّن من الآيات والروايات الواردة في شأن المؤمن أن اهتمام الشارع المقدس بشأن عزة وشرف المؤمن اهتمام كبير ومميز حيث جعل حرمته فوق كل الحرمات واعتبر هتك حرمته ذنباً عظيماً وكأن ذلك إراقة لدمه، وقد جعله الله تعالى مرتبطاً به في قوله : **﴿الله ولي الذين آمنوا﴾** [٢].

وفي قوله تعالى **﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾** [٣].

وأوجب على نفسه نصرته **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** [٤].

وقد جعل العزة لنفسه تعالى ولنبيه ﷺ وللمؤمنين : **﴿ولله العزة ولرسوله**

(١) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٢٤٣ - ٢٥٨ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٧ .

(٣) سورة محمد الآية: ١١ .

(٤) سورة الروم الآية : ٤٧ .

وللمؤمنين﴾ [١].

وعده من أفضل الخلق **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** [٢].

وأشرف مخلوقاته هو حضرة خاتم الأنبياء محمد ﷺ ومع هذا فقد أمره بالتواضع للمؤمنين: **﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾** [٣].

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾ [٤]، وأوجب لهم الرحمة **﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾** [٥].

﴿وأولئك سيرحمهم الله ﴾ [٦]، وجعل نفسه مشترياً منهم **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾** [٧]، **﴿ ويحبهم ويحبونه ﴾** [٨]، **﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله﴾** [٩].

وآنتساب المؤمن هو إجمالاً لله ، ومن الظاهر والبديهي أن هتك حرمة المرتبط بالعظيم سيكون في الحقيقة هتكاً للعظيم كما في الحديث النبوي ﷺ : «**إن الله خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته فمن طعن عليه أو ردَّ عليه قوله فقد ردَّ على الله تعالى**»[١٠].

---

(١) سورة المنافقون الآية : ٨.
(٢) سورة البينة الآية: ٧.
(٣) سورة الشعراء الآية : ٢١٥ .
(٤) سورة الأنعام الآية : ٥٤ .
(٥) سورة الأنعام الآية : ٥٤ .
(٦) سورة التوبة الآية : ٧١ .
(٧) سورة التوبة الآية : ١١١ .
(٨) سورة المائدة الآية : ٥٤ .
(٩) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .
(١٠) وسائل الشيعة: ٨ باب ١٥٩ / ٦١٢ ح٥.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «**أنه وقف قبال الكعبة ثم قال: ما أعظم حقك يا كعبة والله إن حق المؤمن لأعظم من حقك**»[(١)].

وعنه عليه السلام: «**من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه**»[(٢)].

وعنه أيضاً عليه السلام: «**إن الله تعالى يقول: من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي وأنا أسرع شيئ إلى نصرة أوليائي**»[(٣)].

وروى أبو هارون عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لنفر عنده وأنا حاضر: «ما لكم تستخفون بنا؟

فقام إليه رجل من خرسان فقال: معاذ الله لوجه الله أن نستخف بك أو بشيئ من أمرك. فقال عليه السلام: بل إنك أحد من استخف بي، فقال: معاذ الله لوجه الله أن أستخف بك! فقال له عليه السلام: ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله عييت، والله ما رفعت به رأساً، لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيَّع حرمة الله عز وجل»[(٤)].

ولمزيد من الاطلاع نشير إلى بعض الآيات والروايات في كل عنوان من العناوين المذكورة.

إذلال واستحقار المؤمن:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من استذل مؤمناً واستحقره لقلة ذات يده ولفقره**

---

(١) سفينة البحار: ١ / ٢٩٠.

(٢) الكافي: ٢ باب من أذى المسلمين واحتقرهم / ٣١٥ح ٤.

(٣) الكافي: ٢ باب من أذى المسلمين واحتقرهم / ٣٥١ح ٤.

(٤) وسائل الشيعة: ٨ / ٥٩٢ ـ ٥٩٣ باب ١٤٨، ح١.

شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» [١].

وقال رسول الله ﷺ: **«يا معشر المسلمين من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته»** [٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«من أنب مؤمناً أنبه الله في الدنيا والآخرة»** [٣].

وكي لا يفوتنا القول لا بدَّ أن نذكر أن حرمة توبيخ المؤمن لا تتنافى مع النهي عن المنكر لأن النهي عن المنكر هو في الحقيقة نصح ومحبة ورغبة بالخير له كما مرَّ بالتفصيل وهو غير التوبيخ والتوهين.

وعن الرسول ﷺ : **«من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ومن عيَّر مؤمناً بشيئ لم يمت حتى يركبه»** [٤].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»**[٥].

يقول العلامة المجلسي عليه الرحمة في شرح هذا الحديث: «بأن ينقل عنه كلاماً على ضعف عقله وسخافة رأيه... ويحتمل شموله لرواية الفعل أيضاً.

والمراد من إخراجه من الولاية هنا إما المحبة والنصرة، فيقطع الله عنه محبته ونصرته ويكله إلى الشيطان... وعدم قبول الشيطان له لأنه ليس غرضه من إضلال بني آدم كثرة الأتباع والمحبين، فيحبهم وينصرهم إذا تابعوه، بل مقصده إهلاكهم وجعلهم

---

(١) الكافي: ٢ باب أذى المسلمين واحتقارهم / ٣٥٣ ح ٩.

(٢) الكافي: ٢ باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم / ٣٥٤ ح ٢.

(٣) الكافي: ٢ باب التعيير / ٣٥١ ح ١.

(٤) الكافي: ٢ باب التعيير / ٣٥٦ ح ٢.

(٥) الكافي: ٢ باب الرواية على المؤمن / ٣٥٨ ح ١.

مستوجبين للعذاب بسبب العداوة القديمة بينه وبين أبيهم ، فإذا حصل غرضه منهم يتركهم ويشمت بهم ولا يعينهم في شئ...».

وفي رواية محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك. الرجل من إخواني يبلغني عنه الشئ الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك ، وقد أخبرني عنه قوم ثقاة .

فقال لي :" يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم ، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه بـه ، وتـهدم بـه مروءته فتكون من الذين قال الله فيهم: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾** [١].

عن النبي صلى الله عليه وآله: **«من مشى في عيب أخيه وكشف عورته ، كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق»** [٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«من روى عن أخيه رواية يريد بها شينه وهدم مروءته أوقفه الله في طينة خبال»** [٣].

وقال عليه السلام: **«من اطلع من مؤمن على ذنب أو سيئة فأفشى ذلك عليه ولم يكتمها ولم يستغفر الله له ، كان عند الله كعاملها وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه، وكان مغفوراً لعاملها وكان عقابه ما أفشى عليه في الدنيا مستوراً عليه في الآخرة ثم يجد الله أكرم من أن يثني عليه عقاباً في الآخرة»** [٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ٨ باب ١٥٧ / ٦٠٩ ح ٤ .

(٢) وسائل الشيعة: ٨ باب ١٥٢ / ٦٠٢ ح ٢١ .

(٣) مستدرك الوسائل: ٩ باب ١٣٧ / ١٣٥ ح ٧ .

(٤) مستدرك الوسائل: ٩ باب ١٣٧ / ١٣٥ ح ٦ .

هجاء المؤمن شعراً ونثراً

يقول الشيخ الأنصاري عليه الرحمة : «هجاء المؤمن حرام بالأدلة الأربعة ، لأنه همز ولمز وأكل اللحم وتعيير وإذاعة سر ، وكل ذلك كبيرة موبقة ، فيدل عليه فحوى جميع ما تقدم في الغيبة بل البهتان أيضاً ، بناء على تفسير الهجاء بخلاف المدح»

ولا فرق في المؤمن بين الفاسق وغيره ، وأما الخبر «محصوا ذنوبكم بذكر الفاسقين» فالمراد به الخارجون عن الإيمان أو المتجاهرون بالفسق .

واحترز بالمؤمن عن المخالف فإنه يجوز هجوه لعدم احترامه ، وكذا يجوز هجاء الفاسق المبدع لئلا يؤخذ ببدعته[1].

أذية المؤمن :

يقول الله تعالى :﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ [2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليأذن بحرب مني من أذى عبدي المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن**»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والفرقان**» [4].

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه».

---

(١) المكاسب: ١ باب لا يباح بالإكراه على المؤمن / ١٧٣ - المسألة ٢٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٥٨ .

(٣) الكافي: ٢ باب من آذى المسلمين واحتقرهم / ٣٥٠ ح ١ .

(٤) مستدرك الوسائل: ٩ باب ١٢٥ / ٩٩ ح ١ .

وقال ﷺ: **«من أذى مؤمناً بغير حق فكأنما هدم مكة وبيت الله المعمور عشر مرات، وكأنما قتل ألف ملك من المقربين»** [١].

يتبيَّن من هذا الحديث أن حرمة المؤمن توازي عشرة أضعاف حرمة الكعبة والبيت المعمور وأكثر بألف ضعف من حرمة الملائكة.

عقوبة أذية الجار أشد

وقد حرم الشارع المقدس أذية الغير وأكدها كثيراً في عدة موارد وعيَّن لها عقوبات دنيوية وأخروية شديدة ومن جملة ذلك أذية الجار.

ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وقال: إني اشتريت داراً في بني فلان وإن أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شره. قال: فأمر رسول الله ﷺ علياً وسلمان وأبا ذر أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم، بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً.

ثم أومأ بيده ﷺ إلى كل أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله [٢].

وورد في رواية: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»** [٣].

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره»** [٤].

وعن رسول الله ﷺ: **«من أذى جاره حرَّم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنم**

---

(١) مستدرك الوسائل: ٩ باب ١٢٥ / ٩٩ ح٦.

(٢) الكافي: ٢ باب حق الجوار / ٦٦٦ح١.

(٣) الكافي: ٢ باب حق الجوار / ٦٦٧ ح ٦.

(٤) الكافي: ٢ باب حق الجوار «الدار» / ٦٦٨ ح١١.

وبئس المصير ، ومن ضيَّع حق جاره فليس منا ، وما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[١].

وقيل يوماً لرسول الله صلى الله عليه وآله: «فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق وتؤذي جارها بلسانها ؟

قال: لا خير فيها ، هي من أهل النار.

قالوا : وفلانة تصلي المكتوبة وتصوم شهر رمضان ولا تؤذي جارها.

قال صلى الله عليه وآله: هي من أهل الجنة» [٢].

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: «الجيران ثلاثة ، فمنهم من له ثلاثة حقوق : حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة ، ومنهم من له حقان : حق الإسلام وحق الجوار ، ومنهم من له واحدة : الكافر له حق الجوار» [٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ملعون ملعون من آذى جاره» [٤].

وعنه أيضاً عليه السلام: «إن يعقوب لما ذهب منه بنيامين نادى : يا رب ألا ترحمني ، أذهبت عيني وأذهبت ابني . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : لو أمتهما لأحييتهما حتى أجمع بينك وبينهما ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت ، وفلان إلى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً» [٥].

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «فكان بعد ذلك يعقوب عليه السلام ينادي مناديه كل غداة من منزله على فرسخ : ألا من أراد الغداء فليأت إلى يعقوب ، وإذا أمسى نادى :

---

(١) وسائل الشيعة : ٨ باب ٨٦ / ٤٨٨ ح ٥ .

(٢) مستدرك الوسائل: ٨ باب ٧٢ / ٤٢٣ و ٤٢٤ ، ح١٣ .

(٣) مستدرك الوسائل: ٨ باب ٧٢/ ٤٢٣ و ٤٢٤ ح ١٤ .

(٤) مستدرك الوسائل: ٨ باب ٧٢ ص: ٤٢٣ و ٤٢٤ ح ٣.

(٥) مستدرك الوسائل: ٨ باب ٧٤ / ٤٢٨ و٤٢٩ ح ٤ .

ألا من أراد العشاء فليأت إلى يعقوب» [١].

حقوق الجار

يجب التعامل مع الجار بمحبة ولطف، وأن لا يبخل الإنسان عليه بالإحسان، وأن لا يؤذيه فيما يحتاجه، وأن يعتبره كشريكه في ماله، أن يسلم عليه ولا يعمل لفضح ما يريد إخفاءه، أن يعوده حال مرضه ويعزيه حال المصيبة، يشاركه في العزاء ويبارك له في الأفراح، إذا اطلع على عيب من عيوبه ستره، وإذا أخطأ عفا عنه وأن لا يمنعه من الاستفادة من الجدار المشترك أو إقامة شئ في فضاء منزله، ولا يمنع عنه ما يحتاجه من لوازم المنزل، وأن يحجب أنظاره عن أهله وعياله، ولا يغفل عن منزله إذا لم يكن فيه (حفاظاً عليه) - أن يلاطف أولاده ويتحنن عليهم وأن يرشده لما فيه مصلحة دينه ودنياه، إذا أراد النصرة نصره، أو إذا احتاج لقرض أقرضه، أن لا يرفع جدار منزله فيحجب عنه الهواء، أن يرسل له من الطعام اللذيذ الذي يحضره لمنزله وإذا لم يكن قادراً على ذلك أخفاه حتى لا يشم أطفال الجار رائحته مما قد يسبب لهم الأذية كون والدهم غير قادر على تأمين مثله.

أذية الزوج

عن النبي الأكرم ﷺ: **«من كان له امرأة تؤذيه، لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر وقامت وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله، وكانت أول من ترد النار»**.

ثم قال ﷺ: **«وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان مؤذياً ظالماً، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه، أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من**

---

(١) الكافي: ٢ / ٦٦٧ ح ٥ - باب حق الجوار (الدار) -.

الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج ، فإن ماتت قبل أن يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار .

ومن كانت له امرأة ولم توافقه ، ولم تصبر على ما رزقه الله ، وشقت عليه وحملته ما لم يقدر عليه ، لم يقبل الله لها حسنة تتقي بها النار، وغضب الله عليها ما دامت كذلك» (١).

إيذاء الفقير

قال الله تعالى :﴿ **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ (٢).

وقال أيضاً : ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** ﴾ (٣) كأن يدير عنه وجهه، أو يجبره على القيام بعمل مقابل الصدقة التي أعطاه إياها .

وفي الرواية «**لا يدخل الجنة منان بأفعال الخير إذا عمله**» (٤).

وقال عليه السلام: «**المنان على الفقراء ملعون في الدنيا والآخرة ، والمنان على أبويه وإخوته وإخوانه بعيد من الرحمة بعيد من الملائكة قريب من النار ، لا يستجاب له دعوة ، ولا يقضي له حاجته ولا ينظر الله إليه في الدنيا والآخرة**».

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤ باب ٨٢ / ١١٦ ح ١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦٤ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٦٣ .

(٤) لآلي الأخبار: ٣ باب في أوصاف أخر للصدقة / ١٠٣ ح ٦ .

البهتان

ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

«من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه
أقامه الله تعالى يوم القيامة على تلٍّ من نار حتى يخرج مما قاله» .

بحار الأنوار: ١٦ / ١٧٠ .

البهتان[1]

يقول السيد الشهيد عبد الحسين دستغيب حول البهتان :

إن من جملة الذنوب التي ثبت كبرها عن طريق الأولوية القطعية البهتان ، وهو نسبة عيب لشخص ليس فيه ، حيث إنه كانت الغيبة ذنباً كبيراً وهي ذكره بعيب فيه فالأولى كبر ذنب ذكره بعيب ليس فيه ، وهذا حكم عقلي قطعي ، بل يشتمل البهتان على كبيرتين ، الغيبة والكذب ، ولأن البهتان مورد ابتلاء العموم ومفسدته كبيرة وقد جاء النهي عليه ، في القرآن الكريم والروايات بشدة ، وورد الوعيد عليه بالعذاب الشديد فمن المفيد أن نذكر بعض الآيات والروايات الواردة في هذا المقام .

آيات الإفك في سورة النور :

يوجد في سورة النور سبع عشرة آية تتحدث عن الإفك من الآية ٣ وحتى الآية ٢١، وصحيح أن مورد الآيات وشأن نزولها هو في خصوص البهتان بالزنى ، لكن ورد في الضمن وبصورة كلية تهديد شديد على البهتان .

وخلاصة ما ذكره المفسرون في شأن نزول آية الإفك ، أن هذه الآيات نزلت في جمع من المنافقين اتهموا عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله .

والقصة تدور حول اصطحاب الرسول صلى الله عليه وآله لعائشة معه في غزوة بني المصطلق ،

(١) الذنوب الكبيرة: ٢ / ٣٠١ - ٣٠٧.

تقول عائشة: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها - وروي أنها كانت غزوة بني المصطلق - فخرج سهمي ، وذلك بعدما أنزل الحجاب ، فخرجت مع رسول الله ﷺ حتى فرغ من غزوه وقفل» .

قالت : ودنونا من المدينة ، فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدرتي فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني ، فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه ، وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلهن اللحم، ولم يغشهن ، إنما يأكلن العلفة من الطعام .

فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فسموت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، فخمرت وجهي بجلبابي.

ووالله ما كلمني بكلمة حتى أناخ راحلته ، فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعدها نزلوا موغرين في حرِّ الظهيرة .

تقول عائشة : فهلك من هلك فيَّ - تعني قذفها واتهمها - وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت - مرضت - حين قدمتها شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، غير أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ..

ودعا رسول الله بريرة فقال : يا بريرة ، هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة ؟ قالت بريرة : والذي بعثك بالحق و إن رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية

حديثة السن تنام عن عجين أهلها .

قالت : وأنا والله أعلم أني بريئة ، وما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا يبرئني الله بها ، فأنزل الله تعالى على نبيه...

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ● لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ● لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم ● إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ [(١)].

وحاصل الآيات الشريفة أنكم ارتكبتم ثلاثة ذنوب:

١ - الإفاضة والتحدث بالكذب والإفك وإشاعته.

٢ - القول بغير علم وبيان ما لم تتأكدوا منه .

٣ - استصغار هذا العمل والاستهانة به وهذا بنفسه من الكبائر .

البهتان وأخبار آل البيت عليهم السلام

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تلٍّ من نار حتى يخرج مما قاله»** [(٢)].

عن الصادق عليه السلام: **«من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال ، قلت ـ أي الراوي ـ وما طينة خبال ؟**

---

(١) سورة النور الآيات : ١١ - ١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ١٦ / ١٧٠ .

قال: صديد يخرج من فروج الموسات»[١].

وعنه عليه السلام: **«إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء»**[٢].

أنواع البهتان

١ - البهتان على الله:

وهو أشد أنواع البهتان، قال تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾، بل عدَّ البهتان على الله عز وجل من لوازم الكفر يقول تعالى: ﴿ **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**﴾ [٣].

٢ - البهتان على النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام:

وفي حكم البهتان على الله البهتان على النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام مثل اتهامهما بالسحر والجنون وإنهما شاعران وكاذبان وعابدان أنفسهما وغير ذلك من اتهامات البشر لذرية الأنبياء الجليلة وأئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، وذكر كل ذلك يحتاج إلى كتاب مفصل لا يستوعبه هذا المقام.

٣ - البهتان على الناس:

اتهام سائر الناس وهو على قسمين: فأحياناً يكون عن قول بدون علم، أي الاتهام بعيب لم يثبت ولم يتيقن منه بل كان مجرد سوء ظن فنسبه إلى آخر.

---

(١) بحار الأنوار: ١٦ / ١٧٠.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٦١.

(٣) سورة النحل الآية: ١٠٥.

وأحياناً يكون افتراء ، أي يعلم أن هذا العيب ليس فيه ، أو يتهمه عن عناد بما لم يفعله، والأسوأ من هذا كله أن يكون هذا العيب فيه ، ولكي يتخلص منه يتهم الآخر به فيلقي قذارته على من هو طاهر .

ومن الواضح بشكل جلي أن هذا القسم من أسوأ أنواع البهتان لعباد الله كما يقول تعالى: **﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾** [(١)].

البهتان على الكافر حرام أيضاً :

جاء في تفسير «منهج الصادقين» أن طعمة بن بيرق كان له ثلاثة أولاد . بشر ومبشر وبشير ، وكان رجلاً منافقاً ، دخل ذات ليلة خلسة إلى منزل قتادة بن النعمان ، وسرق منه وعاء الدقيق وكانوا قد أخفوا فيه ذهباً ومضى به إلى دار زيد بن السهين اليهودي ، فأودعه عنده - دون علمه- فلما أصبح تبع قتادة الطحين حتى وصل إلى بيت اليهودي، فأنكر اليهودي فجاء قتادة إلى رسول الله ﷺ وشكا له الحال ، وجاء بنو بيرق يكلمون رسول الله أن يجادل عنهم ، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي فنزل قوله تعالى: **﴿إنا أنزلنا الكتاب إليك بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾** [(٢)].

عاقبة الخائن :

وقد نقل العلامة في تفسير الميزان أن عاقبة بشر كانت أن امتنع عن قبول التوبة التي عرضها الله عليه ، وفرَّ إلى مكة حيث كانت السيطرة لا تزال للمشركين ، وقد حاول هناك الدخول إلى منزل أحدهم لسرقته فانهار الجدار عليه ومات .

---

(١) سورة النساء الآية : ١١٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٠٥ .

علاج بتحصيل الإيمان :

والحق أنه لا سبيل للخلاص من هذا النوع من البهتان إلا الإيمان لأنه لا يمكن إلا لغير المؤمن أن يرتكبه، أي ليس له من سبب إلا الشقاوة وقلة الحياء والرذيلة فالعلاج الوحيد منحصر بالإيمان وتقوية التفكر بآثاره النبوية الوخيمة والعقوبات الأخروية التي له .

سوء الظن :

القسم الآخر من البهتان أي اتهام الآخر عن غير علم ، غالباً ما يكون سببه سوء الظن ، أي حمل ما سمعه أو رآه من الآخر على الفساد ، فيتبع ظنه ولا يعتني باحتمال الصحة أبداً .

ولهذا نهى الله تعالى في القرآن الكريم وورد النهي الشديد أيضاً في الروايات عن سوء الظن ، وورد أمر المسلمين بحمل أعمال مسلم آخر على الصحة ، ولمزيد من الاطلاع نشير إلى قسم من الروايات والآيات الواردة في المقام .

بعض الظن إثم :

يقول الله تعالى :﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا**﴾ (١).

وخلاصة مفاد الآية الشريفة النهي عن اتباع سوء الظن في حق الأخ المؤمن .

ويقول تعالى أيضاً : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾ (٢).

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٢ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٣٦ .

يجب الحمل على الأحسن :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : **«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً»** [(١)].

وقال العلامة المجلسي في شرح هذا الحديث : يعني احمل كل قول أو عمل صدر من أخيك المسلم على الوجه الأحسن ، حتى لو كان في ظاهره غير حسن ، ولا تدقق فيه حتى تصل إلى دليل قطعي يمنع تأويله ، فما أكثر ما يكون الظن خطأ فقد قال الله تعالى : **﴿ولا تجسسوا﴾** .

وقد نقلت هذه الجملة عن الأمير عليه السلام في نهج البلاغة وحاصلها أنه كلما كان لكلمة معنيان وتوجيهان «صدرت من مؤمن» وجب عليك أن تفسرها على الأحسن حتى لو كان المعنى الثاني مجازياً أو كناية أو تورية وحتى لو لم يوجد قرينة على ذلك، وخصوصاً إذا ادعى أنه قصد المعنى الصحيح .

عندما هدد الحجاج اللعين القبعثري وقال له : لأحملنك على الأدهم ، قال القبعثري : مثل الأمير يحمل على الأدهم «فرس أسود من أجود الأنواع» والأشهب ، فقال الحجاج : أردت الحديد ، فقال القبعثري : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً .

وكما تلاحظون في هذه القصة فقد حمل القبعثري وعيد تهديد الحجاج على وعد اللطف ، وأوّل كلمة أدهم التي تعني الحديد والقيد على معناها المجازي أي الحصان القوي ، ويجب مراعاة هذه الرواية في كل أقوال وأفعال المسلمين ، وأن يحمل ذلك منهم على الأحسن ما أمكن ، كما لا يجب أن يحمل ذلك منهم على الأسوأ أبداً .

---

(١) كشف الريبة : باب حرمة سوء الظن / ٦٧ .

سوء الظن بالمؤمن حرام :

قال الشهيد الثاني في كتاب «كشف الريبة» : «واعلم أنه كما يحرم على الإنسان سوء القول في المؤمن ، وأن يحدث غيره بلسانه بمساوئ الغير ، كذلك يحرم عليه سوء الظن وأن يحدث نفسه بذلك .

والمراد من سوء الظن المحرم عقد القلب وحكمه عليه بالسوء من غير يقين به ، وأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه ، كما أن الشك أيضاً معفو عنه ، قال الله تعالى : ﴿**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ .

فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلّا إذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل ، وما لم تعلمه ثم وقع في قلبك فالشيطان يلقيه إليك ، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة**﴾ فلا يجوز تصديق إبليس .

ومن هنا جاء في الشرع أن من فاحت من فيه رائحة الخمر لا يجوز أن يحكم عليه بشربها ، ولا يحد لمكان أن يكون تمضمض به ومجه ، أو حمل عليه قهراً، وذلك أمر ممكن ، فلا تجوز إساءة الظن بالمسلم ، وقد قال النبي ﷺ : «**إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء**» .

إلى أن قال: «..**وطريق معرفة ما يخطر في القلب من ذلك ، هل هو ظن سوء أو اختلاج وشك ، أن تختبر نفسك ، فإن كانت قد تغيرت ، ونفر قلبك عنه نفوراً واستثقله وفترت عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاهتمام بحاله والاغتمام بسببه ، غير ما كان أولاً ، فهو أمارة عقد الظن ، وقد قال** ﷺ : " **ثلاثة في المؤمن وله منها مخرج ، فمخرجه من سوء الظن ألا يحققه**»، أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل ، لا في القلب ولا في الجوارح ...

والذي ينبغي فعله عند خطور خاطر سوء على المؤمن ، أن يزيد في مراعاته

ويدعو له بالخير ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك . فلا يلقي إليك بعد ذلك خاطر سوء خيفة من اشتغالك بالدعاء، انتهى .

الغناء

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله :

«بيت الغناء لا يؤمن فيه الفجيعة
ولا يجاب فيه الدعوة ولا يدخله الملائكة».

الكافي: ٢ / ٤٣٣ .

الغناء [1]

القسم السادس عشر من الذنوب التي صرح بكبرها الغناء (وهو من آفات اللِّسان)، وهذا وارد صريحاً في رواية الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام ووارد أيضاً في موثقة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال عليه السلام : **«الغناء مما أوعد الله عليه النار»** .

وقد ورد في الأحاديث أن كل ذنب وعد الله عليه العذاب هو كبير وهناك شواهد أخرى على كبر هذا الذنب نذكرها فيما بعد .

ما هو الغناء ؟

الغناء حرام فعله وسماعه والتكسب به وليس هو مجرد تحسين الصوت بل هو مد الصوت وترجيعه بكيفية خاصة مطربة تناسب مجالس اللهو ومحافل الاستئناس والطرب ويتوافق مع آلات الملاهي واللعب .

ولأن أهل اللغة وأكثر فقهاء الإمامية اشترطوا في الغناء ترجيع الصوت وإطرابه ، لهذا يصح توضيح الجملتين على هذا الشكل الذي بيَّنه صاحب القاموس وصاحب الصحاح : الترجيع ترديد الصوت في الحلق ، وصور صاحب النهاية الترجيع بقوله : أن يقول الإنسان اآ اآ اآ ، وقال أهل اللغة ما يقارب هذا المضمون ، والخلاصة أن الترجيع هو ما يقال عنه اصطلاح المغنين تحرير الصوت .

---

(١) الكافي: ٢ / ٤٣٣ .

وقد فسر الصحاح الطرب بـ: الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور[١].

وذكر أهل اللغة جميعاً ما يقارب هذا المعنى .

إذاً الطرب حركة في الطبع و من السرور أو الحزن ينشأ من سماع الألحان والأنغام الجميلة .

وذكر في رسالة ذخيرة العباد :

الغناء عبارة عن صوت اللهو أي الصوت الذي يصدر عن اللهو والتلذذ ويصدر عن قوة الشهوة ، وهذا أعم من أن يقال عنه «نشيد واستظهار» في عرف العجم كالغناء في الأشعار أو الذي لا يقال عنه كذلك فيكون بواسطة كلمات القرآن المراثي حتى لو لم يكن مشتملاً على الطرب ، إذاً لا فرق في تحقق الغناء بين الأشعار وقراءة القرآن أو المراثي وغير ذلك مثل الأذان بل حرمة الغناء في المراثي والقرآن أشد ومعصيته أكبر وعقابه مضاعف .

عدة ملاحظات حول الغناء

١ - الغناء من الكبائر :

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**الغناء من الأشياء التي وعد الله سبحانه وتعالى عليها بالعذاب وتلا الآية الشريفة: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾** »[٢].

٢ - لغو الحديث في القرآن هو الغناء :

ما قيل عن كون الغناء أحد أنواع لهو الحديث ، ذكر في عدة روايات بشكل صريح: كما ورد في الرواية عن الباقر عليه السلام وقد ذكر أن اللغو هو أيضاً بمعنى الفعل العبثي الذي

---

(١) الصحاح: ١ / ١٧١ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٦.

يلهي الإنسان عن الأمر المهم .

ولهو الحديث هو كل كلام غير صحيح يمنع الإنسان من الاستماع إلى كلام الله والقرآن الكريم ويضل مثل القصص الخرافية والقصص التي تدفع الإنسان نحو الفساد والفسق والفجور والغناء واللهو بآلات الموسيقى ومن الواضح أن التلهي بكل نوع من هذه الأمور الباطلة يمنع الإنسان عن استماع وقبول المعارف العقائدية للقرآن الكريم وأوامره العملية وقصصه المعبرة وحديثه عن الأوضاع العجيبة لعالم الآخرة الجنة والعذاب .

وإذا سمع كلام الحق هذا بدأ بالسخرية وإذا ما تليت آيات القرآن أمام هكذا شخص ازداد كبراً وعتواً وكأنه لم يسمع هذه الآيات أصلاً ، وهذا ما يشير إليه في الآية التالية : **﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾** .[1]

والخلاصة أن كل ما يتلهى بالغناء والألحان وسائر أمور الباطل . انشغل بها واندفع إليها فكيف له بعد ذلك أن يتعرف إلى الله والآخرة والحقائق القرآنية ويصبح متعلقاً وراغباً بها ؟

ونتيجة اللحاق بالأباطيل أن يبتعد عن الإيمان ويغفل عن الحقائق ، وهذا الشخص الضال والمضل هو مورد وعيد بالعذاب الإلهي في هاتين الآيتين . يتضح مما ذكر أن الغناء هو - لهو الحديث - وقد جاء عليه الوعيد بالعذاب في القرآن الكريم فهو إذاً ذنب كبير .

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام : **«قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الغناء فقال : هو قول الله عز وجل : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ...﴾»**.

وعن يحيى بن عبادة عن أبي عبد الله عليه السلام قلت : قوله عز وجل : **﴿ومن الناس من**

(١) سورة لقمان الآية : ٧.

يشتري لهو الحديث ...﴾ قال عليه السلام: **«منه الغناء»**.

فسر قول الزور بالغناء:

الشئ الآخر أنّه عبر عن الغناء بقول الزور وقد أمر بالابتعاد عنه في القرآن الكريم: «قال أبو بصير: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن معنى آية **﴿واجتنبوا قول الزور﴾**[١].

قال عليه السلام: الغناء»[٢].

وعن أبي عبد الله قال في قوله تعالى: **﴿والذين لا يشهدون الزور﴾**[٣] قال عليه السلام: الغناء[٤].

وعن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن قول الزور قال عليه السلام: منه قول الرجل للذي يغني أحسنت»[٥].

الغناء واللهو:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام: أنهما سئِلا عن معنى الآيتين الشريفتين: **﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾**[٦]. **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾**[٧]، فقالا عليهما السلام: الغناء لغو نُزّه عنه عباد الرحمٰن عن التلوث به[٨].

---

(١) سورة الحج الآية: ٣٠.

(٢) الكافي ٦ / ٤٣١ح ١ ـ باب الغناء ـ.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٧٢.

(٤) الكافي: ٦ / ٤٣١ح ١ و ٦ ـ باب الغناء ـ.

(٥) الكافي: ٦ / ٤٣٣ح ١٣ ـ باب الغناء ـ.

(٦) سورة الفرقان الآية: ٧٢.

(٧) سورة المؤمنون الآية: ٣.

(٨) الكافي: ٦ / ٤٣٢ح ٩ ـ باب الغناء ـ.

الغناء يجلب النفاق:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع**».

وقال عليه السلام: الغناء عش النفاق»[١].

وفي صحيحة الشحام عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بيت الغناء لا يؤمن فيه الفجيعة ولا يجاب فيه الدعوة ولا يدخله الملائكة**»[٢].

الغناء يورث الفقر :

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**والغناء يورث الفقر ويعقب النفاق**»[٣].

عذاب الغناء :

عن النبي صلى الله عليه وآله: «**يحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم**».

وقال صلى الله عليه وآله: «**ما رفع أحد صوته بالغناء إلا بعث الله شيطانين على منكبيه، يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك**».

لا ينظر الله إليه نظرة رحمة :

روى القطب الراوندي عنه صلى الله عليه وآله: «**خمسة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : إلى أن قال صلى الله عليه وآله المغني**».

وقال صلى الله عليه وآله: «**من استمع إلى اللهو يذاب في أذنه الآنك**»[٤].

---

(١) الكافي: ٦ / ٤٣٤ ح ٢٣ ـ باب الغناء ـ.

(٢) الكافي: ٦ / ٤٣٣ باب الغناء ح ١٥.

(٣) المستدرك: ١٣ / ٢١٢ باب ٧٨ ح١.

(٤) المستدرك: ١٣ / ٢٢٢ باب ٨٠ ح٥.

الاستماع إلى الغناء عبادة الشيطان :

عن أبي جعفر عليه السلام قال : **«من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان»** [١].

شجرة الجنة والقراءة :

عن الإمام الرضا عليه السلام : **«من نزه نفسه عن الغناء فإن في الجنة شجرة يأمر الله الرياح أن تحركها فيسمع منها صوتاً لم يسمع مثله ومن لم يتنزه عنه لم يسمعه»** [٢].

قرّاء الجنة :

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : **«من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة ، قيل : وما الروحانيون يا رسول الله ؟**

قال : أهل الجنة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : داوود سيد قراء أهل الجنة» [٣].

التهديدات الشديدة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«يظهر في أمتي الخسف والقذف ، قالوا : متى ذلك ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات وشربت الخمور والله ليبيتنَّ أناس من أمتي على**

---

(١) الكافي: ٦ / ٤٣٤ باب الغناء ح ٢٤ .

(٢) الكافي: ٦ / ٤٣٤ باب الغناء ح ١٩ .

(٣) نهج البلاغة وفيه: «قراء أهل الجنة» فقط، وتفسير مجمع البيان: ٨ / ٧٧.

أشر وبطر ولعب فيصبحون قردة وخنازير لاستحلالهم الحرام واتخاذهم القينات وشربهم الخمور وأكلهم الربا ولبسهم الحرير» (١).

العلاقة بين الغناء والزنى :

الغناء مقدمة وسبب للوقوع في الزنى كما ورد عن رسول الله ﷺ : **«الغناء رقية الزنى»** (٢).

لأن الغناء والأنغام لهو يخرج عن الشهوة واللذة الحيوانية ، ومن آثاره تحريك الشهوة عند المغني والمستمع فيغفل عن ذكر الله ويصبح مؤهلاً لارتكاب الفحشاء ، كما هو وارد عن الإمام الصادق عليه السلام : **«والملاهي التي تصدر عن ذكر الله كالغناء وضرب الأوتار»** (٣).

---

(١) وسائل الشيعة: ١٣ / ٢٣١ باب تحريم الغناء ح ٣٠.

(٢) المستدرك: ١٣ / ٢١٤ باب ٧٨ ح ١٤.

(٣) أحد أكبر الآثار السيئة للاستماع للموسيقى ، توجيه الأفراد وخصوصاً الشبان والشابات نحو الشهوة وتحريك قواهم الحيوانية. والخلاصة: أن الشاب والشابة اللذين كان يمكن لهما أن يراعيا الخجل والعفَّة والحياء قبل الاستماع إلى الموسيقى، يتهيئان للقيام بأرذل الأعمال وكأنهما لم يقرآ أي درس عن العار والذلة والعفَّة والحياء في الحياة ، والتأثير السيئ للموسيقى هو من هذه الجهة ، لدرجة أنّه يمكن القول إنه أحد الأسباب المهمة لإشاعة الفحشاء والتعدي على النواميس في عالم اليوم وكل هذا يعود لألحان الشؤم والأنغام الموسيقية المهيجة ، ومن الآثار السيئة للموسيقى ضرب العواطف الإنسانية في المستمع ، فالذين كان لديهم المحبة والعواطف الإنسانية إلى درجة أنهم كانوا يتأثرون بعد رؤية أقل منظر مؤثر ، بعد استماعهم للموسيقى فقدوا عواطفهم إلى درجة أن أكثر المناظر تأثيراً وإدماء للقلق لم تعد تترك فيهم أدنى أثر .

يقول الدكتور كارل الفرنسي : إذا كانت الحياة منحصرة بالرقص وبالدوران بالسيارة في المدينة والذهاب إلى السينما والاستماع إلى الراديو فما نفعها ؟

يقضي الكثير من الشبان ثلاث أو أربع ليالٍ أسبوعياً في دور السينما والمراقص والمرابع الليليّة، ومطالعة المجلات التي لا فائدة منها تملأ بقية أوقاتهم ، والاستماع إلى أكاذيب أجهزة الراديو =

حرمة الغناء من الضروريات :

لا اختلاف بين فقهاء الشيعة على حرمة الغناء ، واتفاقهم وإجماعهم على حرمته مسلم به ، وقد عدَّ صاحب المستند حرمة الغناء من الضروريات ، أما صاحب الإيضاح فقد اعتبر الأخبار الواردة في حرمة الغناء في مستوى التواتر .

نعم في معنى الغناء وحقيقته يوجد اختلاف بسيط ، وما ذكره الشيخ الأنصاري عليه الرحمة في معنى الغناء مورد تأييد فتاوى أكثر المراجع والعلماء الأعلام ، كما سبق أن أسلفنا، فالغناء عبارة عن النغم المطرب «يعني بالقوة ، وإن كان بالفعل غير مطرب بسبب بعض الموانع».

وأن يكون مطابقاً للحن الفساق والفجار ومناسباً أيضاً لآلات الموسيقى والرقص «مثل أقسام التصانيف» أي مشابه للمتعارف عليه بين الفساق ولا فرق في حرمته بهذه الكيفية بين الشعر والنثر سواء كان مدحاً لأهل البيت عليهم السلام أو دعاء أو قراءة للقرآن أو أي شئ آخر بل الدعاء وقراءة القرآن والمرثية والأذان أذا كانوا على هذه الصورة فحرمة ذلك تكون أشد . لأنه إضافة لحرمة الغناء هناك أيضاً الاستخفاف والإهانة للقرآن الكريم ولله المتعالي ولأهل البيت عليهم السلام .

= وهذه وسيلة أخرى لإتلاف العمر ، فالراديو كالسينما والمراقص حمل ثقيل على كاهل الإنسان يمنعه من القيام بأي عمل آخر فاللهو مباين للحياء ، والحياة عمل ، أما اللعب بالورق والرقص والسينما والراديو وقضاء الأوقات على هذا المنوال يعيد الذكاء إلى الوراء .

وقد جعل المفكرون الأوروبيون العبارات : اللغة ، الثقافة . الكمنجة ، الغناء ، الموسيقى ، التقليد، إتلاف الوقت ، الالتهاء بأي شئ قضاء الوقت دون طائل ، الجهل ، الحمق ، الكلام الذي لا معنى له، الخداع ، السخرية مترادفة.

انظر مناظرة «الدكتور والعجوز».

لا مانع من الصوت الجميل :

ولكن إذا كان فقط صوتاً جميلاً ومداً طويلاً في الحلق بغير الكيفية المذكورة ، «دون أن يكون مطرباً» فلا مانع منه .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«اقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجيئ أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم»** [١].

حسن القراءة والغناء شيئان :

وفي حديث علامات يوم القيامة يقول صلى الله عليه وآله : **«........فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزامير ويتغنون بالقرآن»** [٢].

والأحاديث الواردة عن استحباب حسن قراءة القرآن مثل رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام : **«رجع بالقرآن صوتك ، فإن الله يحب الصوت الحسن»**.

أو مثل مرسلة ابن أبي عمير : «إن القرآن نزل بالحزن فاقرأ وه بالحزن».

لا تتنافى مع حرمة الغناء بالقرآن لأن مجرد مد الصوت أو ترجيعه وتحسينه ، ليس غناء كما سبق وذكرنا .

الغناء في مجالس العروس النسائي :

وقد أخرج بعض الفقهاء الغناء في مجلس العروس عن الحرمة بثلاثة شروط :

١ – أن لا يكون رجل في المجلس ولو كان محرماً.

٢ – عدم ذكر الباطل في الغناء «كالكذب والفحش»

---

(١) الوسائل: ٤ / ٨٥٨ باب ٢٤ ح١ .

(٢) الوسائل: ١٣ / ٢٥٩ باب ٢٧ ح٤ ..

٣ – عدم استعمال آلات اللهو والموسيقى .

وقد أجاز بعض الفقهاء استعمال الدف في مجلس العروس لكن الشهيد والمحقق الثاني اشترطوا فيه خلوه من الحلقة .

لكن لا ينبغي ترك الاحتياط في الاثنين بغير استعمال آلات اللـهو فـي مـجلس العروس وغناء النساء في المجلس المذكور حتى لو اجتمعت الشروط الثلاثة .

كما ذكر الشيخ الأنصاري عليه الرحمة فـي المكـاسب ، والشـهيد فـي الدروس والسيد الأصفهاني في رسالة الوسيلة ..والنجاة في الاحتياط.

المدح

عن مقداد بن عمرو قال:

أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب .

ميزان الحكمة: مادة المدح.

من الآفات التي آبتلي فيها المجتمع بمعظم طبقاته وأفراده مسألة الإفراط في المدح فنرى كثيراً من الناس منغمسين بهذه المسألة دون أن يلتفتوا إلى الآثار السلبية المترتبة عليها.

ولقد حذرت النصوص الدينية من هذا المرض والوباء الذي يعتبر من الآفات الخطيرة للسان سيَّما إذا كان المدح لمن لا يستحق من الظلمة والفجار وأعوانهم.

فترانا في مناسبات العزاء أو الاحتفالات الرسمية وغيرها لا ندع صفة حسنة، إلّا ونلصقها بالميت أو الزعيم أو بغيره، الأمر الذي يعتبر بالدرجة الأولى نوعاً من المراء والكذب، نعم لا كلام ولا غبار على وصف الإنسان ومدحه بما هو فيه، وهذا قطعاً خارج عن نطاق الكلام لأنّنا نتحدّث عن مدح الناس بما ليس فيهم وهذا هو الأمر المذموم، بل إنّك تجد في بعض الروايات أنّ أهل البيت عليهم السلام نهوا عن الإغراق في مدح الشخص بما هو فيه خوفاً من وقوعه في الزُّهو والخيلاء والتكبر.

ذم المدح

إليك بعض الروايات التي نهت عن المدح وذمته.

عن الإمام علي عليه السلام: **«من مدحك فقد ذبحك»** [1].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إياكم والمدح فإنّه الذبح»** [2].

في سنن أبي داوود: جاء رجل فأثنى على عثمان في وجهه، فأخذ المقداد بن الأسود تراباً فحثا في وجهه وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«إذا لقيتم المداحين فاحثوا**

(١) ميزان الحكمة: مادة المدح.

(٢) ميزان الحكمة: مادة المدح.

في وجوههم التراب» [١].

الاختصار في المدح

مما لا شك فيه أنّ المدح المعقول وتوصيف الناس بما فيهم من الأمور الحسنة.

بل هو من الأساليب القرآنية والتربوية حيث نجد أنّ الله عزّ وجلّ يثني على عباده وأوليائه الصالحين.

ولٰكن يجب الالتفات إلى أنّه يجب الاختصار في المدح بل وفي الذم أيضاً.

فعن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: **«إذا مدحت فاختصر، وإذا ذممت فاقتصر»**.

وعنه عليه السلام: **«كثرة الثناء ملقٌ** [٢] **يحدث الزهو ويدني من الغِرّة»** [٣].

مدح الناس بما ليس فيهم

وهو من المسائل الخطيرة كما أسلفنا، مدح الصديق لصديقه بما ليس فيه، مدح الضيف، الجار...وغيرهم، ولعلّ من أخطر هذه الظواهر أنّ البعض من رجال الدين تحولوا إلى أداة للمدح لأجل الوصول إلى مكانة جتماعية مرموقة وهذا النوع من المدح تحت غطاء المداراة أدّى ويؤدي إلى ترك وظيفة من أعظم الوظائف الإلٰهية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف نتصور حالة مجتمع تخلى عن هذه الوظيفة ؟! وكيف نتصور حالة أناس يدّعون العلم والمعرفة وهم يمارسون نوعاً من النفاق مع الآخرين؟! إنّ هذا هو الهلاك والدمار بعينه، لأنّه إذا فسد العالِم فسَد العالَم، وإذا صلح العالِم صلح العالَم [٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ملق: التودد والتذلل، والإظهار باللسان من الإكرام والود ما ليس في القلب.

(٣) ميزان الحكمة: ٤ / ٢٨٦٢ ـ باب ذم الاغترار بالمدح ـ.

(٤) المصدر السابق.

عن الإمام علي عليه السلام: «**إياك أن تثني على أحدٍ بما ليس فيه، فإنّ فِعلَهُ يصدق عن وصفه ويكذبك**»[١].

وعنه عليه السلام: «**أعظم اللؤم حمدُ المذموم**»[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «**إذا مُدح الفاجر آهتز العرش وغضب الرب**»[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله: «**من مدح سلطاناً جائراً وتخفَّف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه إلى النار**»[٤].

خلاصة الكلام

إنّ على الإنسان أن يعيش حالة وسطية في المدح أو الذم وللنية مدخلية في ذلك، كما أنّ المدح إذا كان بما هو موجود عند الآخرين لتشجيعهم فهو حسن وقبول، وأمّا إذا لم يكن بما هو فيهم فهو كذب ونفاق. وينبغي الاختصار في المدح أو الذم.

كما أنّ على الإنسان الممدوح أن يعيش على حالة التواضع في حالة مدحه من قبل أحد، وأن يذكر هذا الدعاء الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله.

فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إذا أثني عليك في وجهك فقل: اللهم آجعلني خيراً مما يظنون، وآغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون**»[٥].

وأخيراً نقول: إنّ على المرء أن ينظر إلى واقع حالهِ وأن يكون همُّه نظرُ الله إليه ما هي مكانته عند الله لا ما هي عند الناس، لأن تؤخذ بالظاهر والله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فما يخفى على الناس من حقيقة أمرك وسرك، وما

---

(١) ميزان الحكمة: ٤ / ٢٨٦٣ ـ باب مدح الرجل بما ليس فيه ـ.

(٢) ميزان الحكمة: ٤ / ٢٨٦٤ ـ باب التحذير من مدح الفاجر ـ.

(٣) تحف العقول: ٢٩٤.

(٤) أمالي الصدوق: ٥١٥.

(٥) تحف العقول: ١٢.

أنت عليه في الواقع لا يخفى على الله سبحانه وتعالى.

اللهم استر عيوبنا وأعنا على أنفسنا بما تعين به الصالحين على أنفسهم آمين رب العالمين.

التدخل في خصوصيات الآخرين

عن الامام علي عليه السلام أنّه قال:

«طلبت الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعنيني» .

شرح نهج البلاغة: ٥ / ٢٩٣ .

من آفات اللسان التدخل في خصوصيات الآخرين وتتبع أدق التفاصيل في حياتهم وهي من المسائل التي يقع فيها كثيرٌ من الناس من حيث يعلمون أو لا يعلمون بقصد أو بغيره.

الأمر الذي يؤدي بالإنسان المتدخل إلى أن يتعرض للذم أو الإهانة أو الاستخفاف فيه والابتعاد عنه (بسبب حشريته الزائدة) فضلاً عن أنّه يسيئ إلى شخصية من يتدخل في حياته وشؤونه الخاصة ويعرضه للحرج أو الضيق أو يفسد عليه بعض أعماله وقد يؤدي إلى الإخلال في نظام حياته وأسرته، لذلك كان من الضروري أن نلفت النظر إلى هذه الآفة ونستعرض بعضاً من مساوئها، ونسلط الضوء على ما هو مضر منها ومسيئ، وما هو حسنٌ وفي بعض الحالات النادرة، ضمن البحث التالي الذي أخذناه من كتاب «المحاضرات الأخلاقية» لمؤلفه سماحة السيد العزيز حسين نجيب محمد «دامت تأييداته».

حرمة الأشخاص والبيوت:

أعطى الإسلام لكل إنسان حصانة خاصة لحياته الشخصية من خلال الدعوة إلى احترام ماله وعرضه ودمه وسائر خصوصياته.

كما أعطى لبيوت المسلمين حرمة بالغة من خلال النهي عن الاطلاع على ما فيها.

ففي الحديث: **«ومن اطلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل أو شعر امرأة أو شئ من جسدها، كان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين الذين يتبعون**

عورات الناس في الدنيا» [١].

ومن خلال حرمة الدخول إليها بغير آستئذان، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَئْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِن بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ• وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [٢]

ومن لطيف ما يروى أنّ سلمان الفارسي ﵁ تزوج، فلما كان الصباح جاءه بعض أصحابه وقالوا له: كيف وجدت أهلك، فأعرض عنهم، ثم قال: إنما جعل اللّٰه الستور والخدور والأبواب لتواري مافيها، حسب آمرئ منكم أن يسأل عمّا ظهر له، فأمّا ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«التحدث عن ذلك كالحمارين يتشامان في الطريق»**[٣].

أقول: في هذه القصة موعظة لنا بالمنع عن التحدث بأسرار العلاقة الزوجية بكل أنواعها.

سلبيات التدخل بالخصوصيات:

لذلك نقد جاء في النصوص الشريفة الحث على عدم التدخل بخصوصيات الناس ـ إلّا فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لما في ذلك من السلبيات، ومنها:

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها: ٢٨٢.

(٢) سورة النور الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) نفس الرحمٰن: ٥٥٩.

١ ـ إحراج الآخرين في الكلام: فقد تكون هناك بعض الأمور التي لا يريدون الإخبار عنها، وقد يلجأون إلى الكذب لعدم كشفها، وفي كلا الحالتين، فإنّ التدخل يؤدي إلى آثار سلبية.

٢ ـ كشف الأسرار: الأمر الذي يؤذي أصحابها، وخصوصاً إذا كانت من الأسرار البيتية.

٣ ـ العداوة والخصومة: إنّ تدخل البعض بمشاكل الآخرين قد يؤدي إلى زيادتها وآشتعالها وخصوصاً إذا كانت مشاكل أسرية، فقد كشفت الأبحاث الاجتماعية أنّ أهم أسباب الطلاق يعود إلى تدخل الأهل والأصدقاء في حياة الزوجين.

٤ ـ إفشال السائل: من خلال إسكاته فقد قيل: «لا تتدخل فيما لا يعنيك كي لا تسمع كلاماً لا يرضيك».

رُوِي أنّ الإمام علي عليه السلام كان يخطب على منبر الكوفة فاعترضه الأشعث بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين هذا عليك لا لك، فخفض الإمام بصره وقال: «ما يدريك ما عليَّ مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاّعنين»[1].

وروي أنّ رجلاً رأى الإمام الباقر عليه السلام وهو متكئ على غلامين في ساعة حارة، فجاءه قائلاً: «أصلحك الله شيخ من مشايخ قريش في هذه الساعة، على هذه الحال في طلب الدنيا؟ ماذا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟

فقال عليه السلام : لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة الله تعالى أكفُّ بها نفسي عنك وعن الناس»[2].

٥ ـ منع الخير: فبعض الناس يتدخل ليمنع الخير وهو غافل أنّ فعله وسوسة شيطانية.

رُوِي أنّ الإمام علياً عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر، فقال رجل:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩.

(٢) منتهىٰ الآمال: ٢ / ١٢١ .

«يكفيه وسق واحد» .

فقال ﷺ : «لا كثَّر الله في المؤمنين ضربك، أعطي أنا وأنت تبخل»[١].

شخصية خاصة:

هناك نوع من الناس لا يستريحون إلّا إذا تدخلوا في حياة الآخرين بكل تفاصيلها فهم يحبون تتبع الأخبار من أصحاب العلاقة أو من غيرهم وآستجواب الآخرين في عملهم ونومهم وطعامهم، فيسألون: أين كنت؟ وإلى أين تذهب؟ ولماذا تفعل كذا؟ ولماذا لا تفعل كذا؟

إنّ لهذا النوع شخصية تغضب إذا لم تعرف وكأنها سلبت حقاً من حقوقها، وقد يتعدى دور السؤال والمعرفة إلى دور المشارك في الحياة، فهؤلاء يفضلون التدخل المباشر حتى يكونوا الحكم أو المستشار فيما يخصُّ الآخرين.

يساعد على ذلك طبيعة المجتمع وخصوصاً المجتمع العربي الذي لا يهتم بأوقات الناس، وإنّما همّه تضييع الوقت، لذا نسمع الأشخاص الفضوليين يقولون: لنتحدث بكذا فنحن نتسلى ولا شغل عندنا.

كما يساعد على ذلك طبيعة الأسر العربية، فالأم تزوج آبنتها وتظل تحمل همّها وتسأل عن أحوالها مع زوجها وتتدخل بحياتها وحياته...

والأعجب من كل ذلك أنّ هذه الشخصيات تتدخل لتمنع الخير، فترى البعض يقول: لماذا تذهب إلى الحج الآن؟ ولماذا تدفع الخمس؟ ولماذا تلتزم آبنتك بالحجاب؟

ولكن هؤلاء ـ وللأسف ـ لا يتدخلون ليمنعوا السوء، بل يقولون: ما لنا وللتدخل بغيرنا.

---

(١) الصدقة: ١٤٤.

تدخل الزوجة في خصوصيات زوجها:

تدخل بعض الزوجات بخصوصيات الزوج في عمله وعلاقاته الاجتماعية بدافع الغيرة عليه أو حب التملك والسيطرة فتسأله دائماً: أين كنت ومع من ؟ ولماذا تأخرت؟ ولماذا لا تفعل كذا ؟! وآفعل كذا...مما يُوجِد جوّاً من ضيق الخناق على الزوج فينفر من كلامها وقد يضطر للكذب عليها تخلصاً من الإحراج...

وهذا لا يعني عدم الاهتمام بأحوال الزوج، فإنّه خلاف حُسن المعاشرة الزوجية، وإنّما يعني الالتفات إلى حدود العلاقة الزوجية.

إيجابيات التدخل بالخصوصيات:

حثَّ الإسلام على التدخل بخصوصيات الآخرين إذا كان ذلك لمصلحتهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك تدخل أهل الصلح من قبل الزوجين في حال النفور بينهما، فقد قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً** ﴾[1].

وممّا ينبغي الالتفات إليه في هذا السياق أنّ الدعوة إلى عدم التدخل بالخصوصيات لا يعني عدم السؤال عن أحوال الآخرين فإنّ ذلك نوع من الاستخفاف واللامبالاة بحقوق الصداقة، فعن رسول الله ﷺ : «**إذا أحببت أحداً فسله عن آسمه وآسم أبيه، وعن منزله، فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته**»[2].

شخصية المسلم:

إنّ المسلم هو من يحافظ على خصوصيات الآخرين، فيترك فضول الكلام

(١) سورة النساء الآية: ٣٥.

(٢) الصداقة والأصدقاء.

والسؤال، إلّا إذا آقتضى الحال وجوب الأمر بالمعروف، فإنّ ذلك يورثه الخير والحكمة.

قيل: «إنّ لقمان عليه السلام دخل على داوود عليه السلام وهو يسرد الدرع فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها داوود لبسها وقال: نِعم لبوس الحرب أنت.

فقال لقمان عليه السلام : الصمت حكمة وقليل فاعله.

فقال داوود عليه السلام : بحق ما سميت حكيماً»[1].

دعوة خاصة:

كما أنّ لكل إنسان خصوصياته التي لا يرغب بأن يطلع عليها أحد فليعلم أنّ الآخرين مثله، فلا يتدخل بهم، وفي ذلك راحة له ولهم كما قال صلى الله عليه وآله .

(١) قصص الأنبياء: ٤٥٠ .

آفات اللسان

ذكر الغزالي في كتابه «إحياء العلوم» عشرين نوعاً من أنواع الانحرافات والأخطاء للسان :

١ - الكلام في ما لا يعني، وليس له أثر مادي ولا معنوي في حياة الإنسان .

٢ - الثرثرة والكلام اللغو .

٣ - الجدال والمراء .

٤ - الخصومة والنزاع واللجاج في الكلام .

٥ - التكلم حول المنكرات ، مثل الشراب والقمار وما شابه .

٦ - التكلف في الكلام والتصنع في السجع والقافية .

٧ - البذاءة .

٨ - اللعن لغير مستحقيه .

٩ - الغناء .

١٠ - المزاح الركيك .

١١ - السخرية والاستهزاء بالآخرين .

١٢ - إفشاء أسرار الناس .

١٣ - الوعود الكاذبة .

١٤ - الكذب والأخبار الكاذبة .

١٥ - الغيبة .

١٦ –النميمة .

١٧ –النفاق في اللسان «ذو اللسانين».

١٨ –المدح لغير مستحقيه .

١٩ –الكلام والتحدث بدون تفكر وتدبر ، حيث يصاحبه الوقوع في الخطأ والاشتباه عادة.

٢٠ –التساؤل عن الأمور المعقدة والغامضة ، التي تخرج عن قدر المسؤول .

وأضاف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى هذه الآفات آفات أخرى وموارد أخرى هي:

١ – التهمة .

٢ – الشهادة بالباطل .

٣ – مدح الناس .

٤ – نشر الشائعات والأكاذيب التي لا تعتمد على أساس ، وإشاعة الفحشاء والمنكر وإن كان من باب الاحتمال .

٥ – البذاءة والخشونة في الكلام .

٦ –الإصرار العقيم «كما أصر أصحاب بقرة بني إسرائيل» .

٧ –إيذاء الآخرين بالكلام الجارح .

٨ –المذمة لغير مستحقيها .

٩ –الكفران وعدم الشكر باللسان .

١٠ –الدعاية للباطل والترغيب على الذنب والأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف .

وغني عن البيان ، أن ما تقدم آنفاً لا يشكل جميع خطايا اللسان ، بل يمكن القول إن هذه الموارد الثلاثين من أمهات الموارد في هذا الصدد [١].

---

(١) الأخلاق في القرآن: ١ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

الصمت وآثاره

لقد ورد في النصوص الدينية آثاراً عجيبة للصمت، حيث أشارت تلك النصوص إلى ملاحظات لطيفة ودقيقة وهامة جداً، ورتبت عليه ثماراً عديدة ونحن فيما يلي نذكر هذه الثمرات كما وردت في الروايات الإسلامية.

١ - الصمت علامة الإيمان:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة والمؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل**»[1].

٢ - الصمت دليل التفكر:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**دليل العاقل التفكر ودليل التفكر الصمت**»[2].

٣ - الصمت ينير القلب:

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**أكثر صمتك يتوفر فكرك ويستنير قلبك ويسلم الناس من يدك**»[3].

يقول آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حفظه المولى معلقاً على هذه

(١) بحار الأنوار: ٧٥ / ٣١٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٠.

(٣) ميزان الحكمة: ٢ / ١٦٦٧ ـ باب ثمرات الصمت ـ.

الروايات:

«فيظهر من هذه الروايات العلاقة الوثيقة والدقيقة التي تربط التفكر بالسكوت، ودليله واضح، لأن القوى الفكرية سوف تفقد التوحد والانسجام وتصيبها حالة من التشتت والانقلاب في حالات الكلام الزائد، وعندما يتخذ الإنسان السكوت جلباباً له، فتتمركز قواه الفكرية، مما يعينه على التفكير الصحيح، وبالتالي انفتاح أبواب الحكمة بوجهه، ولا يلقى الحكمة إلا ذو حظ عظيم» [١].

٤ - الصمت يورث النجاة:

عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«نجاة المؤمن في حفظ لسانه»** [٢].

وعنه ﷺ أنه قال: **«من صمت نجا»** [٣].

٥ - السكوت من ذهب:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب»** [٤].

٦ - الصمت أول العبادة:

من مواعظ النبي ﷺ لأبي ذر (رحمه الله): **«أربع لا يصيبهن إلا مؤمن: الصمت وهو أول العبادة ...»** [٥].

---

(١) الأخلاق في القرآن الكريم: ١ / ٢٥٨.
(٢) أصول الكافي: ٢ / ١١٤.
(٣) البداية في الأخلاق العملية / ٩٢.
(٤) أصول الكافي: ٢ / ١١٤.
(٥) ميزان الحكمة: مادة الصمت.

٧ - كثرة الكلام تزرع القسوة في القلب :

ورد عن الإمام الصدق عليه السلام في حديث يقول فيه : «**كان المسيح عليه السلام يقول : لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون**» (١).

٨ ـ الصمت يكسب المحبة :

عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال : «**إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير**» (٢).

٩ - السكوت نجاة من الذنوب ، ومفتاح دخول الجنة :

ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه : «**ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟**

قال : بلى يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله : «**...فاصمت لسانك إلا من خير ، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة**» (٣).

١٠ - الصمت نعم العون :

ورد عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه قال : «**نعم العون الصمت في مواطن**

(١) أصول الكافي: ٢ / ١١٤ .
(٢) المصدر السابق: ٢ / ١١٣ .
(٣) أصول الكافي: ٢ / ١١٣ .

كثيرة ، وإن كنت فصيحاً» [١].

١١ - في الصمت سلامة من العثار :

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : **«إن كان في الكلام بلاغة ففي الصمت سلامة من العثار»** .

١٢ - الصمت يكسب الوقار :

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : **«الصمت يكسبك الوقار ، ويكفيك مؤنة الاعتذار»** .

وهذا واضح لأن الكلام يكون تحت هيمنة المرء ما لم ينطق ، فإذا نطق وقع المرء تحت هيمنته ، فإذا كان في كلامه خطأ أو زلل أو عيب اضطر إلى الاعتذار ولذلك كان الصمت أفضل.

وإلى هذا المعنى السابق ذكره يشير أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث الوارد عنه قال عليه السلام : **«الكلام في وثاقك ما لم تتكلم ، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة»**[٢].

وقد أوصى لقمان الحكيم ولده بقوله: **«يا بني قد ندمت على الكلام ، ولم أندم على السكوت»** [٣].

وقد صدق الشاعر حين قال :

ما إن ندمت على السكوت مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

---

(١) ميزان الحكمة ، مادة الصمت .

(٢) نهج البلاغة: ٤ / ٩١ ح ٣٨١.

(٣) البداية في الأخلاق العملية / ٩١ .

١٣ - الصمت شعار أهل التحقيق :

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : **«الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق مما جفّ القلم به ولا يقرأ في كتاب»** ،ثم عدّ آثاره وهي :

١ - مفتاح كل راحة في الدنيا والآخرة .

٢ - وفيه رضا الله .

٣ - وتخفيف الحساب .

٤ - والصون من الخطايا والزلل .

٥ - وقد جعله الله ستراً على الجاهل وزيناً للعالم .

٦ - ومعه عزل الهوى .

٧ - ورياضة النفس .

٨ - وحلاوة العبادة .

٩ - وزوال قسوة القلب .

١٠ - والعفاف .

١١ - والمروءة .

١٢ - والظرف .

وأكمل الإمام عليه السلام حديثه إلى أن قال : « **....وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم : الكلام والصمت . فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده ، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء وشعائر الأصفياء ، ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ، ومن أشرف على ما في لطائف الصمت وآئتمنه على خزائنه كان كلامه وصمته كلّه عبادة ، ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك**

الجبار» [١].

ملاحظة جديرة بالذكر

إن الروايات التي مرت في فضيلة الصمت ، الهدف منها- كما مرَّ - تعميق الفكر وعدم وقوع الإنسان في الخطأ ، وصيانته من المعاصي والذنوب ، وحفظ شخصيته وعدم الاضطرار إلى الاعتذار من الآخرين في حالة الخطأ ، وغيرها ولكن ما ينبغي لفت النظر إليه إلى أن الصمت لا يمكن أن يتخذه المرء كسلوك عام ودائم في حياته ، لأن هذا يؤدي إلى خسارة لا تعوض ، لأن هذا النوع من السلوك مذموم قطعاً ، بل قد يصل إلى درجة الحرام .

لقد ذكرنا سابقاً أن الله أنعم على الإنسان بنعمة عظيمة وهي نعمة البيان التي تعد من أفضل النعم التي حباها الله للبشر ، ثم أليس أداء أكثر العبادات متوقف على الكلام، من الصلاة إلى الحج ، إلى تلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ؟

ولولا الكلام لما استطاع المرء أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتصدى للفساد والظلم ويصرخ في وجه الظالمين لإثبات الحق وإزهاق الباطل .

والنتيجة أن الكلام له مواضعه ومواطنه في مجال التربية والإرشاد ، والدعوة إلى الله، ولولاه فكيف كان سيؤدي الأنبياء والرسل الدعوة إلى الله ؟ ولولاه كيف سيقوم العلماء بتبليغ أحكام الله ، والأخذ بيد الناس نحو السعادة والكمال ؟

ولولاه كيف ستقام حدود الله ، ويؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟

إذاً فالأحاديث التي بيَّنَت فضيلة الصمت وتحدثت عن آثاره ، تحمل على الصمت عن الكلام الغير مناسب والتافه ، واللغو والثرثرة الزائدة ، والصمت عن أمثال الغيبة ، والنميمة والبهتان والكذب وغيرها من الأمور المحرمة شرعاً والتي تصب في خانة

---

(١) مصباح الشريعة الباب ٤٦ .

غضب الله عز وجل.

ففي هذه الموارد يجب أن يختار المرء جانب السيطرة على اللسان وأن يصمت لأن: «الصمت أليق بالفتى من منطق في غير حينه»[(١)].

جاء رجل إلى الإمام السجاد عليه السلام وسأله: «أيهما أفضل الكلام أو السكوت؟

فقال عليه السلام: لكل واحد منهما آفات فإذا سلمنا من الآفات فالكلام أفضل من السكوت.

قيل: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟

قال عليه السلام: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، بل استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولا تصف فضل الكلام بالسكوت»[(٢)].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت عن سوء فسلم**»[(٣)].

وممكن أن نجعل من هذين الحديثين السابقين الميزان للكلام والصمت وموارد استخدامها.

ملاحظة أخيرة

بقي في هذا المجال ملاحظة أخيرة تجدر الإشارة إليها وهي: أن «الصمت» و«السكوت» ورد بمعنى واحد في مفاهيم اللغة، ولكن بعض علماء الأخلاق ذهب إلى وجود فرق بينهما، فإن السكوت هو الترك المطلق للكلام، والصمت هو الترك

---

(١) البداية في الأخلاق العملية / ٩٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٧٤.

(٣) مشكاة الأنوار / ١٧٥.

المقصود للكلام الزائد واللغو أي «تركك ما لا يعنيك».

وهدف السالك الحقيقي في إطار تهذيب النفس ، والسلوك المعنوي ، ينسجم مع : «الصمت» لا «السكوت» [١].

(١) الأخلاق في القرآن «للشيرازي»: ١ / ٢٦١ .

ختام الكلام كلام الإمام

حق اللّسان للإمام علي بن الحسين عليه السلام :

«وأمّا حق اللّسان فإكرامه عن الخنى[1]، وتعويده الخير، وحلّه على الأدب، وإجماله إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه من الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه، وتزين العاقل بعقله، حسن سيرته في لسانه، ولا حول ولا قوة إلّا باللّه»[2].

(١) الخنى: الفحش في الكلام.

(٢) تحف العقول: ٢٥٧ ح ٣.

فهرس الموضوعات

الكذب

ذو الوجهين واللسانين

الجدال والمراء والخصومة

السب والطعن

السخرية والتنابز

الفحش

الغيبة

النميمة

الفتنة

اللهو واللغو

أذية المؤمن

البهتان

الغناء

المدح

التدخل في خصوصيات الآخرين